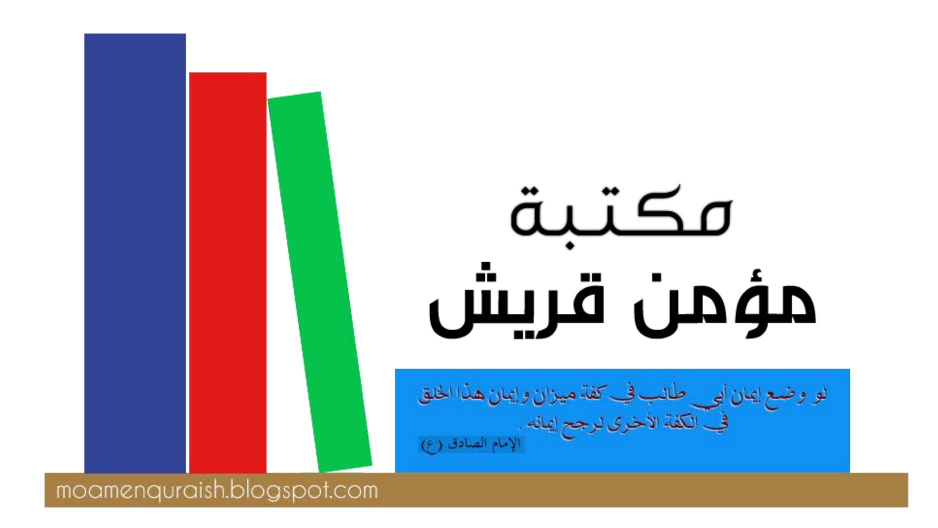
الشيخ نعيم قاسم

سبيلك إلى مكارم الأخلاق

شرح دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام

دار المحجة البيضاء



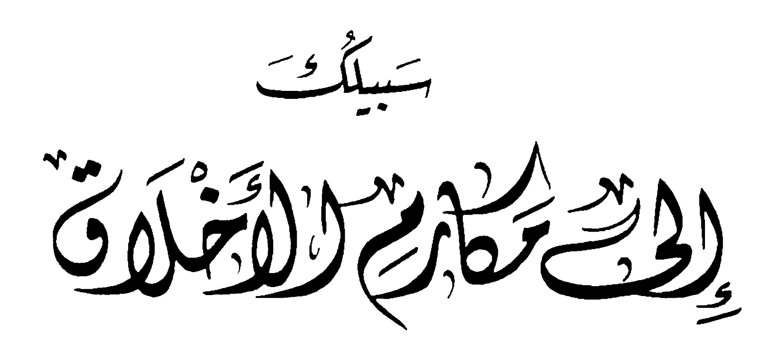
سبيلك

إلى مكارم الأخلاق

شرح دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ نعيم قاسم



شرح دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام

دار المحجة البيضاء

الطبعـــة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

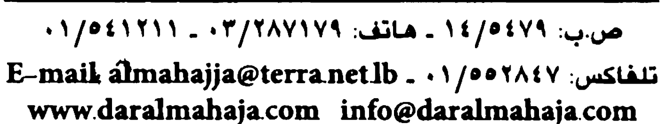
الطبعة الثانيـــة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة الثالثـــة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

الطبعة الرابعـــة ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

الطبعة الخامسة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م




الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المحتوى العام

محتوى مطالع الفقرات

الإهــداء

إلى جيل الشباب الذين لا حدَّ لطموحاتهم،

إلى المشبعين بالقوة والعنفوان والحيوية،

إلى الثائرين لتحقيق الأمل الواعد نحو حياة أفضل،

السبيل بين أيديكم للارتقاء

في علياء الطهر والعفاف ومكارم الأخلاق،

لتسلكوا عِبرهُ إلى سعادتكم الحقيقية في هذه الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله الخالق الهادي، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام مشاعل النور للبشرية نحو الكمال.

دعاء «مكارم الأخلاق» من الأدعية الجليلة للإمام زين العابدين عليه السلام، التي وردت في الصحيفة السجادية، وهو يجمع بين تعزيز الصلة بالله تعالى وتهذيب النفس وسمو الروح، وبين التوجيهات الأساسية لبناء الشخصية الفاضلة والكاملة. إنَّه منظومةٌ تربويةٌ فرديةٌ ومجتمعية لتثبيت الأصالة في الشخصية المؤمنة، وتعزيز الاتجاه نحو الرقي الإنساني، بما يحقق السعادة في الدنيا، والثواب في الآخرة.

ليست المكارم أوامر جافة للتنفيذ، بل هي أفقٌ رحب يعيش فيه القلبُ طهارتَه، والعقلُ نقاوتَه، والسلوكُ استقامتَه، وهي بلسمُ الروح تحميها من مزاحمة الملذات للجسد، وتداويها لتعيد الفطرة إلى أصالتها، عندها يهون كل شيء في هذه الدنيا، فتتفكك الحجب، وتسقط قضبان سجن الدنيا، فيصبح صاحب المكارم إنساناً يعيش لذة إنسانيته الكاملة، من دون أي نقص أو حرمان، بل يكون مفعماً بالرضى والطمأنينة.

بين يديك عزيزي القارئ: «سبيلك إلى مكارم الأخلاق»، وهو شرح ميسَّر لدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في مكارم الأخلاق. وقد حرصنا على توضيح المعنى، وتقديم الشواهد من القرآن الكريم وأحاديث ومواقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام، بطريقة خالية من التعقيد والإطناب، رغبة منا بانسياب مضمون الدعاء إلى القلب، وعدم الإغراق في التحليل الفكري والنظري له، كما تمَّ استخدام أسلوب المحاكاة المباشرة ما يساعد على تلمُّس الذات، في خطاب وجداني يساعدها على الاهتداء إلى سبيل المكارم.

تمَّت كتابة الدعاء بعد المقدمة مباشرة، لتسهيل قراءته كاملاً، تحقيقاً للعمل بالمستحب في قراءة الدعاء، وتيسيراً للاطلاع عليه بشكل إجمالي، ثم تلاه توزيع فقرات الدعاء بحسب ترابط معانيها، وتمَّ تفسيرها، واختيار مجموعة من العناوين التي تشير إلى ما ركَّز الدعاء عليه، مرفقة بتوضيحات تسلط الضوء على النظرة الإسلامية للقضايا المطروحة، بإيجاز يتناسب مع الهدف، في التركيز على السلوك والأداء العملي.

وقد تمّت كتابة محتويين للكتاب في أوَّله:

الأول: المحتوى العام، وهو عبارة عن عناوين الموضوعات التي تمَّ بحثها.

الثاني: محتوى مطالع الفقرات، الذي يشير إلى بداية فقرة الدعاء التي تمّ تفسيرها.

أنصحك أيها العزيز، أن تتأمل جيداً في مضمون الدعاء،

وتقرأه مراراً وتكراراً، في كل الأوقات، ولا تستعجل قراءة تفسيره دفعة واحدة وبسرعة، فإذا انسجمت في قراءة «سبيلك إلى مكارم الأخلاق» فتابعته إلى أن انهيت قراءته، احرص على إعادة القراءة بالتدريج، فقرة بعد أخرى، في أيام متعددة، لتتأمل في مضمون كل فقرة أو عنوان فيها، وتُخضع نفسك لمناقشةٍ ومراجعةٍ تساعدك على تبيان موقعك من المكرمة أو المكارم المذكورة، ثم تحدِّد برنامجاً عملياً يساعدك على الرقي نحو الأفضل، وهكذا يتكوَّن لديك مجموعة من البرامج التي يكون الدعاء أساساً لها، ما ينقلك من النظرية والتمنيات، إلى التغيير في السلوك والتفاعل.

هذه الطبعة الخامسة للكتاب بعد نفاد الطبعات السابقة، وكانت الملاحظة الأساسية التي سمعتها من بعض القرّاء، شعورُهم بأنَّ الخطاب في الكتاب موجَّهٌ إليهم، ويحاكي مفاتيح المعالجة لقضاياهم، ما ينسجم مع هدف الإمام زين العابدين عليه السلام في بناء الشخصية الإسلامية بكل جوانبها.

أسأل الله تعالى، أن يوفقنا للتطبيق والعمل، وأن يتماهى سلوكنا مع قلوبنا، في تناغم ينعكس على حياتنا، إنَّهُ نِعْمَ المولى ونِعْمَ المعين.

نعيم قاسم

٣ جمادى الثاني ١٤٣١هـ
١٧ أيار ٢٠١٠م

دعاء مكارم الأخلاق

١ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ ٱلإيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ ٱلنِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلىٰ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ.

٢ ـ أَللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

٣ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي ٱلإهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ.

٤ ـ وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَّ الْخَيْرَ وَلاَ تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

٥ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

٦ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْنِي بِهُدًى صَالِحٍ لاَ أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لاَ أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيهَا.

٧ ـ وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

٨ ـ أَللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلاَّ أَصْلَحْتَهَا، وَلاَ عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إِلاَّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلاَّ أَتْمَمْتَهَا.

٩ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ ٱلثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوِلاَيَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، ومِنْ خِذْلاَنِ الأَقْرَبِينَ ٱلنُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ

الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ.

١٠ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلاَمَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

١١ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِٱلصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ ٱلذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ ٱلسَّيِّئَةِ.

١٢ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ ٱلصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ ٱلنَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ

الْمُخَالَقَةِ، وَٱلسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ ٱلتَّعْيِيرِ، وَالإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَٱلقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلاَلِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ ٱلطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

١٣ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَٱجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلاَ الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلاَ مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

١٤ ـ أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ ٱلضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِٱلإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلاَ بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بِٱلتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

١٥ ـ أَللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي

وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ، أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ، أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ، أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ، أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرَاقاً فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

١٦ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلْدَّفْعِ عَنِّي، وَلاَ أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ ٱلقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلاَ أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

١٧ ـ أَللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

١٨ ـ أَللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ، وَأَلْهِمْنِي ٱلتَّقْوَىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى.

أَللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَىٰ، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيا.

١٩ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنِي بِٱلاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ ٱلسَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَٱرْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ.

٢٠ ـ أَللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا، فَإِنَّ نَفْسي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

٢١ ـ أَللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ.

٢٢ ـ فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدةِ، وَقَبْلَ ٱلضَّلاَلِ بِٱلرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مؤونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ.

٢٣ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ،

وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمُورُ لِأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا.

٢٤ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلاَيَةِ، وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِٱلسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

٢٥ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ ٱلتَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

٢٦ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ ٱلاكْتِسَابِ وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ، فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِٱلطَّلَبِ، وَلاَ أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ. أَللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

٢٧ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ،

وَاسْتَعْطِي شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطاءِ وَالْمَنْعِ.

٢٨ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفَراغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَالٍ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ.

أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.

٢٩ ـ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

٣٠ ـ أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ ٱلنَّارِ.

****

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مكارم الأخلاق

حُسْنُ الخُلُقْ

المكارم جمع مكرمة، وهي اسم من الكرم، في مقابل اللؤم، والأخلاق جمع خلق، يكتسبها الإنسان بتوجيه فطرته التي تحمل في طياتها عوامل الهداية والضلال، فلا يولد الإنسان خلوقاً أو فاسداً، وإنما يصل إلى أحد الاحتمالين بما يتربّى عليه، وما يهذِّب به نفسه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ في الحديث عن بعثته: «**إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[2]، وهو الذي برز في علو شأنه ومقامه، بما أدّاه من سلوك مميَّز مع الناس، فوصفه القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٨٦.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

أيها العزيز، إذا راقبت نفسك، ووجهتها، ووضعت برنامجاً عملياً لمتابعتها، أمكنك سلوك طريق مكارم الأخلاق.
وإذا سلكت طريق الطاعة لله تعالى، والتزمت بأوامر الله ونواهيه، سرتَ بشكل طبيعي خطواتٍ نحو الكمال. وإذا وثقت بقدرتك، وتوكَّلت على الله تعالى، اجتزت العقبات مهما بَلَغَتْ، وانهارت أمامك الحواجز لترتقي في أخلاقك ومعاملتك للآخرين.

الطريق طويل، ويتطلب تصميماً وعزيمة واستمرارية، لكنَّه ممكن، ثم يزداد سهولة كلما قطعت مرحلة بعد أخرى. فالأخلاق المطلوبة منك، أخلاقٌ بشرية، تملك استعداداتها بفطرتك، وتصل إلى معاليها بسعيك. فلا تنظر إلى رقيِّها من بداية الطريق لتقارنها مع ما أنت عليه، إلَّا لتحدِّد موقعك منها، ثم اشحذ همَّتك للانطلاق، بحول الله وقوته، للوصول إلى المراتب العليا، وإلَّا إذا تلهَّيت بقياس بُعد ما أنت عليه عن كمال الأخلاق، وتحسَّرت لطول المسافة، فلن تزداد إلَّا إحباطاً وبُعداً.

سِرْ مع رسول الله ﷺ في توجيهه لك: «**حسِّنوا أخلاقكم**»[1]، فهذا لمصلحتك في الدنيا. إنَّ حسن الخلق يجلب النعم عليك في حياتك، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**حسن الخلق رأس كل بر**»[2]، وستكتشف الزيادة في استقرارك النفسي، وراحتك المعنوية،

---

(١) السيد الجزائري، التحفة السنية، ص٤٢.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٢٢٧.

وسلامة سريرتك، فعن الإمام الصادقعليه السلام: «**لا عيش أهنأ من حسن الخلق**»[١]، بل ستجد الأمور ميسَّرة أمامك، والخيرات تتدفق عليك، وتحصل على الأفضل في كل حدث، وتقبل القضاء الإلهي برحابة واطمئنان، «**هوَّن ما نزل بي انَّه بعين الله**»[٢]. وعندما تواجه صعوبة ما، فإن المخرج مع حسن الخلق، قال أمير المؤمنين: «**لم يضق شيء مع حسن الخلق**»[٣].

ما الذي يوتِّرك في علاقتك مع الناس؟

ما الذي يؤدي إلى التباغض والتباعد والأحقاد بين الأقارب؟

ما الذي ينغِّص الحياة المستقرة إلَّا تلك التصرفات المؤذية في حسابات الآداب واللياقات والحقوق؟

إذاً كيف تواجهها؟

التوتير يزيدك تعباً! والأحقاد تسوِّد قلبك! والإيذاء يعقِّد الأمور! أمَّا الصفح والعفو، وبشاشة الوجه، وتطهير السريرة، وحسن المعاملة، فإنها تريحك، ويتعلم الآخرون من أخلاقك أو يميتهم غيظهم، لكنك تفوز برأس الإيمان وأعظمه، قال أمير المؤمنين عليعليه السلام: «**رأس الإيمان حسن الخلق والتحلي بالصدق**»[٤].

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص٢٤٤.
(٢) السيد ابن طاوس، اللهوف، ص٦٩.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٤١٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٦٣.

المسألة ليست صعبة، فاعرف حدَّ حسن الخلق، ثم اعقد العزم على بلوغه، فسترى أنَّك قطعت المسافات بيسر وتوفيق.

سأل بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: ما حدُّ حسنِ الخلق؟

فقال عليه السلام: «**تُلِيِّن جناحك، وتُطَيِّبُ كلامك، وتَلقى أخاك ببشرٍ حسن**»[(١)].

وما دام في العمر بقية، فاعمل على إزالة الحجب والآثام التي تمنعك من الارتقاء إلى مكارم الأخلاق. «أيُّها العزيز، انهض من نومك، وتنبَّه من غفلتك، واشدُد حيازيم الهمة، واغتنم الفرصة ما دام هناك مجال، وما دام في العمر بقية، وقواك تحت تصرفك، وشبابك موجوداً، ولم تتغلب عليك ـ بعد ـ الأخلاق الفاسدة، ولم تتأصل فيك الملكات الرذيلة. فابحث عن العلاج، واعثر على الدواء، لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة، وتلمَّس سبيلاً لإطفاء نائرة الشهوة والغضب.

وأفضل علاج لدفع هذه المفاسد الأخلاقية، هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو أن تأخذ كلَّ واحدة من الملكات القبيحة التي تراها في نفسك، وتنهض بعزمٍ على مخالفة النفس إلى أمد، وتعمل عكس ما ترجوه وتطلبه منك تلك الملكة الرذيلة»[(٢)].

فإذا جمعت الفضائل، وتخلَّصتَ من الرذائل، وجاهدت نفسك

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص١٠٣.

(٢) الإمام الخميني(قده)، الأربعون حديثاً، ص٤٨.

لتستقيم كما أُمرت، استقرَّيت على الجادة الصحيحة، وعشتَ الاطمئنان في دنياك وكأنَّها مزويَّةٌ لخدمتك، وقد بقي لك أن تلتحق بركب إمام العدل في آخر الزمان الإمام المهدي(عج) لتكون من جنده، فإذا متَّ قبل ذلك، لم تُحرم من أجر موافاته. قال الإمام الصادق عليه السلام: **«من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه»**[1].

ثم ينتظرك الأجر الكبير عند الله تعالى، مكافأة لك على ما صبرت وأحسنت.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»**[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **«إنَّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق، كما يعطي المجاهد في سبيل الله»**[3].

****

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٠.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠١.

(١)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ ٱلإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ ٱلنِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَىٰ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ.

الصلاة على محمد وآله

أول الدعاء: «أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ». وقد تكرَّرت هذه الصلاة في أول كل فقرة من فقرات هذا الدعاء، كما ختمه الإمام زين العابدين عليه السلام بها، وهو تأكيد على أهمية الصلاة على محمد وآله، في استجابة الدعاء من ناحية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كل دعاء محجوب من السماء حتى يُصلَّى على محمد وآله**»[١]، وفي تأثير ذكر محمد وآله على صفحة النفس والارتباط الروحي بهم من ناحية أخرى.

إنَّ مكانة النبي عظيمة عند الله تعالى، فهو الأول والأرقى بين البشر، وهو خاتم الأنبياء والرسل وسيدهم جميعاً، وقد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٣١٢.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[١]، وجعلَ الصلاة عليه وعلى آله جزءاً لا يتجزأ من التشهد والتسليم، في الصلوات اليومية وكل الصلوات الواجبة والمستحبة. فآل البيت خلاصة هذا الوجود، وهم الأوائل في عصمتهم ومكانتهم وكرامتهم، وهم القدوة والقيادة وسفينة النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى.

وقد أوضح الإمام علي عليه السلام معنى هذه الصلاة بالمقارنة مع غيرها في إجابته عندما سأله أحدهم: ما معنى صلاة الله، وصلاة الملائكة، وصلاة المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «**صلاة الله رحمةٌ من الله، وصلاة ملائكته تزكيةٌ منهم له، وصلاة المؤمنين دعاءٌ منهم له**»[٢].

وللمؤمن ثواب لموالاته والتزامه بقيادة النبي والآل، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقُلت سيئاته على حسناته، جئت بالصلاة عليَّ حتى أثقِّل بها حسناته**»[٣]. وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**وجدت في بعض الكتب: من صلَّى على محمد نبيِّه، كتب الله له مائة حسنة، ومن قال: صلَّى الله على محمد وأهل بيته، كتب الله له ألف حسنة**»[٤].

أكمل الإيمان

«وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ ٱلإِيمَانِ». الطلب الأول في الدعاء كمال

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار،ج٩١، ص٥٨.

(٣) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٣١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٢.

الإيمان، والإيمان مفتاح كل شيء، فهو الذي يحدد خيار الإنسان في هذه الحياة. عليك قبل التلهي بالتفاصيل، وقبل الحكم على الأعمال والتصرفات، وقبل حسم موقفك من أي قضية تواجهك في المسائل الشخصية والعامة، أن تحدِّد منطلقك ورؤيتك ومنهجك الذي يرشدك إلى الطريق والموقف.

مع الإيمان بالله تعالى، يكون اختيارك لدين الله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾(١)، لكن لا يكفيك الانتساب إليه بسبب ولادتك من أبوين مسلمين، ولا إعلان الإسلام بالنطق بالشهادتين، بل عليك سلوك خطوات الالتزام بما أمر الله تعالى، لتدخل في عالم الإيمان بالتصديق والعمل، ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(٢). وقال رسول الله ﷺ: «**ليس الإيمان بالتخلي ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل**»(٣).

يجب أن يكون الطلب للأفضل، فيا رب امنحني إيماناً أبلغ به أكمل الإيمان، لأرتقي في درجات الطاعة، فارتفع معها في درجات الأخلاق، وأسمو بها إلى درجات القبول عندك في يوم القيامة. يا رب ساعدني لأحصل من كل شيء على أفضله وأحسنه وأكمله، فلا أكتفي بأكمل الإيمان بل بالأكمل في كل شيء، وهل يمكن أن أبلغ

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٣) ابن جمهور الاحسائي، عوالي اللآلي، ج١، ص٢٤٨.

الإيمان من دون التناغم مع الأكمل في كل المطالب الأخرى؟! هكذا نجد دعاء مكارم الأخلاق ينساب إلى أكمل الصفات والأعمال، وهي حالة ممكنة لو شددنا العزم، وثبتنا في مواجهة حجب الضلالة، ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[1].

إنَّ لكل شيء درجات ومراتب، ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

وقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4]، و﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[5].

لا تستعجل بلوغ الدرجة الأعلى، بل ضعها نصب عينيك، وارقَ درجة بعد أخرى، محاولاً القيام بمستلزمات كل درجة، وهي ليست معقَّدة، بل تتداخل فيما بينها، بحيث يكون تصميمك باتجاه

(١) سورة الناس، الآيات: ٤ ـ ٦.
(٢) سورة النساء، من الآية: ٩٥.
(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.
(٤) سورة المجادلة، من الآية: ١١.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢.

الإيمان الحقيقي والصادق دافعاً لتمتين الصلة مع الله تعالى، من خلال الالتزام بالعبادات، وتطبيق أوامره ونواهيه في المعاملات مع الناس، وتهذيب النفس بطرد الأفكار الخبيثة ووساوس الشيطان، ثم تتراكم آثار هذا الجهد، فتشعر بتحسُّن في علاقتك مع الله تعالى ونظرتك إلى الأمور، فإذا تابعت متحدِّياً مغريات وملذات الانحراف والضلالة، تجدَّد انتصارك في كل حادثة، ليتحوَّل إلى معنويات مضيئة ومشرقة، ترقى بك في سلم الإيمان إلى أكمله.

قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «**يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات، بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة، فارفعه إليك برفق، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره**»[1].

أيها العزيز، لا تصنِّف نفسك في الدرجة الثانية في الموقع الأعلى ممن هو في الدرجة الأولى، كي لا ترضى نفسُك بما وصلتَ إليه، وكي لا ترى نفسك أعلى من غيرك فتستأنس بذلك ويصيبك العُجب، واعمل على أن تأخذ بيد من دونك لترفعه إليك، فبذلك ترتفع أنت أيضاً، واعلم أنك قادرٌ على الارتقاء إلى الدرجة العاشرة.

ما الذي يعيق سمو إيمانك؟ حجب الدنيا وآثامها!

ابدأ بها واحداً تلو الآخر، بعد أن تحددها وتعرف مشكلتك

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٥.

بسببها. ابدأ بحجاب الشهوة، حاربها، وعاكس إغراءها، فلا تفعل ما ترغبه منها، عندها ستعاني للحظات، ثم تفوز. كرر ذلك معها، وكذا مع الحجب الأخرى، محتسباً أجرك على الله تعالى، راغباً بأن يقبلك في عداد المؤمنين، إذ لولا الإيمان بالله تعالى لما جاهدت نفسك هذه المجاهدة، ولولا رغبتك بالرقي إلى أكمل الدرجات لما تحمَّلت عناء التخلي عن مغريات الدنيا. .لكن انظر إلى السعادة القلبية التي تعيشها مع الإيمان، فهي لا توصف، ولا يعرف طعمها إلَّا من ذاق حلاوة الإيمان، فهنيئاً لك أيها الذوَّاقة وأنت تعيش سمو الإيمان في الرقي إلى الملكوت الأعلى، فلا محلَّ في قلبك لغير الإيمان بالله تعالى، ومع استيعاب القلب له، فإنَّ الحجب تتكسَّر واحداً بعد آخر، لينتشر النور الذي يبدد الظلام والضلالة والهوى، ومعه لا وجود في كيانك إلَّا لله الواحد الأحد الذي لا شريك له.

أفضل اليقين

«وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ». اليقين هو التصديق الجازم الناشئ عن العلم والذي لا يعتريه ريب، وعلى الإنسان أن لا يكتفي بما يُشعره باليقين، بل أن يطلب أفضل اليقين الذي يؤمِّن له رسوخ الإيمان، فلا شكٌ، ولا ريبٌ، ولا شبهةٌ تزلزل الاعتقاد والتسليم لله تعالى. وها هو النموذج الأرقى في يقين أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا**»[١]، إنها درجة العصمة التي تعيش

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب،ج١، ص٣١٧.

الإيمان حالة كمال في كل شيء، وهي محطة القدوة التي يجب أن نعمل بهديها للارتقاء إليها. إنَّ اليقين درجة أعلى من الإيمان والتقوى، فعن أبي الحسن عليه السلام: «**الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قُسم في الناس شيء أقل من اليقين**»[1]. ما الذي يمنعك أن تسعى لتكون واحداً من هؤلاء القلة من المتيقنين؟! إنها درجات تجتازها واحدة بعد أخرى في محطَّات تصاعدية، من الإسلام، إلى الإيمان، فالتقوى، فاليقين، إلى أفضل اليقين.و«**اعلم أنَّ العمل الدائم القليل على يقين، أفضل عند الله جلَّ ذكره من العمل الكثير على غير يقين**»[2].

وما هي علامة اليقين؟ هل تريد اختبار نفسك وتحديد موقعك؟

عن اسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلَّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟**

فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني، وأسهَرَ ليلي،

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤٤.

وأظمَأَ هواجري، فعزفَت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي، وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة، يتنعمون في الجنة، ويتعارفون على الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **هذا عبدٌ نوَّر الله قلبه بالإيمان.** ثم قال له: **الزم ما أنت عليه.**

فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك.

فدعا له رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر»[١].

هذا الشاب الذي يُحتمل أن يكون حارثة بن مالك الأنصاري، واحد من ثلةٍ مؤمنة أقاموا الدين على الأرض بجهادهم وتضحياتهم، وبإمكانك أن تكون واحداً منهم، فتأمل فيما أنت عليه، وتخلَّى عن هذه الدنيا الفانية بترك حرامها، وأَقْبِلْ على الآخرة بشوق لقاء الأحبة، ودرِّب نفسك على أن تستكشف روحُك مصيرها ومصير الخلائق، في مشهد يستحضر صورَ يوم القيامة، لتكون حاضرة لديك كما تحضُر عند المتقين الموقنين، الذين يعيشون لحظات السعادة الأبدية في النعيم الدائم، ويحزنون لشقاء الضالين مع ما يحيط بهم

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٣.

من الجحيم المستعر الذي يذيب البشر والحجر، ويتلهَّفون لتنطلق أرواحهم من أجسادهم كي ينغمسوا في لذة العطاء الإلهي الدائم، وقد وصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: «**ولولا الأجل الذي كتبَ الله عليهم لم تستقرَّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب. عظُم الخالق في أنفسهم، فصغُر ما دونه في أعينهم، فهم والجنةُ كمن قد رآها فهم فيها منعَّمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذَّبون. قلوبُهم محزونة، وشرورُهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة. تجارةٌ مربحة يسَّرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسَرتهم فَفَدوا أنفسهم منها**»(١).

أثر النية

«وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ ٱلنِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَىٰ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ».

النيَّة هي الإرادة الباعثة نحو العمل، وهي التي تعبِّر عن الهدف الحقيقي لأي تصرف يقوم به الإنسان. فقد يصلي المرء طاعة لله تعالى، وقد يصلي رياء للناس ليثقوا به ويصدِّقوا كلامه ويودعوا أموالهم عنده... فالصلاة واحدة في مظهرها الخارجي، لكنَّ مضامينها متعددة، تختلف باختلاف الأشخاص، وبحسب نواياهم. «إنَّ ظاهر صلاة علي بن أبي طالب عليه السلام وظاهر صلاة المنافق متشابهان في الأجزاء والشرائط والشكل الظاهري، ولكن هذا يعرج

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣، ص٤٦٩.

بعمله إلى الله، ولصلاته صورة ملكوتية علوية، وذلك يغور في أعماق جهنم، ولصلاته صورة ملكوتية سفلية»[١].

إذا اخترت منهج الإيمان، فلتكن نيتك التقرب إلى الله تعالى، لتوجِّه عملك في الاتجاه الصحيح، وتخلِّصه من شوائب الشرك الخفي، ومع أنَّ التلفظ غير مطلوب في النية للصلاة والصوم وغيرهما من العبادات، فإن استحباب التلفظ للتركيز على اختيارك الحقيقي، لتستجمع فكرك، وتحسم أمرك، وتنطلق في عبادتك لتحقيق الطاعة لله تعالى. انتبه! فالظاهر لا يكفي، بل عليك بالباطن، أي بالدافع والمحرك للعمل، فبعض من سبقك من المسلمين عرَّضوا أنفسهم للخطر، وقاتلوا أعداء الله تعالى، طمعاً بمكاسب الدنيا وليس لإعلاء كلمة الله تعالى، فماذا كانت نتيجة قتالهم الظاهري في سبيل الله.؟

عن علي عليه السلام، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أغزى علياً عليه السلام في سرية، وأمر المسلمين أن ينتدبوا معه في سريته، فقال رجل من الأنصار لأخ له: أغزُ بنا في سرية علي، لعلَّنا نُصيب خادماً أو دابةً أو شيئاً نتبلغ به! فبلغ النبي صلى الله عليه وآله قوله، فقال: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، ولكل امرئ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند الله، فقد وقع أجره على الله، ومن غزا يريد عَرَض الدنيا، أو نوى عقالاً، لم يكن له إلَّا ما نوى**»[٢].

فلتكن نيَّتك صادقة، لينسجم عملك في نتائجه مع ما صمَّمت عليه، و«المراد بالنيَّة الصادقة، انبعاث القلب نحو الطاعة، غير

(١) الإمام الخميني(قده)، الأربعون حديثاً، ص٣٦٥.

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي،ص٦١٨.

ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه»[١]، كما قال الشيخ البهائي(قده). واعمل لتكون نيتك أحسن النيّات مستعيناً لذلك بالله تعالى، وهذا تمييز عن النية التي تختلط فيها الأمور، أو تصاحبها شبهات تُبعدها عن هدفها الحقيقي، فبما أنَّك تريدها لله تعالى، فلتكن الأحسن، في وضوح الهدف، وصفاء السريرة، والتأمل قبل العمل، وطرد كل دخيل عليها مهما كان بسيطاً، وبالله المستعان.

وبما أن النيَّة بوصلة العمل، وأساس الإقدام عليه، ورد عن رسول الله ﷺ: «**نيَّة المؤمن خيرٌ من عمله، ونيَّة الكافر شرٌّ من عمله، وكل عامل يعمل على نيَّته**»[٢]، خاصة أنَّ السعي قد لا يصل إلى نتائجه، بحيث تكون النية خيراً، لكن لا يوفق المرء لإنجاز ما سعى إليه، من هنا كان الساعي إلى الخير كفاعله. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل، فتغلبه عينه، فينام، فيثبِّت الله له صلاته، ويكتب نَفَسَه تسبيحاً، ويجعل نومه عليه صدقة**»[٣].

وليكن عملك على أفضل وجه، ومكتمل الشروط، ومراع للضوابط الشرعية، فالحياة كلها ابتلاء بالأعمال، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[٤]. وفي تفسير الإمام

---

(١) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص٢٣٢.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي،ج٢، ص٨٤.
(٣) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص ٥٢٤.
(٤) سورة الملك، الآية: ٢.

الصادق عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال: «**ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً. وإنما الإصابة خشية الله، والنية الصادقة، والحسنة. ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلَّا الله عزَّ وجلّ، والنيَّة أفضلُ من العمل. ألا وإن النيَّة هي العمل، ثم تلا قوله عزَّ وجل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، يعني على نيَّته**»[1].

هذا العمل الصائب هو الأحسن، وإنما توزن أعمال الإنسان الصائبة والصحيحة مهما قلَّت، ولا عبرة في أن يكثر الإنسان من الأعمال المبتورة والناقصة والمشكوكة والمفتقرة إلى الشروط الصحيحة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ **أتمكم عقلاً، وأشدكم لله خوفاً، وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً، وإن كان أقل تطوعاً**»[2].

وحذار من أعمال تشتبه عليك، ودقق جيداً قبل أن تُقدم على أي أمر، فقيمة كل امرئ ما يحسنه، وقيمة كل عمل بصوابيته، ولا يغرَّنك شكل العمل لتدافع عنه جهلاً من دون التأكد من سلامته، فالعبرة بالصحة لا بالعمل نفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[3].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي،ج٢، ص١٦.

(٢) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٣.

(٣) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥.

هل لاحظت مما مرَّ من الدعاء آفاق المطالب؟ إنَّها في أعلى وأفضل صفاتها فالمطلوب: أكمل الإيمان، وأفضل اليقين، وأحسن النيَّات، وأحسن الأعمال، وهكذا في كل ما يأتي في تتمة دعاء مكارم الأخلاق. إنَّه توجيهٌ للنظر نحو الكمال، وتوفير الاستعدادات اللازمة للوصول إليه، والاستعانة بالله تعالى للتمكين من مجاهدة النفس لمواجهة المغريات المختلفة.

أيها العزيز. فطرتك مؤهلة لذلك، ونعمة الإسلام بين يديك في توجيهاته، وقدوة النبيﷺ وآله عليهم السلام حافز مهم للسير والسلوك نحو العبادة الحقة، والثلة المباركة من الأصحاب المنتجبين والعلماء والصالحين والشهداء نماذج حيَّة من التاريخ والحاضر، والدور المنتظر مع الإمام المنتظر(عج) أملٌ واعد يستحق العناء، وانحصار الفوز بالطاعة لله تعالى عنوان كاف لاختيار المسير باتجاه الإسلام المحمدي الأصيل.فاترك ثوب الدنيا البالي، لتنعم بثوب الآخرة الباقي مع الخلود في الملكوت الأبدي.

****



أَللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

الله لطيف بعباده

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[١]، ويرفق بهم، ويهديهم، ويهيء لهم الأسباب، ففي الدعاء عن السجاد عليه السلام: «**وتسببتْ بلطفك الأسباب**»[٢]، ولولا لطف الله لما دُفعَ البلاء، ولا زال الهم والغم عن الإنسان، فنحن لا نعلم الغيب لندرك عظمة اللطف الإلهي بنا، من هنا أوكل أمير المؤمنين عليه السلام الأمور إلى الله تعالى في دعائه: «**يا لطيف ألطف بي بلطفك الخفي، من حيث أعلم ومن حيث لا أعلم، إنَّك أنت علَّام الغيوب**»[٣]، وفي دعاء زين العابدين عليه السلام: «**واكفني ما أهمَّني بلطفك وكرمك، يا عالي الملكوت**»[٤].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٩.

(٢) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص٥٩.

(٣) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال، ج٢، ص٣٦٣.

(٤) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٧، ص ٢٩٥.

الجأ إليك يا رب، لأنك لطيف تقبل التوبة من عبادك، وتعينهم على ما ألمَّ بهم، وتستقبل دعواتهم لك في حاجاتهم المختلفة، وأنت القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

إنك يا رب تتقرب منا لانقاذنا وهدايتنا، رحمة ورأفة بنا، فنحن العاجزون المحتاجون الخطّاؤون، الذين تغريهم الملذات، وتستدرجهم الشهوات، وتسقطهم الكثير من الاختبارات في هذه الدنيا، ولا خلاص لنا إلّا بالعودة إليك، فمن لجأ إلى القوي تقوّى، من سلّم للهادي اهتدى، ومن ركن إلى اللطيف تلطّفَ به.

مهما ادَّعينا فالنقص يحيط بنا من كل جانب، ومهما كانت ارادتنا قوية فنحن بحاجة إلى تدعيمها، وهنا يكون اللجوء إلى الله تعالى علّام الغيوب والأسرار، لتسكنَ أنفسنا، بالاطمئنان إلى عونه وتسديده. مع أننا لا نعلم كيفية تسديده لنا، لكننا ندرك أنَّه المسدِّد، نتلمَّس ذلك مما يجري معنا في حياتنا اليومية، حيث يأتينا الرزق بلا حساب، ويندفع البلاء من دون الاطلاع على الأسباب، ويحصل التوفيق في بعض أعمالنا من دون معرفة مجريات الأمور. وبما أننا نبتغي النتائج، فلا حاجة لملاحقة الأسباب والمسببات، يكفينا أن نكون مع الله تعالى، واثقين بتأييده، تلبية لمناجاتنا أو تلطفاً منه بنا، لنكون على الجادة الصحيحة، فهذا أقصى ما نستطيعه، بأن ننوي ونسعى ونوكل أمرنا إلى الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

اللهم أعنّي بلطفك ـ كما عوَّدتني ـ لتكون نيتي خالصة لوجهك الكريم، لا يشوبها شائبة، ولا يعتريها زيغ، ولا تلتبس عليَّ الأمور، فبما أني صمَّمت على الاستعانة بك، فوفِّر نيتي باتجاه الصلاح، كي لا يذهب جهدي هدراً، ولا تنقلب النتائج ضد مصلحتي، لأنَّ النيَّة مفتاح كل عمل، وها أنا أقوم بما عليَّ، فبلطفك ساعدني لما تريديني أن أكون عليه، يا رب العالمين.

صحة اليقين

«وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي». قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإنما سُميت الشبهة شبهة لأنَّها تشبه الحق. فأمَّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين، ودليلهم سمتُ الهدى**»[١]. يشوب اختيار طريق اليقين عقبات والتباسات، على الرغم من سعي الإنسان المؤمن للوصول إلى اليقين، فهو يحتاج إلى تصحيح اليقين حيث يتم ذلك بما عند الله تعالى من توجيهات وأوامر.

* من توجيهات تصحيح اليقين، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من صحة يقين المرء المسلم، أن لا يُرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإنَّ الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.لو أنَّ أحدكم فرَّ من رزقه كما يفرُّ من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إنَّ الله**

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٨، ص٩٩.

بعدله وقسطه، جعل الرَوح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط»(١)، نستنتج من الرواية:

١ ـ رضى الله أولى من رضى الناس: فالله يريد لك الخير والمصلحة، أمَّا الناس فتلتبس عليهم الأمور، وتتحكَّم بهم شهواتهم ورغباتهم، فإذا واجهت أمراً يتطلب خياراً من اثنين، فاختر ما يرضى الله عنه، ولا تتوقف عندما يُغضب الناس، فستكتشف أن الصواب ما فعلته.

بعض الناس يتأثرون بالحياة الاجتماعية والأعراف السائدة ولو كانت محرَّمة، ويحسبون لها الحسابات الكثيرة، ويسقطون تحت تأثيرها، فإذا كان الناس يألفون الاختلاط في المسابح، ويستهزئون بمن يصلي بينهم، ولا يشجعون على الحجاب معتبرين إياه عقبة أمام التمدن والتحضر، ويتسامرون باستغابة الآخرين وكشف عيوبهم، وغير ذلك مما هو كثير في مجتمعاتنا، فهل نخضع ونشجع الاختلاط المحرَّم؟! ونترك الصلاة إلى أن ينتهي وقتها؟! ونتخلى عن الحجاب، ونستغيب الآخرين، ليرضى عنَّا الناس؟!

أين اليقين في إيماننا بالله تعالى، إذا كنّا لا نُحقق رضى الله في مقابل تحديات الناس ورغباتهم؟! أين التزامنا بأعظم رسالة إلهية، إذا كنا نخجل بأوامرها ونتخلى عن القيام بها، إرضاء للناس وآرائهم ومتطلباتهم؟!

علَّمنا رسول الله ﷺ كيف يكون التحدي على قدر أهل العزم،

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٧.

في قصة زينب بنت جحش، ابنة عمة النبي ﷺ، وقد زوَّجها لزيد بن حارثة، الذي كان عبداً للنبي ﷺ، ثم أعتقه واتخذه ابناً له. بعد فترة طلَّق زيد زوجته، ثم أمر الله نبيه أن يتزوجها، وكان من عادات الجاهلية أن يعتبروا الابن بالتبني بمثابة الابن الفعلي، تحرم زوجته على أبيه، فإذا نفَّذ النبي ﷺ الأمر بالزواج من زينب، يكون قد كسر عرفاً جاهلياً راسخاً في المجتمع، فهو أمام خشية الله بتنفيذ أمره بالزواج من زوجة ابن المدَّعى بالتبني، أو خشية الناس بالامتناع عن الزواج كي لا يتلقى سهامهم وتعليقاتهم القاسية، ومن الطبيعي أن ينفِّذ الرسول ﷺ أمر الله، وهو ما ذكره القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾(١).

٢ ـ الرزق مقسوم من الله: إنَّ سعيك لطلب الرزق طريق لتحصيله، لكنَّه ليس سبباً لمقدار رزقك، فالمقدار مقسوم من عند الله، وأنت تحصل عليه بالسعي في قسم منه، ومن دون السعي في القسم الآخر، ولا تعلم كيف ومتى يأتيك. ولو بذلت جهداً كبيراً ولم يكن لك رزق مقدَّر، فإنك لن تحصل عليه، مهما كانت قوتك وقدرتك ومساعيك. فلا داعي للوم الآخرين بأنهم يحرمونك من الرزق، ولا تتذلل للمسؤولين وأصحاب الأموال ليعطوك مما

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

تتوقعه، ولا تسلك طريق الحرام أملاً بمزيد من الكسب السريع، فرزقك ليس موجوداً عند هؤلاء، انَّه موجود عند الله تعالى.

فإذا قمت بما عليك، وسلَّمت أمرك لله، عشتَ الرضا في نفسك والراحة بما قسم الله لك، وبذلك تكون ممن عاشوا اليقين العملي، وبغير ذلك لن تغيِّر شيئاً سوى زلزلة يقينك وإيذاء نفسك وإحزانها، لأن رزقك واصلٌ إليك ولو فررت منه، ولن تطال شيئاً مما لم يقدَّر لك ولو سلكت جميع السبل.

ومن التوجيهات أيضاً، ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، في جوابه عن: أي شيء اليقين؟ قال: «**التوكل على الله، والتسليم لله، والرضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله**»[1]. نستنتج منها:

٣ ـ التوكل على الله: سئل الإمام الصادق عن حد التوكل؟ فقال «**اليقين. فسئل: فما حد اليقين؟ قال: ألَّا تخاف مع الله شيئاً**»[2]. فالتوكل ليس كلمة تُقال فقط في كل صباح ومساء أو عند كل عمل، بل تصميم وعزيمة في الحق، من دون خوف من أحد. وكما قال علي الأكبر لوالده الحسين عليه السلام في وقعة كربلاء: «**ألسنا على الحق.. .يا أبت، إذاً لا نبالي، نموت محقين**»[3].

ما الذي يخشاه المرء ويخاف منه؟

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧.

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٩٢.

الموت... إنه بيد الله ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

الرزق...إنه بيد الله ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(٢).

البلاء... إنه بيد الله ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾(٣).

الثواب والعقاب...إنهما بيد الله ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤).

إذاً لا يملك أحد من العباد قدرة وسلطة مستقلة، ولا يستطيع أحد أن يتجاوز نواميس الكون، ولن يُصاب أحد إلَّا بما قدره الله له، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٥).

أيها العزيز، ثق بربك، ولا تخف مع الله شيئاً، ولا تأخذك في الله لومة لائم، واعلم أنك بذلك تشعر بإنسانيتك الراقية، وتتعامل مع الدنيا بحسب حقيقتها كدار للفناء، وتقبَّل النتائج مهما كانت مرَّة لأنها في عين الله. من سيكون أقوى منك من شياطين الأرض؟ وأنت القوي بالله، تحتاجه ولا تحتاج أحداً غيره، وتخافه ولا تخاف أحداً غيره، وتلجأ إليه ولا تلجأ إلى أحد غيره. بتوكلك على الله، تكون مالكاً لما بين يديك ولا يؤثر عليك بقاؤه أو فقدانه، وتكون مسيطراً على حياتك ولا تخشى

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٣٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

(٤) سورة الروم، من الآية: ١١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥١.

سيطرة الآخرين عليك، وتجتاز ضعفك الإنساني بقوة ارتباطك الرحماني.

ألست الأعلى بسبب ارتباطك بالله؟ ألست الأعلى بسبب إيمانك بالإسلام؟ ألست الأعلى بسبب خطك المستقيم بتدبر وعقل؟ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

٤ ـ التسليم لله والرضا: فالخير فيما وقع، والشكر لله على ما أنعم، والصبر على ما ابتلى واختبر، فكل عطاء من الله مقبول، وكل حرمان منه مقبول، هو التسليم بما قدَّر الله وقضى للإنسان، من دون اعتراض على ذلك، «**ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور**»[2]، فما في الغيب من أسرار لا يدركه أحد، وما يتمناه الإنسان قد يكون وبالاً عليه.

وفرق كبير بين التسليم العاجز المقهور، وتسليم الراضي بقضاء الله تعالى، فالرضا درجة أعلى، تعبِّرُ عنها الحالة النفسية المطمئنة التي يعيشها المؤمن، في القبول الحسن، وخاصة عند الملمات والمصائب، فصبره لا يكون عادياً بل جميلاً، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[3]، كنموذج متقدم يحمد الله على كل حال، ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام واصفاً اتباع النبي صلى الله عليه وآله: «**الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في الشدة والرخاء**»[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح، ص ٢٤٢.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٤) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص١٥.

إصلاح ما فسد

«وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي». يتعرَّض الواحد منا لما يفسده ويضله، وتؤثر زينة الحياة الدنيا في فكره وسلوكه، وينجرف مع ملذاته وأهوائه، فلا يستطيع الاطمئنان إلى استقرار إيمانه في كل المراحل، بل عليه المثابرة على مجاهدة نفسه لتغليب الطاعة ودفع المنكرات. ويكون فائزاً من تمكَّن من رصد أي انحراف أو فساد في أدائه لمواجهته واصلاحه، كي لا يتراكم الفساد ويتحول إلى عادات ونمط حياة يعسر تغييرها.

أودع الله في الإنسان القدرة على الصلاح والفساد، ثم يكون الاختيار الإنساني سبباً للفساد، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]. وقد هيأ جلَّ وعلا كل الظروف الملائمة لصلاح الإنسان، فأنزل الرسالات السماوية، وأرسل الأنبياء والرسل، وبشر بالجنة، وفتح باب التوبة، فما هي حجة العاصي ليستمر في عصيانه وفساده؟!

لقد دعانا رب العزة إلى التوازن في حياتنا، لمواكبة متطلبات الجسد والروح، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]، على أن لا نطلب

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

الفساد ونسعى إليه، مع ذلك فنحن بحاجة إلى الاستعانة بالله لاستصلاح ما فسد منا، ثم تساعدنا العبادات لتقويم سلوكنا، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(١)، والصوم يهيء لنا أجواء التقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢). فلو اتبعنا برنامجاً في العبادات لاستثمارها في التعبئة الروحية وتقوية الإرادة، لأمكننا تجاوز الكثير من المفاسد التي نتعرَّض لها يومياً، تمهيداً للقدرة على مواجهة أي فساد.

إنَّ كل الأمور تبدأ صغيرة، لكنَّ إهمالها يضخِّمها ويعقِّدها، لذا لا يُعفى في الإسلام عن الصغائر إذا تكررت، إذ لا صغيرة مع الإصرار، أمَّا الكبائر فيعفى عنها مع الاستغفار. ما الذي يدعوك أيها العبد العاجز للتعلق برغبة عابرة، سرعان ما تذهب لذتها ويبقى أثرها، ثم تتتالى الرغبات والملذات، وتتراكم التبعات والآثام، عند مليك مقتدر يحصي كل شيء، في كتاب لا يضل ولا ينسى، فما الذي جنيته على نفسك؟ وما الذي يدعوك للانتظار والترقب؟ خذ المبادرة في إصلاح ما فسد من أمرك، وراكم خيرات الطاعة لتواجه بها شرور المعاصي، ثم استعن بالله ليرحمك برحمته، فيفيض عليك من بركاته، ويُسقط عنك كل وزر، إنه هو التواب الرحيم الغفور، عندها يكون للحياة طعم آخر مع الطاعة.

---

(١) سورة العنكبوت، من الآية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

٣

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي ٱلإِهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ.

ما الذي يشغل بالك؟

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي ٱلإِهْتِمَامُ بِهِ». ذكرنا أنَّ افتتاح كل فقرة بالصلاة على محمد وآله مستحبٌ لاستجابة الدعاء، وأنَّ الطلب في كل الأمور يكون دائماً من الله تعالى لأنَّه مصدر العطاء ومرجع العباد، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[1]، ومن لا يلجأ إليه في كل شيء فقد خسر خسراناً مبيناً.

ما الذي يَشغَل الإنسان؟ يشغله معاشه وحياته وزوجه وأولاده وصحته وموقعه، ومستلزمات دنياه في المسائل المادية والروحية، ثم تكمن خطورة هذه الحاجات، في إمكانية حرف الإنسان عن الاستقامة والفلاح، بسبب خطئه في التعاطي معها. هذه الحاجات غير منكرة،

(١) سورة الحديد، من الآية: ٣.

وهي طبيعية في الحياة الدنيا، ومن خلالها يرقى الإنسان إلى درجات الطاعة والكمال بحسن أدائه، وينحرف إلى المعاصي بسوء أدائه.

ماذا نفعل كي لا يملكنا المال، فنصبح عبيداً له؟ ولا نعمل للحصول عليه عن طريق الحرام؟ ولا نصرفه على ملذاتنا في غير ما أحلَّ الله؟ في الوقت الذي يمكننا فيه أن نملك المال بالحلال، ونصرفه في حاجاتنا، و يكون خادماً لنا، نتحكَّم به في إدارة شؤوننا.

كيف نستخدم سلطتنا في إدارة الأسرة، أو الشركة، أو المؤسسة، أو مجموعة من الناس، من غير أن نظلمهم أو أن نؤذيهم لتحقيق وجودنا؟ في الوقت الذي يمكننا أن نسوسهم وندير أمورهم بالحكمة، وحسن التصرف، مع تحقيق احترامهم لنا، وانجازهم لمهماتهم بإدارتنا.

هل تستقيم حياتنا إذا غرقنا في ملذاتنا، ولم نلتفت إلى عباداتنا في زحمة الحياة المادية؟ مع أنه بإمكاننا الجمع بين عبادةٍ تُهذِّب النفس وتعطي دفعاً للطاعة، ورغباتنا ومشاريعنا في الحياة، من دون تعارض بينهما.

ما الذي ينفعنا إذا بقينا متوترين، وخائفين على حياتنا من الموت، وأرزاقنا من الفوت، ومكتسباتنا من الزوال، ومستقبلنا من الانحدار؟ فقد عملنا ما علينا، ولم يبق بإيدينا إلَّا التوكل على الله، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

كما لاحظت أيها العزيز، فمرد الأمور كلها إلى نظرتك إلى الدنيا وكيفية تعاملك معها من ناحية، وتقييمك لعلاقتك مع ربك، وما تعتقده صانع بك من ناحية أخرى. إحسم خيارك بتوجيه أمير المؤمنين عليه السلام في نظرته إلى الدنيا الفانية مخاطباً إياها بحقيقتها: «**فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير. آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم المورد**»(١).

واعلم أن الله يكفيك ما أهمك في شؤونك وشجونك، بما قدَّر له وقضاه، فلا داعي لتُتعب نفسك وعقلك وجسدك فيما لم يقدِّره الله لك، فضعفك وعجزك لا يسمحان لك بأكثر مما فعلت، وتعامل مع النتائج بقناعة، انها حصتك ونصيبك الذي لا يخطئ. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا يجد أحد طعم الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»(٢). فإذا شعرت بضيق مما أنت عليه، واتجهت رغبتك إلى مطالب أخرى، فلا تتوانى عن أن تلجأ إلى الله، وفق القاعدة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا دعوت فظنَّ أنَّ حاجتك بالباب**»(٣). وبهذا تعيش الطمأنينة والراحة في التوكل على الله تعالى ليكفيك ما يشغلك كما يحب ويرضى، وأنت معتقد بأنَّ ما جرى فيه مصلحتك في الدنيا والآخرة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٧٧، ص٧٤٨.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧٣.

السؤال الذي لا مفرَّ منه

«وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ». اجعلني يا رب من العاملين بصدق وصلاح بما تسألني عنه يوم القيامة، فأكون مقبولاً عندك، ومثاباً في جنتك. فما أعطيتني من نعمك لم يكن عبثاً، وأنت القائل ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[1]، وأنا المسؤول عن أداء حق النعمة بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

خذ بيدي يا رب، لأكون في كل عطاياك حاضراً للإجابة يوم القيامة من دون أن أفشل في اختبارك لي في هذه الدنيا، وأعنِّي يا رب كي استفيد من فرصة الشباب والطاعة والغنى والفراغ والحياة للقيام بصالح الأعمال، وكأنَّك تشرف عليَّ مباشرة، وتوجهني بإرادتك، وتستعملني بمشيئتك، وذلك بتسديدي لما هو خير لي في عدم التفريط بما أوليتني من نعمك وبركاتك. ففي توجيه رسول الله ﷺ لأبي ذر قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[3].

انتبه أيها العزيز، فقيمة عملك أن تقوم به بما يرضي الله وأنت

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٩٣.

(٣) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٤٥٩.

بكامل قوتك وقدرتك، لا أن تستهتر في فترة شبابك، وتتبع غرائزك، وتستهلك قوتك في الحرام، ثم عندما تخسر تلك الطاقة التي منحك الله إياها، وتشارف على الهرم، تتعفف وتمتنع! عندها، ربما كان امتناعك عن الحرام لضعف قدرتك، وانعدام جاذبيته بالنسبة إليك، بسبب كبر سنك. لماذا لم تبادر أثناء الشباب والعنفوان؟ ماذا ستجيب ربك عند سؤاله إياك عن عمرك فيما أفنيته؟

انتبه، فصحتك تغرر بك لتقوم بما تهواه نفسك، وغناك يدفعك للمباهاة والإسراف ومنع الحق الشرعي، وحياتك تشكل الجاذبية الكبرى للتعلق بالدنيا بإعمارها على حساب الآخرة ويوم الحساب. فهل أنت ملتفت إلى السؤال الذي لا مفرَّ منه؟ يوم لا ناصر لك ولا معين، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1]. هل اعددت إجاباتك على ما مرَّ معك في حياتك؟ يوم تجد صحيفة أعمالك مملوءة، أمام كتاب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2]. هل أجريت تجربة بينك وبين نفسك في استعراض ما لديك لتقيِّم نجاحك أو فشلك في الاختبار؟ هل أحضرت يوماً قلماً وورقة، وجرَّبت مرة في الأسبوع أو الشهر أن تكتب أعمالك الصالحة وأعمالك السيئة، لتقارن بينها، وترى حجمها، وتضع خطتك لمعالجة ما فسد من أعمالك؟ لعلَّ حسابك لنفسك قبل يوم الحساب

(١) سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧.

(٢) سورة الكهف، من الآية: ٤٩.

يساعدك على كشف عيوبك لتعالجها قبل فوات الآوان، فعن النبي ﷺ: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أو تُوزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر**»[١].

أدعُ الله أن يستعملك في طاعته، وأن ييسر قيامك بالعمل الصالح، فإنَّ العمل الصالح هو المفتاح الحقيقي للنجاة عند السؤال في يوم الحساب. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لأنسبنَّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل**»[٢].

دور الإنسان في الحياة

«وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ». أفرغ أيامي يا رب، لتكون مليئة فيما قررته من سبب لخلقي كإنسان، فإنك قلت في كتابك العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، فاجعلني يا رب من الذين يتعرفون على قدرتك وصفاتك، ويعبدونك لأنك أهل العبادة، كي أنسجم مع الدور الذي أوجدتني لأجله في هذه الحياة، فلا فراغ في حياتي إلَّا وهو مملوء بما أمرتني به، ليكون مساري بالكامل على هدي رسالة الإسلام. وقلت جلَّ ذكرك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤]،

---

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٧٢.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٢٥، ص ٧٦٣.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٣.

وعلى الخليفة أن يُحسن الخلافة الممنوحة له من الرب القدير، ليكون جديراً بالمسؤولية. وقلتَ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1]، وعلى المؤمن أن لا ينجرف وراء أهوائه فيظلم ويضل، بل عليه أن يكون على مستوى الأمانة الإلهية، اقتداء بالإنسان الكامل من أهل العصمة من الأنبياء والأئمة.

أيها العزيز إنَّ أيام حياتك هي الرصيد الوحيد في صحيفة أعمالك، لا يمكن استبدالها، ولا يمكن تعويضها، وهي تمر مرَّ السحاب، فاغتنم الفرصة قبل فواتها، ولو تأملت قليلاً في كل عمل قبل إقدامك عليه، لاستطعت توجيهه في الاتجاه الصحيح، فتكسب لحظتك في الطاعة، وتكسب نتائجها في ثواب يوم الحساب.

ما الذي يبقى لك من اللذة المحرمة؟ إنها متاع زائل، يذهب مفعوله بسرعة، ويبقى أثره مدوَّناً في كتابك، ومع الأيام على هذا المنوال، تتراكم الذنوب فيتجه الكتاب إلى شمالك، وأنت لا تقوى على نقله إلى يمينك لما أثقلته في دنياك، فتصبح ـ لا سمح الله ـ من أصحاب الشمال، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[2]. أعاذنا الله من غضبه، وأعاننا على صرف جهدنا في أيامنا لرضاه، إنه سميع مجيب الدعاء.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٤١ ـ ٤٤.

٤

وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ وَلاَ تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

الرزق وفتنة النظر

«وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ». نلاحظ أن أدعية النبي ﷺ وآله عليهم السلام تركِّز على طلب الغنى والسعة في الرزق من الله تعالى.

أولاً ـ لتأكيد مشروعية هذا الطلب المرغوب في حياة الإنسان.

ثانياً ـ لانحصار مصدر الرزق بالله الرزاق الذي يقسِّم نِعَمهُ وعطاياه على العباد.

ثالثاً ـ لتأثير الدعاء في زيادة الرزق كما ورد في الروايات المختلفة، منها: عن رسول الله ﷺ: **«ألا أدُلُّكم على سلاح يُنجيكم**

من أعدائكم ويدرُّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فإنَّ سلاح المؤمن الدعاء»(١).

رابعاً ـ للآثار المعنوية لطلب سعة الرزق، فإذا تحققت الزيادة استأنس الفرد وارتاح لبحبوحة العيش، وإذا لم تتحقق عاش اطمئناناً نفسياً في قيامه بما عليه بإيكاله الأمر إلى الرزاق، الذي لا يُعطي ولا يمنع إلَّا لمصلحة المؤمن.

إنَّ سعة الرزق بركة، وطلبه في حلِّه وضوابطه ليس من التعلق بالدنيا، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**نعم البركة سعة الرزق**»(٢)، ولا إشكال بين الرضى بما قسم الله تعالى، والدعاء بزيادة الرزق، فالمؤمن يدعو ويرضى مهما كانت النتيجة، ومن المستحب أن يُكثر المحتاج طلبه من الله الغني، وأن يُلح في الطلب، ما يزيد من ارتباطه بمصدر العطاء.

هذا لا يعني أن يدعو وينتظر، بل أن يقوم بما عليه من السعي، ثم يدعو الله تعالى ليرزقه. عن شيخ الطائفة الطوسي(قده) عن علي بن عبد الله العزيز أنَّه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ما فعل عُمر بن مسلم؟**

قلتُ: جُعلتُ فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة.

فقال: ويحهُ، أما عَلِمَ أنَّ تارك الطلب لا يُستجاب له دعوة؟ إنَّ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٢٦٨.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٤٩٤.

مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أغلقوا الأبواب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كُفينا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأرسل إليهم، فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله، تكفَّل الله بأرزاقنا، فأقبلنا على العبادة. فقال: من فعل ذلك لم يُستجب له، عليكم بالطلب»[1].

فإذا تيقَّن المرء بأن الرزق من الله تعالى، وسعى سعيه ثم دعا ربَّه، فليحرص على عدم الانزلاق لكسب الرزق عن طريق الحرام، فإنَّه بذلك يُبطِلُ يقينه وإيمانه بالرِّزق، ويكون قد لجأ عملياً لغير الله، ما يؤدي إلى عواقب وخيمة، تؤثر على سلوكه وحياته. فليطمئن بأنَّ حصته ستصل إليه مهما تأخرت، ولن يزيدها طريق الحرام شيئاً. عن رسول الله ﷺ: **«ألا وأنَّ الروح الأمين نفث في روعي، أنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق، أن يطلبه بغير حلِّه»**[2].

إنَّ سعة الرزق نعمة، تتحول إلى ابتلاء سلبي، عندما يحرفها الإنسان عن مسارها، فبدل أن تكون للتوسعة على نفسه وعياله، وتأدية حاجاته، تتحوَّل عند الكثيرين إلى حالة من البطر، وهي الطغيان بالنعمة، يفرحون بها ويثقون بدوامها، يرغِّبهم في ذلك قدرتهم على التصرف، وتشجيع ضعاف النفوس لهم، ورغبتهم في

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص ٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٤.

التسلط على العباد، وتحقيق المكتسبات الدنيوية، فينسون ربهم وخالقهم الرزَّاق، ما يجعلهم مقصرين في أداء حق الرزق، وذلك بصرفه في غير حلِّه، والإسراف، والتقصير في دفع الحقوق الشرعية منه، وغير ذلك مما يُشعرهم بالاستغناء وإدعاء القدرة الذاتية لما وصلوا إليه، وهذا خطر كبير، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾[1].

إسأل ربَّك أن يجنِّبك فتنة النظر إلى ما عند الآخرين من رزقٍ ونِعَمْ، وليكن اهتمامُك بالطَّلب من الله تعالى فقط، فرزقك مقسوم من عنده جلَّ وعلا ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[2]، ولن يزيدك النظر إلى ما عند الناس إلّا حسرةً وإثماً، واعلم أنَّ رزقهم فتنةٌ واختبارٌ لهم، وما لَكَ من رزق عند الله تعالى خيرٌ وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3]، ولعلَّ بعض الذين يستبطئون الرزق لا يلتفتون إلى احتمال كون مصلحتهم في الفقر، إذ قد يحرفهم الغنى عن طاعة الله.

العزة والكبر

«وَأَعِزَّنِي وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ». اجعلني يا رب عزيزاً، أعيش حالةً من القوة المعنوية التي تجعلني أعلى من الكافرين مهما بلغت قوتهم وإمكاناتهم، وحالةً من القوة المادية التي أكون فيها منتصراً عليهم، لأكون متميزاً في علو المقام مع المؤمنين بنصرك، في مقابل

---

(١) سورة العلق، الآيات: ٦ ـ ٨.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.
(٣) سورة طه، الآية: ١٣١.

انخفاض مقام الكافرين بِذُلهم المادي ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾[(١)]، وبما أنَّ العزَّة لك وبيدك فاعطني منها، وأنت القائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٢)]، فإذا أكرمتني بعزّتك، رفعت من شأني، ومع عزة المؤمنين برفع شأنهم أيضاً، تتكامل دائرة العزة بالصلة بك لا بغيرك، فيكون المؤمنون في علو مقامهم كما هم دائماً بالإيمان.

لقد أعزَّ الله المؤمنين في مواطن كثيرة، أعزَّهم بقيام دولة الإسلام على يد رسول الله ﷺ في أصعب ظروفٍ اجتمعت فيها قريش والأحزاب واليهود ضد دين التوحيد، وأعزَّهم بأخذ مكانتهم في العالم عبر العصور ليكونوا ملهمين للبشرية في ازدهار المدينة وتثبيت تعاليم الحضارة الإسلامية في الأمة، وأعزَّهم في أصعب محطة تاريخية في القرن العشرين عندما تقاسمت أمريكا وروسيا العالم فلم يخرج من دائرتهما شرقٌ ولا غربٌ، وذلك بنصر الله لإيران الإسلام بقيام دولتها المعاصرة بقيادة الإمام الخميني(قده)، ونصر الله المجاهدين في لبنان على إسرائيل وأعزَّهم وأعزَّ مقاومتهم الإسلامية في حدثٍ فريد وفي مواجهة غير متكافئة فشكَّل ذلك نقطة انطلاق حيوية لمصلحة الدين والأمة. وهكذا نجد مواطن العزة كثيرة عندما يقوم المؤمنون بواجباتهم ويرتبطون بربهم.

ولكن للعزةِ آفة، آفتها الكبر، والكبر هو التعالي والتعاظم على

---

(١) سورة يونس، من الآية: ٦٥.

(٢) سورة المنافقون، من الآية: ٨.

الناس بما ينتاب الفرد أو الجماعة من تصور للتقدم والتفوق والفوز، وهذا خلاف التواضع الذي يعتبر صفةً إسلامية ملازمة للمؤمن، فإذا تحققت العزة، لزم أن يصاحبها التواضع لا الكبر. وإنما يتَّصف بالكبر من نسي أنَّ العزة منحة إلهية، ومن اعتدَّ بقوته غير ملتفت إلى تسديد الله تعالى وعطائه.

الكبر مرض يُودي بصاحبه، ويُسقطه بين الناس وعند الله تعالى، وله عقاب شديد في الآخرة، فعن رسول الله ﷺ: «**لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»[1]. وهو حالة نفسية مَرَضية تنعكس على تصرفاته من الآخرين، سواء في مشيه، أو تقاسيم وجهه، أو طريقة جلوسه، أو نبرة صوته، أو طريقة خطابه، أو مفردات كلماته، وقد ذكر تعالى في القرآن الكريم بعض مظاهرها بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[2]. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3] فالكبر لن يزيد الإنسان إلَّا خساراً، فهو لن يحقق بذلك أي إضافة أو مكسب، ولن يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، بل سيسيء إلى علاقاته مع الآخرين، الذين ينفرون من هذا الطبع الذميم.

أيها العزيز، ازدد تواضعاً مع العزة يزيدك الله عزَّة في الأرض

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص١٥٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.

وفي السماء، وابقِ سلسلة العزة مترابطة مع الله والرسول تؤمِّن استمراريتها واستمرار مفاعيلها في حياتك، واطرد شيطان نفسك الذي يوسوس لك لتشمخ برأسك، فتحمي بذلك دينك واستقامتك، ولا تلتفت إلى المدَّاحين الذين ينفثون سمومهم بإبراز براعتك بمعزل عن الله تعالى، فتكون بذلك قد تجاوزت حجاباً من حجب الطاعة، وانظر إلى عجزك وضعفك وانك لا تساوي شيئاً مهماً في هذا الكون، لتقف عند حدِّك وتتيقن أنك ارتفعت بعزة الله، ما يستلزم شكراً دائماً لتدوم نعمته عليك، ومن مظاهر هذا الشكر أنْ تتواضع لتظلك بركات العزة ما دمت حياً.

العبادة والعجب

«وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ». العبادة لله سبيل للسمو الروحي الذي ينمو باستمرار كلما كان التفاعل معها أفضل، فالواجبات العبادية تحمل قابلية تعزيز الصلة بالله، من خلال الصلوات الخمس وما تحققه من التواصل الدائم مع الخالق في مختلف أحوال الإنسان اليومية، وذلك قبل مباشرة عمله في الصباح، وأثناء انغماسه فيه في وسط النهار، وعند انتهائه مع دخول الليل تمهيداً لختم اليوم والاستراحة، ومن خلال الصوم وما يُنجزه من دورة سنوية لمدة شهر واحد لتقوية الإرادة والإخلاص لله تعالى، وهكذا فلكل عبادة آثار، تتمحور في بقاء الإنسان الضعيف المبتلى متواصلاً مع الخالق القادر المطلق الذي يُعطي ويُغني ويُقوّي، لينتصر المرء على شهواته وغرائزه.

إنَّنا بحاجة إلى هذه العبادة التي لا ينتفع الله منها بشيء، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، لكنَّ تقرُّبنا منه يفيض علينا من رحمته وهديه وتسديده وعطاياه المختلفة. وبما أنَّنا محتاجون، فلنروِ ظمأنا بالسَّكينة والتذلل والخشوع بعيداً عن المباهاة أمام الآخرين، كي لا نُذهب عباداتنا وأعمالنا بإدعاءاتنا وافتخارانا.

العبادة تذللٌ لله، وهي علاقة بين المخلوق والخالق، وهي مبتنية على النية الصادقة والإخلاص لرب العالمين، فإذا توفقت لصلاة روحانية مؤثرة، أو أقمت صلاة الليل في عددٍ من لياليك، أو شعرت بلذة العبادة في عشقك لله وارتباطك به وهيامك بحبه. . . فلا داعي للتفاخر وذكر ما وصلت إليه أمام الناس، كي لا تُبتلى بمرض العُجب، وكي لا تستكثر عملك فترى نفسك في المقام الأعلى، وكي لا تتحول العبادة عندك إلى سببٍ لرفع شأنك بين الناس. واعلم أنَّ آثار عبادتك ستظهر وستحصد نتائجها بتوفيق الله لك، من دون حاجة إلى ذكر تفاصيلها أمام الآخرين.

أنت رابحٌ في العبادة الصادقة في ثلاثة اتجاهات:

الأول: قبول الله لعبادتك، وتسجيلها في صحيفة أعمالك، وإثابتك عليها في يوم القيامة.

الثاني: تأثير العبادة على شخصيتك واختياراتك، وما تؤدي إليه من انقيادك إلى مسيرة الهدى بطاعة أوامر الإسلام التي تحقق

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ٩٧.

التوازن والتكامل في شخصيتك، ما يجعلك مستقراً ومطمئناً وناجحاً في جهاد نفسك.

الثالث: الانعكاس التلقائي للعبادة على سلوكك وتصرفاتك مع الآخرين، فنور طاعتك سيشع بين إخوانك وجيرانك وأصدقائك، ونموذج إيمانك سيبرز بشكل عملي في علاقاتك وأدائك.

انتبه! فالعجب آفة العبادة، والعُجب أن ترى امتلاكك لصفات وهمية في كمالات العبادة غير متوفرة فيك، لأنها لو كانت موجودة لما أصابك العجب، فرقي العبادة يتحقق بهدوء النفس واستقرارها وتذللها وتواضعها، ولا يكون بالافتخار والتعالي والتباهي، وهذا مؤشر على إخلاص العبادة أو عدمها.

قال الله عزَّ وجل لداود عليه السلام: «**يا داود بشِّر المذنبين وأنذر الصدِّقين. قال: كيف أبشِّر المذنبين وأنذر الصدِّقين؟ قال: يا داود بشِّر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدِّقين ألَّا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلَّا هلك**»[(١)].

ما قيمة أعمالك أيها الإنسان لولا رحمة الله؟ وهل تنجو من عذاب القيامة إلَّا بفضل الله؟ فاحرص أن تكون عبادتك خالية من العجب، لتساعدك في العبور إلى الرحمة والفضل، وإلَّا أصابتك الهلكة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**من دخله العجب هلك**»[(٢)].

واحذر من الذنوب التي تسيطر عليك وتستهلك أعمالك

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٣١٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٣.

وتبطلها، ومنها ما سأل عنه موسى عليه السلام ربَّه قائلاً: «**فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه**»[١].

إليك هذه القصة المعبِّرة عن عابد تباهى بعبادته أمام أحد العلماء. عن أبي عبد الله عليه السلام: «**أتى عالمٌ عابداً، فقال له: كيف صلاتك؟**

فقال: مثلي يُسأل عن صلاته!؟ وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا. (متعجباً من السؤال لاعتقاده أن صلاته مميزة).

قال: فكيف بكاؤك؟

قال: أبكي حتى تجري دموعي.

فقال له العالم: فإنَّ ضحكك وأنت خائف، أفضل من بكائك وأنت مدلٌ[٢]**، إنَّ المدل لا يصعد من عمله شيء**»[٣].

إنَّ العجب درجات كما ذكر أبو الحسن عليه السلام في جواب من سأله عن العجب الذي يفسد العمل، فقال: «**العجب درجات، منها: أن يزيَّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنَّه يحسن صنعاً. ومنها: أن يؤمن العبد بربه فيمنَّ على الله عزَّ وجل، ولله عليه فيه المن**»[٤]. ففي النموذج الأول أخبرنا الله تعالى بالخسارة الحتمية

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٣١٤.

(٢) المدل: المنبسط المسرور الذي لا يخشى التقصير.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٣.

(٤) المصدر نفسه،ج٢، ص ٣١٣.

لأصحابه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١]، وفي النموذج الثاني ذكَّرنا الله تعالى بمنه علينا أن هدانا إلى طاعته، فكيف يقلب هؤلاء الحقيقة ويمنون على الرسول أن آمنوا فلولا هداية الله لهم لما اهتدوا، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢]. وقانا الله من كل درجات العجب، ووفقنا لعبادة خالصة لوجهه الكريم.

الخير والمن

«وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَديَّ الْخَيْرَ وَلاَ تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ». المؤمن منفتح على الناس، وصاحب خير في كل أعماله، وهو يدعو ربَّه أن يجري على يديه الخير بشكل متواصل لتكون حياته بأكملها مطبوعة بالخير. فيا رب اجعل اتصالي بالناس خيراً، وكلامي معهم خيراً، وعملي معهم خيراً، وصدقتي لمحتاجيهم خيراً، وتعليمي لأولادهم وجهلتهم خيراً، واهتمامي بشؤونهم خيراً، وقيادتي لجماعتهم خيراً. أي رب وفقني ليكون الخير في كل أداء مني، ومع كل من اتصل به، وبطريقة لا تنقطع أبداً، فانتقل من خير إلى خير.

هذا النموذج من العطاء انعكاس لتربية الإسلام لنا، فالخير لا نؤديه في مقابل المكاسب المادية الآنية، إنما نبتغي تأكيد إيماننا بسبيل الله تعالى، حيث يكون عطاؤنا قربة إلى الله تعالى: ﴿قُلْ مَا

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[١]. فإذا أردنا نتائج هذا الخير كما نبتغيه، فائدةً للإنسان وأجراً عند الله تعالى، علينا أن لا نبطله بالمن، أو بتذكير الآخرين بجميل ما صنعناه لهم، فهذا مما يُسقط ما أجراه الله تعالى على أيدينا من الخير.

إياك أن تقول لمن علَّمته: أنت بفضلي تعلمت، ولولاي لكنت جاهلاً! وإياك أن تقول لمن أطعمت: لولاي لمتَّ جوعاً! وإياك أن تقول لمن خدمته: مصيرك كان سيئاً لولا أني سعيت لك بوظيفة لمعاشك! وإياك أن تقول لولدك: أنا أعطيتك، وأطعمتك، وكسوتك، وبذلت لك، فهو يعلم ذلك ولا داعي لإشعاره بالمذلة! وإياك أن تشهِّر بمن تصدَّقت عليه، فتخسر أجر الصدقة، وتؤذي بذلك من تصدَّقت عليه!

إنَّ المن يمحق الخير، ويمحو فعاليته وآثاره الإيجابية، وهذا ما يشمل كل إحسان وعطاء، ومع أي إنسان قريب أو بعيد، وفي علاقته مع الناس مع بعضهم البعض. وقد وجَّه أمير المؤمنين علي عليه السلام مالك الأشتر عندما ولَّاه على مصر، بكتابة عهدٍ عُرف بعهد الأشتر فيه من الأسس التي يستقيم معها الحكم، وينجح فيها الحاكم مع المحكوم، ومما قاله في التحذير من المن: «**وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيُّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتُتبع موعدك بخلفك، فإنَّ المنَّ يُبطل الإحسان**»[٢].

---

(١) سورة سبأ، من الآية: ٤٧.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٦٩٣.

ولعلَّ أبرز موارد المن ما يرتبط بالتصدق على الفقراء المحتاجين، حيث ينهى الله المؤمنين عنه ويعتبره مبطلاً لأجر الصدقة، قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال، وكرهتها للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي، منها: المن بعد الصدقة**»[٢].

ليكن مسار الخير في حياتك جزءاً لا يتجزأ من أدائك الطبيعي، فإن النفس الإنسانية عندما تتربى على الإيمان والعبادة والطاعة، لا يمكن إلَّا أن تتوِّج ذلك بالعطاء، الذي ينساب خيراً من دون تكلف، فلا تبطله بالمن والأذى.

معالي الأخلاق والفخر

«وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ». معالي الأخلاق هي الرتب العليا من الأخلاق، وهي مكارم الأخلاق في أتمِّ صفاتها، إنها المستوى الأرفع الذي يجب أن يكون نظرنا وسعينا إليه، بحيث تزول من أمامنا الحدود، فلا نقنع بالقليل من الأخلاق، ولا نكتفي ببعض السلوكيات الجيدة، بل نسعى لنرتقي في تربية أنفسنا لتتهذَّب وتصل إلى معالي الأخلاق.

لا يقبل المؤمن بالقليل في درب الطاعة، وإنما يطمح دائماً إلى الأعلى في كل شيء، فللتقوى درجات وطموحه إلى أعلاها،

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٦٣.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص٢٢.

وللإحسان مراتب وسعيه إلى أعلاها، وللأخلاق منازل وتربيته نحو أعلاها. هذا لا يعني أن الأدنى من الفضائل غير مقبول، لكنَّ الاكتفاء به يحدُّ من الخيرات الكثيرة التي يحصل عليها الإنسان فيما لو تابع الطريق.

أنت أيها العزيز تحمل كل القابليات الخلقية العليا، باستطاعتك أن تكون الصادق والمخلص والأمين والوفي، ومن عباد الرحمن، ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ومن الرحماء على المؤمنين، والأذلة معهم، ومن الذين يسعى نورهم بين أيديهم، ويشع على الناس خيراً وبركة وصلاحاً وإصلاحاً... كل هذه الصفات الإنسانية نحو الكمال متيسرة لك كأهداف تسعى إليها، وهي من ضمن منظومة كاملة وحلقات متصلة، يشدُّ بعضها البعض الآخر، ويستجلب بعضها البعض الآخر، وسرعان ما تجدها في شخصيتك فسيفساء تشع بأنوار الهداية، إذا ما امتلكت الإرادة الجدية والإخلاص في حركتك نحو الله. فما دامت انطلاقتك باتجاه المطلق، وما دمت مصمماً على الوصول، فإن الله ييسِّر لك سبل التوفيق والنجاة، لينساب سلوكك بين الناس من دون تصنُّع، ولتعبِّر من خلال أفعالك عن مكارم أخلاقك.

أيها العزيز، لا تستبعد نهاية الطريق، ولا تطل النظر إلى قمة الجبل وأنت واقف مكانك، اشحذ همتك، وضع أمامك أقصى

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٣٤.

الهدف، وثق بنفسك وبعون الله لك، وسر على بركة الله خطوة تلو أخرى، على الطريق المستقيم، وأزل الحجب من أمامك بكسر تحديات الشيطان ومخالفة الأهواء والتخلي عن رفقاء السوء، عندها تصل إلى لذة سمو الأخلاق، التي لا تعادلها أي لذة أو سعادة، بعد أن تكون قد تجرَّدتَ من أنانيتك لتكون الإنسان في طريق الكمال، وعندها كل الأوصاف عاجزة عن أن تترجم سعادتك مع معالي الأخلاق.

ولكن! احذر من عقبات الطريق، فتصميمك مهددٌ بالآفات التي تقف في طريق الدين، قال أبو عبد الله عليه السلام: «**آفة الدين: الحسد والعجب والفخر**»[١]. واعلم أن آفة الفخر تتربص بك إذا ارتقيت بأخلاقك، لتُذهب ما وصلت إليه وتعيدك إلى الحضيض. إذا أردت المحافظة على معالي الأخلاق، عليك أن تزداد تواضعاً، وأن لا تفتخر بنفسك أمام الناس، وادعُ الله صاحب الفضل والحمد والمن والفخر، وذكِّر نفسك بأن ربَّك مصدرُ كل عطاء وتوفيق ونعمة. أتى جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: «**إنَّ ربَّك يقول لك: إذا أردت أن تعبدني يوماً وليلة حقَّ عبادتي، فارفع يديك إليَّ وقل: اللهم لك الحمدُ حمداً خالداً مع خلودك، ولك الحمدُ حمداً لا منتهى له دون علمك، ولك الحمدُ حمداً لا أمَدَ له دون مشيئتك، ولك الحمدُ حمداً لا جزاء لقائله إلا رضاك، اللهم لك الحمد كله، ولك المن كله، ولك الفخر كله**»[٢].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨١.

يابن آدم، ما الذي يدعوك إلى الفخر؟ من أنت وما قدرك؟ ألم ييسر الله لك كل شيء؟ من الحياة والنعم التي لا تعدُّ ولا تُحصى، إلى مقومات السمو والارتقاء! إذاً ما الذي يجعلك تعيش حالة الزهو والفخر؟ لماذا تردد كلمة «أنا» في مفردات أحاديثك بشكل كبير؟ تقول دائماً: أنا فعلت، أنا أصلحت، أنا أحسنت، أنا سهلت سبل الهداية لهؤلاء الشباب، أنا صاحب الأخلاق الفاضلة، أنا الذي أصيب في كل أفعالي، أنا الأحسن أخلاقاً وصبراً وإحساناً!

يا عبد الله! إقرأ قول أمير المؤمنين علي عليه السلام يذكرك بنفسك، ويقول لك من أنت، ويبين أول حياتك وآخرها، «**ما لابن آدم والفخر! أوله نطفة، وآخره جيفة، لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه**»[1]. مسكين يابن آدم، كل ما فيك وعندك يفنى، وكل ما يحييك ويبقيك ويقوّيك من الله تعالى، فتذكر ذلك، لتصل إلى معالي الأخلاق، وتذكَّر صورة بدايتك ونهايتك في الحياة لا تفارقك، لتتواضع، وتؤتي مكارم الأخلاق أُكُلها.

****

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٤، ص ٨٤٦.

٥

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

توازن النفس

هذه هي المحطة الهامة لتحديد مسار الإنسان، إنَّها النفس التي تثبِّت توجيهات السلوك، وتؤثر على الأداء، وتتحكم بالانطباعات وتقييم الأحداث، وتحدِّد النظرة إلى القضايا المختلفة. إنَّها النفس التي إذا اطمأنت واستقرت لامست الحياة بطريقة مختلفة عمَّا لو كانت مريضة ومتأزمة، وبالتالي فإنَّ الناس لا ينظرون إلى الأحداث بطريقة واحدة، ولا يتعاملون مع الظواهر بطريقة واحدة، إنما ينطلقون من داخل أنفسهم فيعطون الانطباعات المختلفة بحسب اختلاف أنفسهم.

احذر أمراض النفس الإنسانية ومنها الشعور بالرفعة والزهو والكبرياء، فهي تعيق رقيك في دروب العلى ومكارم الأخلاق، وضع الأمور في مواضعها، فالمكاسب الدنيوية مؤقتة، والآلام مؤقتة، وكلاهما اختبار لآخرتك.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَلاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا»، فإذا وفقتني يا رب لكسب مال وغنى، أو تحصيل علم متقدم، أو استلام موقع اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو علمي مهم، أو تميّز في نتائجي المدرسية عن زملائي، أو براعة في الخطابة والمحاورة والاقناع للجلساء، أو جمال ظاهر للعيان بين أقراني، أو قوة تجعلني مهاب الجانب من الأعداء، أو تقييم إيجابي ومتقدم من الناس لي بحيث يبرز ذلك في كلماتهم وإشاداتهم بي، أو أخلاق تجعلني منظوراً للآخرين بحيث أسمع منهم الإطراء والتزكية... يا رب إذا جعلتني راقياً في نظر الآخرين، ثم عشت حالة من الزهو في ذلك في داخل نفسي، فاجعلني قادراً على مواجهة هذا الزهو والرفعة، بأن أحدِّث نفسي عن ضعفها وعجزها وفقرها، وانها ما كانت لتحصل على هذه المكانة لولا توفيقك، وأنَّ عليَّ أن أتواضع في مثل هذه الحالة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كفى بالمرء من الإثم أن يشار إليه بالأصابع. قالوا: يا رسول الله وإن كان خيراً؟ قال: وإن كان خيراً، فهو شرٌ له إلّا من رحمهُ الله، وإن كان شراً فهو شر**»[1]. لماذا؟ لأنَّ الاشارة إليه بالأصابع تضعه في موضع الإشادة أو التهمة، وكلاهما يعرِّضه للإثم، أمَّا الإشادة فنتيجة الإيجابيات التي تبرز وهي خير، لكنَّ تفاعل النفس معها وشعور الإنسان بالرفعة يؤدي إلى السلبية

(١) محمدي الريشهري، ميزان الحكمة، ج٥، ص ٢٠٥.

والإثم، فإذا لم تؤد إلى الرفعة فهذا خير، وهي رحمة من الله تعالى، وأمَّا التهمة فإذا كانت لسلبية ظاهرة فهي شر وإثم بطبيعة الحال.

إنَّ الاشارة بالأصابع شاملة لأمور الدين والدنيا، فقد يشيرون لموقع عالم دين أو طالب علم أو المتدين لوعيه واستقامته وحسن كلامه وأخلاقه ومستوى عبادته وعلائم التقوى على وجهه وفي أعماله، وقد يشيرون لكسب دنيوي في المال أو الجاه أو الرئاسة أو النجاح مما يشمل عامة الناس، فالفتنة بذلك لا تختص بفرد دون آخر، ولا بجماعة دون أخرى، إذ لكلٍ مسألةٌ أو مسائل تجعله معرضاً لهذا الاختبار الذي يجب الانتباه منه. إنَّ من صفات المؤمن كما ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه: «**يكره الرفعة ولا يحب السمعة**»[1]، في المقابل هناك من يحّب أن يُشار إليه، وأن تُذكر صفاته الإيجابية في كل محفل ومنتدى ولقاء، بل أن تُضخَّم وتكون أكبر من واقعها، وهذا ما لا ينعكس على النفس من داخلها فقط، وإنما ينعكس على العلاقة مع الناس وكيفية التصرف معهم.

مسكين هذا الفقير الذي أغناه الله تعالى بفضله فتغيرت نظرته إلى الأمور، واصبح يتعاطى مع الناس وخاصة الفقراء منهم بفوقية! ألم يكن واحداً منهم؟ ألم يعش همومهم وطريقة تفكيرهم؟ ألم يكن يتألم من المتكبرين؟!

مسكين ذاك التلميذ الذي تدرَّج في العلم إلى أن حصل على

---

(١) محمدي الريشهري، ميزان الحكمة، ج٥، ص ٢٠٥.

الشهادات العليا، وأصبح يشعر بتميزه وينظر نظرة دونية للتلامذة أو للآخرين مِنْ دونه! ألم يمر بهذه المرحلة؟ ألم يتأذى من أستاذ شمخ بأنفه أمامه وأمام زملائه؟ وهل نسي فضل الله عليه في منحه العقل والقدرة والظروف التي ساعدته للوصول إلى هذا المستوى؟

تعساً لذلك المتبختر إذا كان حاكماً أو مديراً أو مالكاً أو أياً كانت رتبته ومكانته، ما الذي جعله لا يضع النعمة موضعها ولا يشكر خالقه عليها؟ ألم يكن طامحاً وراغباً لها، راجياً ربَّه أن يوفقه للحصول عليها؟ وقد حصل عليها!، فليلتفت إلى أنها عطية من رب العطايا، وليتواضع فيما حصل عليه، فهذا أدوم للنعمة والتوفيق.

ذكر لنا رسول الله ﷺ المعادلة التالية: «**من تواضع لله رفعه، ومن تكبَّر خفضه الله**»[1]، وهي معادلة للحياة، فرفعُ الله للإنسان بالتواضع، رفعٌ في الدنيا بين الناس، بحيث يزداد مكانة ورفعة وسمعة من دون أن يسعى إليها، فهي نتيجة طبيعية لأدائه وتواضعه وتوفيقه. وأمَّا خفض الله للإنسان بتكبره، اسقاطٌ لمكانته وسمعته بين الناس، كنتيجة متلازمة مع سوء أخلاقه، وعدم تقبل الآخرين لهذا النمط.

نحن بحاجة دائماً إلى تربية النفس على الأجواء الطاهرة النقية الخلوقة، فلكل أثر خارجي في حياة الناس، انطلاقةٌ داخليةٌ من النفس الإنسانية، فالمتواضع بين الناس متواضع مع نفسه، بينه وبين الله تعالى، والمتكبر على الناس يعيش الكبرياء والرفعة في داخل نفسه، من وسوسات الشيطان وإغراءات النفس الأمارة بالسوء.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص١٢٢.

بما أن الواقع النفسي هو الأساس، فقد توجه إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بالتربية، بالطلب من الله تعالى، «إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا»، وهنا لا يقصد تحطيم المعنويات، ولا يقصد إلغاء مشاعر الاستئناس بالإنجازات والمكتسبات، لكنَّه يريد تهذيب النفس كي لا تخرج عن حدِّها المستقيم. فيا رب، عندما يراني الناس مهماً، ويتحدثون عني، ويذكرون ذلك أمام مسامعي، لا تجعلني أعير اهتماماً لما يقولونه بأن أرتب أثراً في طريقة تصرفاتي، بل اجعلني أعيش فكرة الرفض لما يصفوني به، فأنا لست مهماً كما يعتقدون، ولست راقياً كما يقولون، ولست مميزاً كما يدَّعون، إذ ما يهمني هو أن أكون كذلك في صحيفة أعمالي التي ترتفع إليك، وما قيمة أن يكون تقييمهم كذلك بينما لا تقيمني في هذه الرتبة، ولو افترضنا أني كنت كذلك، فاجعلني لا أتأثر ولا أرى نفسي في تميُّز مكانتها، ولا أرى عملي أكبر من حقيقته.

ولو كانوا يرون عملي عظيماً، فاجعلني يا رب أسيطر على مشاعري فلا تفلت من عقالها ولا تتجاوز حدود تواضعها، واجعلني يا رب قادراً على رفض ما يعتقدونه فيَّ، لا لأني لست كذلك، بل لأني لا أريد أن أحصل على حب السمعة والرفعة، فإذا رفعتني في الناس درجة، مكنِّي لاخفض مكانتي عند نفسي درجة، لأُحدث التوازن في داخلي، وأرى الطريق بوضوح للوصول إلى الهدف. وإذا حصل أُنسٌ لي بما يتحدثون به عني، فلا تحوله يا رب علواً في داخل نفسي، فأنا بحاجة إلى أن أرى نفسي في الطريق للوصول إلى الهدف الأسمى، لا أن أتوهم الوصول وتجاوز المراحل، وإلَّا ضعفت

همتي، وتعاظمت نظرتي لأعمالي، ولا حلَّ واقعياً ومؤثراً إلَّا إذا بنيتُ على مرضاتك التي تستلزم تواضعي، ولم ابنِ على إشادة الناس بي بما يُحدث لي رفعة وزهواً وكبرياء، فتخفيض الدرجة في النفس مقابل ترفيع الناس لي درجة، خطوة ضرورية لإبقائي في خط التوازن والاعتدال والاستقامة.

أعنِّي يا رب بدعائي لك، فالدعاء يهذب النفس ويرقى بها إلى السمو والارتباط بخالقها القدير، وأنا بحاجة أن أناجيك لتعينني، أنت الذي تساعدني على نفسي، فلا تكلني إلى حولي وقوتي، وإنما أعنِّي بحولك وقوتك. أنت الذي رفعتني في الناس، فأعني على تخفيض ذلك في نفسي، مع علمي بأني المسؤول لقولك في كتابك العزيز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، لكنَّ عونك يسهِّل اختياري.

لاحظ نفسك أيها العزيز، فإنَّها مفتاح الخيرات والشرور، إنْ أصلحتها نجوت، وإن استسلمت لاغوائها هلكت، فاعمل عليها بكل جهدك لتتمكن من الإمساك بها وقيادتها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه**»[2]، ويبدأ إصلاحها بمواجهة المؤثرات عليها ومنها السمعه بين الناس.

وكذلك إذا شعرتَ بالعزة والرفعة ولم يشر الناس إليك بذلك، إعمل على نفسك أيضاً لتدفعها نحو التوازن، قال الإمام زين

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ ـ ١٠.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص١١٦.

العابدين عليه السلام: «وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا»، وهذه حالة أخرى، في أن تكون موفقاً أو ناجحاً أو منتصراً أو متفوهاً أو متصدراً، ما يسبِّب عزّاً ظاهراً للعيان، يدفعك للاستئناس بالميزة التي حصلت عليها، والتي قد تتحوَّل إلى زهوٍ ورفعة وكبرياء، فأنت بحاجة إلى تعبئة نفسك في الاتجاه المعاكس، على القاعدة نفسها التي تحدثنا عنها في الارتفاع بنظر الناس، بإحداث ذلةٍ باطنة في داخل نفسك، بالمقدار نفسه للعزة الظاهرة، ليهدأ داخلك في التعامل مع المكتسبات التي حققتها، ويصلح ظاهرك في انعكاس تصرفاتك أمام الآخرين، عندها لا يخالط العزَّ الظاهري أي إثم.

إذا نجحت في عملك أو مدرستك أو مسؤوليتك، وكان النجاح ظاهراً وواضحاً بين الناس، فأنت أمام احتمالين:

الأول: أن تتعامل مع النجاح بشكل طبيعي، وتشكر الله على ما أنعمه عليك، وتترك لنجاحك أن يفرض نفسه من دون ترويج أو مباهاة، وتكون مستأنساً ومرتاحاً من دون مبالغة، وتحدِّث نفسك بضعفك وبأنك لم تحقق كامل الأهداف، ولا ترى لنفسك منَّة أو مقاماً مميزاً، ثم توجهها لتتواضع كي لا تتمادى مع العزة.

الثاني: أن تتعامل مع النجاح بفرح مفرط، وزهو بارز، وأن تنسب الفعل إليك، وتنسى المنعم عليك، وتروج لنجاحك، وتكرر الحديث عنه أينما جلست، وتخاطب نفسك بدعوتها لتشمخ إلى الأعلى، فهذا إنجازها! ثم تعيش الكبر في داخلك ما ينعكس على أدائك بين الناس.

يدعونا الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الاحتمال الأول في تخفيض مستوى العز الظاهري بالذِّلة الباطنية، في مقابل سيئات الاحتمال الثاني في الكبر الباطني الذي يصاحب العز الظاهري ويتفاعل معه ليصبح مرضاً في النفس والسلوك. لأننا بالذِّلة الباطنية نربح الكثير، إذ نتعامل مع الدنيا بحدودها، فكل إنجازاتها مؤقتة، وما حصلنا عليه هو جزء يسير منها، والعبرة بما نجمعه في نهاية المطاف ليوم الحساب: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] حيث جعل الله الدنيا مسرح العمل، فكيفية التعامل معها طريق النجاة أو العذاب، ويرتبط اختبار النفس بما يحدث في هذه الدنيا. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**آفة النفس الوله بالدنيا**»[2]، لأن التعلق بالدنيا هو الذي يدفع الإنسان للبحث عن أسباب علوه فيها، وهو الذي يحولها إلى هدف دائم خلاف حقيقتها ودورها، وهنا تلعب النفس المنجذبة إليها الدور الأساس في الانحراف، ما يجعل وظيفتنا أن نوجهها نحو صلاحها بالعمل عليها في عدم الاستجابة لمظاهر الدنيا من العز وعلو الدرجات، وذلك بالتعامل مع هذه المظاهر بشكل طبيعي وعادي في أنها إنجازات العمل الإنساني بما أعطانا الله إياه، لنشكل ذخيرتنا للآخرة، لا لنستبد بها بين الناس.

****

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) محمدي الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص ١١١.

٦

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَتِّعْنِي بِهُدًى صَالِحٍ لاَ أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لاَ أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيهَا.

المنهج السليم

«وَمَتِّعْنِي بِهُدًى صَالِحٍ لاَ أَسْتَبْدِلُ بِهِ». الهدى خيار، والضلالة خيار مقابل، فمن ترك الهدى وقع في الضلالة. فهل يعقل أن تستبدل أيها الضعيف الهدى بالضلالة؟ وهل تصلح حياتك بغير هدى؟ وهل اطلعت على أحداث التاريخ، وتعرَّفْت على سلوك الأفراد الذين ضلوا كالنمرود وفرعون وأبي لهب، والجماعات التي ضلَّت كقوم نوح وعاد وثمود والأحزاب؟ أين أصبح هؤلاء؟ وماذا بقي من ذكرهم في التاريخ؟ وما الذي جنوه من ضلالتهم؟

أُطلب من ربك الذي هداك بفطرتك لقدرة الاختيار، أن يهدُيك للهدى الصالح، الذي تصلح معه حياتك، فهدى الله ليس ضريبة أو عقوبة أو حرماناً، إنَّه متعة النفس والجسد بما أحلَّ الله تعالى، وإرشادٌ إلى مكامن السعادة البشرية، فلا تُضِع وقتك الثمين المحدود في هذه

الدنيا بالبحث والتنقيب على غير هدًى، فقد جرَّب البشر، فخلطوا في أحسن الأحوال فكراً صالحاً وآخر سيئاً، وعملاً صالحاً وآخر سيئاً، فلم يصلوا إلى ما يوازن حياتهم ويسعدهم، ولا زالت البشرية تتخبط إلى اليوم في خياراتها، على الرغم من أنَّها مرَّت بنكسات مرَّة في تاريخها، لكنَّ أكثر الناس لا يفقهون ولا يستفيدون. نحن لا نريد تعطيل آفاق الفكر والبحث، ولكن نريده في الاتجاه الصحيح، ولا نريد إسقاط الدين على حياة البشر، بل نريدهم أن يتأملوا قبل أن يختاروا، ولا نريد حرمان الناس من حقوقهم الدنيوية، إنما نرغب لهم أن يعرفوها على حقيقتها ويوازنوا بين الروح والجسد. فإذا دعونا إلى دين الله فإنما ندعو إلى الكمال، فهدى الله هو الهدى، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، وما أرسله الله من أنبياء ورسل، وأنزله من رسالات سماوية، إرشادٌ للبشرية لبلوغ الهدف، وقد جمعه وكمَّله برسالة الإسلام، فأنزل القرآن الكريم دستوراً للحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٢)، وهذا ما يستلزم رفض ما عداه، وعدم استبداله بغيره، تمسكاً بالمنهج السليم، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام، من الآية: ٧١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

إنَّ تعاليم القرآن الكريم خيارك للهدى، وتوجيهات وأوامر ونواهي النبي ﷺ خطوات نحو الهدى، وأئمة الهدى المعصومون عليهم السلام بأقولهم وأفعالهم معالم باتجاه الهدى، فإذا التزمت أوامر ونواهي الإسلام، عشت الهدى بكل معانيه، وهو يغنيك عن كل ما عداه، فلا حاجة لاستبداله بشيء، فمعه تربح دنياك وآخرتك، روحك وجسدك، عقلك وقلبك، حياتك بكل معانيها.

«وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لاَ أَزِيغُ عَنْهَا». الطريقة خط السير والسلوك، فإذا كانت طريقة حق أوصلتك إلى الهدى، لتلازم الهدى والحق، وإذا كانت طريقة ضلالة أبعدتك عن الهدى، لتلازم الضلالة والانحراف. أعنِّي يا رب لأكون مستقيماً، لا أميل يميناً ولا يساراً، بل أبقى على الخط الواحد الذي يوصل خلال محطات الطريق إلى تحقيق الهدى ومرضاتك .

وهذا أمرٌ إلهي للنبي ﷺ ومن معه، فهو سبيل الله، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١)، وإذا تحققت الاستقامة، فلا حدَّ لخيراتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٢). لكنَّ التصميم العملي يبقى بيدك، فأنت صاحب القرار والإرادة والمبادرة، وأنت صاحب

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

الاختيار المسؤول، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[1]. فاجهد للسير مستقيماً في خط الطاعة لا تحيد عنها، ولا تقع فريسة الزيغ والانحراف.

«وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيهَا». فالنية أول خطوة للانطلاق، وهي تحدِّد بصدقها وصلاحها سبيل الهدى، وقد اُعتُبرت واجباً في العبادة، لتحديد سبب القيام بهذه العبادة، وهي أساس في خط السير في الصلاح بأن تكون نية رشد في طريق الرشاد. وإلّا إذا تزعزعت النية، واختلطت الأهداف، انحرف العمل عن هدفه المستقيم نحو ما وجهت إليه النية. تأمل قبل أن تبدأ بأي عمل، اصبر للحظات من أجل أن تحدد مسارك وهدفك في أي خطوة تخطوها، ولا تبادر في حال ضبابية الرؤية أو عدم الحسم، فرُبَّ قليل من التأمل مع نفسك، ومن استعراض الآثار والنتائج لعملك، يساعدك على حسم نيتك نحو الرشاد من دون شك أو ريب، فتكون انطلاقتك خالصة لله، وفي ذلك مصلحتك الدنيوية والأخروية.

أصبحت الآن أمام ثالوث مترابط: هدى صالح، وطريق حق، ونية رشد. ولا غنى لك عن أي منها لاستثمار جهدك في المحل الصحيح. فالهدى الصالح هو الهدف، وطريق الحق هو السبيل نحو الهدف، ونية الرشد تحدِّد خطوات السير نحو الهدف. فإذا توفقت

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٨.

لتحقيق هذه الأمور الثلاثة، انفتح أمامك الكون بخيراته الظاهرية والباطنية، وعشت طمأنينة النفس، وانساب سلوكك الخيِّر من دون تكلف، وعندها لا يضيرك ولا يضرك أي شيء، فأنت في حالة الرضا لقضاء الله وقدره، إيجابياً كان أم سلبياً، وقد أصبحت في عهدة التوجيه الإلهي في كل ما أصابك من نعمٍ وابتلاءات، وإلى الله المصير، وأنعِمْ به من مصير مع الصلاح.

****

(٧)

وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

الدنيا المحمودة والدنيا المذمومة

الدنيا التي نعيشها سببٌ للسعادة الأبدية أو الشقاء الأبدي، وذلك عائد لما نختاره فيها فبأيدينا سعادتنا أو شقاؤنا، وبالتالي فالدنيا ليست منكرة بذاتها كي ننفر منها أو نسعى للتخلص منها، فالمنكر ملذاتها المحرَّمة والتعلق بها وبمغرياتها، وإيثارها على الصلاح والاستقامة.

اسألك يا رب أن تطيل عمري في هذه الدنيا إذا كان عمري مبذولاً لطاعتك، أي إذا التزمت في اختياراتي الدنيوية منهج الصلاح، فهذا لمصلحتي في أن أعيش السعادة الدنيوية بالاستقامة والالتزام بأوامرك ونواهيك، وأن تطيل الفرصة التي تمكنني من زيادة رصيدي من الأعمال الصالحة، طالما أن مساري يراكم المزيد من الحسنات والإيجابيات.

أمَّا إذا كانت حياتي الدنيوية سبباً لارتكاب الآثام والفساد والمحرمات، فاسألك يا رب أن تُنهيها، وأن تقبض روحي لأموت في وقت مبكر، كي لا يكون طول عمري مرتعاً للشيطان، يسرح فيه متى شاء وكيفما شاء، كما تسرح الغنم في مرعاها لتأكل منه ما شاءت ومتى شاءت، وكي لا أُراكم خسائري وسيئاتي في دنياي، التي تنقلب أيضاً سلباً عليَّ عند حسابي في يوم القيامة. فلو انتهت حياتي باكراً، واكتفيت برصيدي السابق، ولم انغمس في الشرور والآثام، أكون بذلك قد تجنبت مقتك وغضبك، فإنَّه لا طاقة لي على تحمُّل استحكام غضبك عليَّ.

لقد عالج الإمام زين العابدين عليه السلام نقاطاً جوهرية حول الدنيا ومفهومها، بدعاء زيادة العمر في الطاعة، وإنهاء العمر المسبِّب للمعصية، وبذلك يكون قد اختصر الأسس التي يجب أن نتعامل من خلالها مع الدنيا، والتي يمكن تحليلها وفق التالي:

١ ـ الدنيا محمودة ومذمومة: فهي خلق الله تعالى لنا لنعيش فيها، ولم تكن في يوم من الأيام عقوبة لنا، كما يظن البعض بأنها كذلك، بسبب نزول آدم عليه السلام من الجنة بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها، فإرادةُ الله أن نعيش على هذه الأرض، للاختبار والامتحان، ثم يحمل كل واحد منا أعماله فيكون مسؤولاً عنها، من دون أن يتحمل أي مسؤولية عن أي إنسان آخر مهما كان قريباً، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[1]، ولا يلتبسنَّ عليك

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠.

قوله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، فهو وصفٌ لطبيعة الحياة البشرية التي تتجه في بعض خياراتها إلى السلبية والشرور، ومنها العداوة الناشئة عن البغضاء والظلم والتحاسد وغيرها، وهذه صورة من الصور التي تحمل في طياتها الفتنة والاختبار في الدنيا ولا تحمل العقوبة والعذاب فيها، في مقابل صورة الإيمان عن العلاقات الإنسانية الرائعة بين المؤمنين ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[(١)]، وغيرها من الصور كثير. مع العلم اننا لو استكملنا آية الهبوط إلى الأرض لتوضحت الصورة التي ذكرنا، ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٢)]، فالمسؤولية مرتبطة بالاختيار الإنساني في هذه الحياة الأرضية وليس لذلك علاقة بقصة آدم عليه السلام.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**منهومان لا يشبعان: منهوم دنيا، ومنهوم علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلَّ الله عزَّ وجل سَلِمْ، ومن تناولها في غير حلها هلك، إلَّا أن يتوب ويراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظه**»[(٣)].

فالتعاطي مع الدنيا مرتبط بالأهداف التي نريد تحقيقها، لذا كان من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم الثلاثاء، ما يطلب فيه الدنيا أو يرفضها بحسب المكاسب أو الخسائر فيها، قال: «**واجعل**

---

(١) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٣) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، ص٣٢٨.

الحياة زيادة لي في كل خير، والوفاة راحة لي من كل شر»[١]. ويمكن تحقيق التوازن الدقيق عندما نسلك طريق الدنيا بهدف الآخرة، فيكون كل ما فيها في خدمة الهدف، ويكون العيش الطويل فيها خيراً وبركة وأعمالاً صالحة، لأن الآخرة حاضرة مع الدنيا في كل لحظة، وهو ما قصده الحديث الشريف المروي عن الإمام الحسن عليه السلام: «**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»[٢].

٢ ـ طلب الدنيا غير المستنكر: هو الطلب المنسجم مع الخير والفضيلة وطاعة الله تعالى، فقد استنكرت الآية الكريمة الإعراض عمَّا أحلَّ الله للمؤمنين في الدنيا، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، وأكدت أن تناول حلال الدنيا يتحول إلى إثابة على الأعمال الخالصة من الشوائب في يوم القيامة.

إنه أمر الله لنا أن نسير في هذه الأرض، ونأكل من رزقها، ونأخذ نصيبنا منها، قال تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٤]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال**»[٥].

ولا معنى للخوف من الدنيا وتجنبها طالما أنَّها في الحلال،

---

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٧، ص١٨٧.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص ٥٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الملك، من الآية: ١٥.
(٥) العلَّامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج١، ص٥٨٠.

روي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «**نعم العون الدنيا على الآخرة**»[١]، وقال عليه السلام: «**من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس، وسعياً على أهله، وتعطفاً على جاره، لقي الله عزَّ وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر**»[٢].

وقد عالج الإمام الصادق عليه السلام الالتباس في الفهم الخاطئ في طلب الدنيا، فبيَّن للسائل طبيعة طريق الدنيا إلى الآخرة، حيث يتحول طلب الدنيا مع كل ما يأخذه الإنسان منها إلى طلب للآخرة. قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: «والله إنَّا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها.

فقال عليه السلام: تحب أن تصنع بها ماذا؟

قال: أعود بها على نفسي وعيالي، وأصلِ بها، وأتصدق بها، وأحج واعتمر.

فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة»[٣].

٣ ـ الدنيا مسرح عمل: وهي دار فناء، لا يصح العمل للاستقرار فيها لأنَّها غير قابلة لذلك، ولا يصح التمسك بها لأنها غير دائمة، فهي معبر لحياة مؤقتة تمهيداً للحياة الأبدية في الآخرة. وبما أن الفرصة محدودة والعمر قصير، فالنجاح يكون بالاستفادة إلى أقصى الحدود من العمل الصالح والمناسب لهذه الفترة الزمنية المحدودة.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «**كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني،**

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص ٥٨.
(٢) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، ص ٣٢٤.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي،ج٥، ص ٧٢.

إنَّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم، فلم يبق ما جمعوا، ولم يبق من جمعوا له، وإنما أنت عبدٌ مستأجَر، قد أُمرت بعمل ووُعدت عليه أجراً، فأوفِ عملك واستوفِ أجرتك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر، فأكلت حتى سمُنت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن إجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر، جُزت عليها وتركتها، ولم ترجع إليها آخر الدهر»(١).

لكنَّ هذا لا يمنعك من الحصول على نصيبك من الدنيا، لتتزود منها لحاجتك ولآخرتك، فلا تُعرض عن ذلك، طالما أنك تُحسن ولا تفسد، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

٤ ـ التعلق بالدنيا انحراف: فإذا تمسك بها الإنسان، وجعلها هدفه النهائي، أقبلَ على ملذاتها المحرَّمة، وخرج عن جادة الصواب، وعاش المرارة في نفسه وحياته، حتى ولو ظن في خطواته أنَّه قد حصل على مبتغاه، فسرعان ما تذهب اللذة في وقتها وتبقى آثارها المدمرة. وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام الدنيا وصفاً معبراً، قال: «**ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن**»(٣).

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ١٣٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٨٢، ص١٤٥.

لا تتمسك بالدنيا، ولا تتعلق بملذاتها، ولا تجعلها هدفك، ولا تعش الهيام بها، ولا تتفاعل بحبها، فهي لا تستحق كل ذلك، بل يودي بك حبها إلى الهاوية. قال رسول الله ﷺ: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[١]، وانتبه فلا تنجرف معها أثناء اختبارك فيها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن**»[٢].

هذه الدنيا لا تستحق منك أن تطلبها وتلاحقها من أجل الحصول عليها والتمسك بها، قال رسول الله ﷺ: «**من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار على الذنب**»[٣]. وبما أن التعب حاصل في دار «أولها عناء، وآخرها فناء»، فليكن لك الربح والكسب، بدلاً من أن تضيع جهودك سدى، وهي نصيحة الإمام موسى الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: «**يا هشام، إنَّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها، فعلم أنها لا تُنال إلَّا بالمشقة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تُنال إلَّا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما. يا هشام، إنَّ العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت، فيفسد عليه دنياه وآخرته**»[٤].

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٢، ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص ٤١.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٨.

٥ ـ الدنيا سجن المؤمن: في الحديث الشريف: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». كيف تكون كذلك وهي مسرح للعمل، وفيها قسمٌ محمود، وطلبها في الحلال غير مستنكر، بل حثَّت الأدعية على طلب زيادة العمر فيها في الطاعة؟

إذا رغب المؤمن بالدنيا المحرمة والمذمومة والمصاحبة للملذات والمنكرات أو حدثته نفسه بالاستجابة لها، عاش الصراع في داخل نفسه، بين الإقبال عليها أو رفضها، ومع المعاناة والمكابدة ينتصر على غرائزه وينجح في رفض الحرام، فيكون بذلك كمن أحاط به السجن بحيطان الشهوات وقد صمد في مواجهتها، فهي سجن بشهواتها التي تحاصر المؤمن، وهي جنة الكافر لأنَّها منتهى آماله وطموحاته، وقد وقع في أفخاخها وانجرف معها فعاش متاعها المؤقت غافلاً عن نتائجها، ومن الطبيعي أن لا يرى حقيقتها وهو غارق في ملذاتها.

فإذا أدركنا الفروقات بين الدنيا المحمودة والدنيا المذمومة، أمكننا الاختيار بوضوح، وتحويل الدنيا إلى معبر خير لا تتعقَّد حياتنا بسببه، بل نمارس فيها كدحنا الإنساني للسمو والنجاح، فنأخذ منها حاجاتنا وما أجازه الله لنا فيها، فنكون بذلك قد ربحناها وربحنا الآخرة. فالمتقون فيها كما وصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون. ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلِّغ والمتجر الرابح**»[1].

(١) نهج البلاغة، عهده لمحمد بن أبي بكر، الكتاب ٢٧، ص ٦٠٢.

٨

أَللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إلاَّ أَصْلَحْتَهَا، وَلاَ عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إِلاَّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلاَّ أَتْمَمْتَهَا.

برنامج التخلص من العادات السيئة

نحن خطّاؤون، نرتكب المعاصي، ونضل الطريق، ونسيء لأخواننا، ونظلم أنفسنا..لكنَّ بإمكاننا الإصلاح والعودة عن الأخطاء، والتوبة والاستغفار، والله يقبل ذلك. لسنا معصومين، ومن المتوقع أن تشدنا ملذات الدنيا إليها، قليلاً أو كثيراً، فالمهم أن لا ننجرف معها، وان نكافح شيطاننا، وأن ننتصر على أنفسنا الأمارة بالسوء.

في الدعاء اعتراف بواقع الثغرات في أدائنا الإنساني، وطلب من الله تعالى وأملٌ به أن يعيننا لنتجاوزها ونصلحها، وهي إمكانية متوفرة مع العزم والإرادة والإخلاص. اللهم أصلح خصالي وعاداتي التي تعتبر عيباً ورذائل، وحسِّن أدائي في كل عمل أؤنب عليه وكل خطيئة تسبب الإساءة وأُحاسب عليها، وتمِّم أخلاقي وتصرفاتي لاسدَّ النقص في كل مكرمة حتى ترقى أعمالي إلى مكارم الأخلاق.

يبدأ العلاج من كشف العيوب والاعتراف بها، ثم السعي لإصلاحها. إجلس مع نفسك، أحضر قلماً وورقة، ثم عدِّد عيوبك وحدِّد مستويات الخطر فيها، وما تكرر منها فتحول إلى عادة مستمرة، وارفق ذلك بخطة تدريجية للتخلص من بعض العيوب، مع الإشارة إلى الزمن الذي وضعته لنفسك من أجل التخلص منها، لتراقب خطوات التقدم وحسن المعالجة، فستكتشف بالمثابرة أنك قادر على التخلص من ثغرات عدة في الوقت الذي حدَّدته، وأن البعض الآخر يحتاج منك إلى جهد أكبر، وإلى عناية روحية وعبادية تساعدك للتقوي على جاذبية الملذات التي تشدك إليها. واعلم أنَّ لكل خصلة أو عيب أو نقص خطواته للعلاج بعد الاستعانة بالله تعالى. فالغيبة التي تندفع إليها بشكل آلي تستلزم تغيير الصحبة التي تتسامر بذكر عيوب الناس أو الاتفاق معهم على توقيف هذا النمط من الأحاديث. والنظرة بشهوة إلى الجنس الآخر يستلزم عدم تعريض نفسك للاختلاط أو مشاهدة الأفلام التلفزيونية التي تعرض صوراً إباحية أو ارتياد الأماكن التي لا تراعي ضوابط اللباس المحتشم. وسوء الخلق الذي ينفِّر منك أهلك وأصحابك يستلزم منك التأمل قبل إطلاق كلماتك ومواقفك، والحمل على الأحسن عند تصرف الآخرين بما لا يعجبك، والإقلال من مجالسة أولئك الذين يستفزونك ويدفعونك لهذا السلوك. وهناك أفكار كثيرة يمكن جمعها لمعالجة الثغرات المختلفة، وهي متشابهة بين الناس في كثير من الحالات، وإن كانت الخصوصيات موجودة، حيث نكتشفها بحسب تشخيصنا للحالة.

تبقى معالجة الخطأ سهلة ما لم يصل إلى عادة مستحكمة، لأنها تتحول إلى جزء من طبيعة الإنسان في سلوكه اليومي الذي لا يحتاج معه إلى أي تكلُّف، كما يألف هذا النمط ويشعر باستحالة تغييره، ناسباً ذلك إلى التصرف اللاإرادي في هذا الشأن. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**العادة طبعٌ ثان**»[١]. وبهذا يتطلب التحول عنها جهداً كبيراً، ولا يكفي التصميم على تغييرها ليحدث ذلك، بل تحتاج إلى عبادة ودعاء وتغيير أجواء وإصرار ومثابرة وغير ذلك مما يدخل في خطة العلاج، ما يشكل عوامل مساعدة لتقوية الإرادة في مواجهة هذا العدو المتسلط، الذي وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: «**العادة عدو متملك**»[٢]، وقال: «**للعادة على كل إنسان سلطان**»[٣].

اعلم أيها العزيز، أنك ستواجه صعوبات كثيرة لتغيير عادة من العادات تأصلت فيك، وستعاني من الحجب الكثيرة التي أحاطت بك حتى تملَّكت بك هذه العادة، فكن صبوراً ولا تكن عجولاً، فإذا خطوت نحو التغيير خطوة أفرحتك ثم تراجعت عنها بسبب العادة السيئة فلا تيأس، وكرِّر المحاولة، وكن واثقاً بأن تصميمك سيؤتي ثماره بعد المعاناة، فقد أخبرنا أمير المؤمنين علي عليه السلام بصعوبة ترويض النفس مع غلبة العادة، فقال: «**آفة الرياضة غلبة العادة**»[٤].

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

فما تواجهه أثناء جهاد نفسك للسيطرة على انحرافك وتقويم مسارك، أمرٌ طبيعي، ومواجهة ضرورية، ومشقة لا بدَّ منها، فما تراكم عبر الزمن واختلط مع نسيج كيانك، لا يمكن إلغاؤه بسهولة، بل يحتاج إلى محاولات عديدة، وإلى برنامج شاق في كثير من الأحيان، لكنَّ كل شيء يهون أمام النتيجة العظيمة التي سوف تحصل عليها في السيطرة على عاداتك السيئة، والتخلص من العيوب والآفات.

راقب نفسك دائماً، وراقب سلوكك دائماً، واعمل على استدراك الخطأ والتراجع عنه عند وقوعه، كي لا تُبتلى بما يشق عليك تركه بسهولة من ترسيخ العادات السيئة، فإذا حصل لك ذلك، فلا تيأس من جهاد نفسك، فبإمكانك أن تسيطر عليها.

يربي الإسلام الإنسان ويؤدبه لينطلق من نفسية محبة ومعطاءة وخيِّرة، فلا يخضع لأفعال الآخرين، ولا يتصرف بردات فعل على تصرفاتهم، ولا يُماثلهم في الإساءة بالإساءة، إنما ينطلق دائماً من المبادرة الإيجابية، ورد الفعل الأحسن. من هذه القاعدة يوجهنا الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الدعاء المبارك لكيفية الرد على سلبيات الآخرين.

****

٩

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ ٱلثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوِلاَيَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، ومِنْ خِذْلاَنِ الأَقْرَبِينَ ٱلنُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ.

إبدال البغض بالمحبة

«وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ». البغضة هي شدة البغض المستحكم في داخل الإنسان، والشنآن تعني البغض، فيا رب أبدلني من استحكام البغض عند أهله والذي تملَّك مشاعرهم، بالمحبة، فلا أبادلهم البغض بالبغض، ولا أجاريهم في شدة البغض ولو بالحد الأدنى من البغض، ولا أتصرف معهم على أساس اليأس من تخليهم عن شدة البغض الذي انطبعوا به .

يا رب مكِّني أن تطبع المحبة حياتي، وكل علاقاتي، حتى مع

أولئك الذين يبغضونني، فبالمحبة ترتاح نفسي، لأنها تنطلق صافية طاهرة نظيفة في سلوكي الاجتماعي، وبها أعيش الحياة التي تبث المكارم والفضائل، ومعها أهجم بسلاح الخير لأقتحم ظلمة نفوس الآخرين، ولا بدَّ للخير أن ينتصر، وهي تعبير عن القوة التي امتلك من خلالها مشاعري لتفيض إيجابيات بين الناس، وعندها تنكسر عزائم المبغضين الذين لا يجدون استجابة لبغضهم، فيتيهون به، وتترنح اندفاعتهم نحو الشر، وهنا يقف أهل الشنآن أمام احتمالات ثلاثة:

١ ـ أن يستمروا على موقفهم الذي أصبح سمة في شخصياتهم، وهذا ضرر لهم، ولن يؤثر على الطرف المقابل الذي لم يستجب لهم، ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾[(١)].

٢ ـ أن تنكسر حدة البغض بسبب المحبة عند الطرف المقابل، وهذه خطوة إيجابية في تحسين سلوكه وتغيير نظرته إليه.

٣ ـ أن تنهار المبغوضية تماماً لاكتشاف أصحابها بأنها مبنية على وهم أو ظلم أو افتراء أو مرض، وهذا صلاحٌ فيه أجر كبير.

أمَّا صاحب المحبة فهو الرابح على كل حال، رابح في عدم التأثر بأهل الشنآن، ورابح بتعديل بعض سلوكهم، ورابح إذا توفَّق بتراجعهم.

علَّمنا الإسلام أن نتصرف بعدالة وإنصاف مع أهل الشنآن، فلا نجعل مبغوضيتهم لنا سبباً لإساءة تصرفاتنا معهم، فإذا كانوا أصحاب

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١١٩.

حق في شأن من الشؤون أعطيناهم حقهم، وإذا كانوا مظلومين رفعنا عنهم المظلومية، كما هو تصرفنا مع أي إنسان، من منطلق إيماننا ورقابتنا لله في حياتنا والتزامنا بمنهج الحق وتوجيهاته. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١]، فالمعيار حقوق الآخرين ووجوب إنصافهم، وسلوكنا مبني على العدالة، بصرف النظر عن انطباعاتنا وتصرفات الآخرين معنا، فنحن لا نستبدل العدالة بالظلم كرد فعل على مبغوضية الآخرين، فللمبغوضية علاجها بمبادلتها بالمحبة كما ذكرنا، وللعدالة أسسها التي يجب أن نحترمها رغبة في الوصول إلى التقوى، وهي قيمة وهدف لنا بمعزل عمن نعدل معه، إنها خطوة لرقينا بصرف النظر عن سلوك الآخرين معنا.

فلنتعلم المحبة من الأم التي تمنح أولادها راحتها وصحتها لأنها تحبهم ولو لم يشعروا بها أو يبادلوها إياها، ولنتعلم المحبة من صاحب العقيدة حيث يمنحها للآخرين كجزء من واجبه الشرعي وإيمانه العميق من دون توخي البدل أو توقعه من الناس أو انتظار أوان حصاده، فالمحبة قيمة بذاتها، نعمل لها لتنعكس أفعالاً تظلل حياة الآخرين من دون أن ننتظر منهم شيئاً، فالقيم التي نسعى لها قائمة بذاتها ونجسدها في حياتنا ولولم يقم بها الآخرون.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

من توجيهات الأمير﵇ لاجتلاب المحبة: «**ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة، الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة والانطواع**[1]**، والرجوع على قلب سليم**»[2].

المؤمن مؤهلٌ للوصول إلى أعلى المستويات، ودعاء مكارم الأخلاق خطوات الممكن للنموذج الإنساني، لكنَّ عليه أن يشد العزم للسعي من أجل بلوغ هذه المكارم، وأن لا يكون مستسلماً للانفعال وردات الفعل الجزئية والصغيرة، وهذا يتطلب قراراً وإرادة وصبراً، فإذا توفرت هذه المقومات، أمكنه الارتقاء بروحيته وسلوكه.

إحذر الحسد

«وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ». الحسد: هو الرغبة في الحصول على النعمة التي حصل عليها الآخرون مع تمني زوالها عنهم، فإذا أنعم الله على الآخرين بالمال أو الجمال أو الفوز أو الموقع، فإن الحاسد يرغب بما حصلوا عليه، ليس على سبيل المماثلة، بأن يكون له من المال والجمال وغيرهما ما لهم، بل يتمنى أن يحرمهم الله من هذه النعم وأن يخسروها ليحصل عليها بدلاً عنهم. فالحاسد له نفسية مريضة، وينظر إلى نعم الله على الآخرين بعين الحسرة، فهو لا يتمنى الخير لهم، ويؤثِّر حسده على الآخرين بشكل سلبي، وقد علَّمنا القرآن الكريم أن نستعيذ بالله من الحاسد، وأن نلجأ إليه ليعيننا من آثار نظرة

---

1 الانطواع: الانقياد.

2 العلاَّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٨٢.

الحاسد، التي تنطلق في الخفاء، ومن النفسية المريضة، التي تنفث سمومها ولؤمها في حياة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[1]، إلى أن قال ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2].

ماذا تربح أيها الإنسان من زوال النعم من عند الآخرين؟ فإذا كنت راغباً بمثلها أو أكثر، فاطلبها من الرب المنعم على البشرية جمعاء، فإذا كان لك نصيب فيها وفقك الله إليها، وإن لم يكن كذلك فهو ابتلاؤك واختبارك بالحرمان مما ترغبه، ولن يضيف الحسد إليك إلّا الأذية للآخرين والإثم والعقوبة لك. واعلم أنْ لا حدَّ لطلبك للخير فهو حق لك، ففي دعاء أيام شهر رجب للإمام الصادق عليه السلام: «**واعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة، فإنَّه غير منقوص ما أعطيت، وزدني من فضلك يا كريم**»[3]، أما التوفيق فعلى الله تعالى.

فالحسد شرٌ، سواء أكان ابتداءً أو ردَّة فعل على حسد الآخرين، لأن العبرة بمضمون الحسد وآثاره، وليس بالمبررات التي يسوقها الحاسد لتبرير حسده. إذاً كيف نتصرف مع أهل البغي والظلم الذين يحسدوننا؟ التوجيه الإسلامي ينطلق من مبادلة الشر بالخير، والسيئة بالحسنة، والحسد بالمودة. فالمودة من التودد واللطف في التصرف مع الآخرين، لتشيع جواً من الطهر النفسي والمعاملة

---

(١) سورة الفلق، الآية: ١.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٥.

(٣) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال، ج٣، ص ٢١١.

الحسنة والأخلاق، وهي سلوك المسلم من ناحية، وانتصار على حسد أهل الظلم من ناحية أخرى.

فلو أنعم الله عليك باحترام الناس لك بسبب صدقك وحسن معاملتك، ثم حسدك صديقك متمنياً إسقاطك من أعين الناس ليكون المتصدر لثقتهم، وكانت لديه نعمة المال التي حُرمت منها، فلم تحسده عليها كما فعل، وإنما طلبت من الله الرزق، وبادلته المودة والحنان، فإنك بذلك تكسر شوكة حسده بعدم التأثر به وبسلوكه، وتكون مطمئناً لصدور الخير منك، وهو ما يزيدك احتراماً ومكانة، ولا يُنقص منك شيئاً. بينما لو بادلته بالحسد رداً عليه، فإن نفسك ستتأثر بهذا المرض الذي لا يسهل معالجته، ثم تتراجع مكتسباتك من السلوك الحسن، فتكون مجاراتك له خسارة في الدنيا والآخرة.

ضع أمر أخيك على أحسنه

«وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ ٱلثِّقَةَ». أن يكون ظنك بأهل الصلاح متجهاً إلى الثقة بهم، أولى من سوء الظن بهم. صحيح أنَّه ليس كل الناس أهلاً للثقة وحسن الظن، لكن ليس صحيحاً أن يكون جميع الناس متهمين عندك وغير موثقين لديك، فلأهل الصلاح والإيمان ميزة على غيرهم، إذ أنَّ إيمانهم يردعهم عن الكذب والخبث ونية السوء إلَّا أن يثبت العكس، والأصل في التعاطي معهم بحسن الظن، وأن نضع في حسابنا ما قاله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾(١).

(١) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.

إن أكثر السلبيات في علاقات الناس مع بعضهم البعض ناشئة عن سوء الظن، وعن إصدار الأحكام على الشبهة، وتلقي المعلومات عمن لا يكونون أهلاً للثقة من الفاسقين والمنحرفين، وهذا ما يؤدي إلى الشقاق والخلاف والمنازعات والفرقة. إسلك الطريق السليم الذي أرشدنا إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك ما يغلبُك منه، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً**»[1]. فلا تأخذ الكلمة التي تحمل معنيين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، في الاتجاه السلبي طالما أنَّها تحتمل الخير، واعتمد في حسمك لمعناها السلبي على الدليل لا على الظن، ولتكن مبادرتك من الانطباع الأول إيجابية دائماً، إذ ربما خرجت الكلمة من أخيك ونيته سليمة لكن التعبير خانه، بل ربما أطلقها وهو قاصد لها بالمعنى السلبي ثم تراجع عنها، عليك أن تبحث له عن العذر لتغفر له ذلته عند حصولها، فكيف إذا لم يكن كذلك والتبس الأمر عليك؟!

ولا يقتصر الأمر على الاحتمالين المتعارضين، بل لو تعددت الاحتمالات كثيراً فإن واجبك أن تبحث عن كل الاحتمالات الممكنة لتعذره فيما قال أو نُقل لك عنه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إحمل أخاك على سبعين محملاً**»[2]، حيث تبيِّن هذه الرواية مستوى الاهتمام الكبير للبحث عن عذر للمؤمن وذلك للمحافظة على العلاقة الأخوية، وعلى

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٦٢.

(٢) المحقق البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١٥، ص ٣٥٣.

حسن العلاقة بين المؤمنين وحمايتها من أي خدش يسيء إليها.

ولننظر ممن نأخذ أخبارنا، فبعض الذين ينقلونها إلينا ليسوا أهلاً للثقة، وليس لديهم رادع في أن يكذبوا، أو قد يكون في نيتهم إحداث الخلاف بين المؤمنين، فالمطلوب دائماً أن نتبيَّن ونتحقق ونتأكد قبل اتخاذ أي موقف، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]. فمن السهل أن تخرب العلاقة بين المؤمنين، لكن من الصعب أن تُبنى جسور الثقة أو أن تعود مجدداً بعد خرابها، لذا تمهَّل قبل الندامة على الفعل، واعط لنفسك الفرصة الكافية لتتأكد، ولا تبني على صحة الخبر من أي كان، بل ليكن حسن الظن والثقة بأهل الإيمان والصلاح أساساً في علاقاتك معهم وحكمك عليهم، فإن الخيرات المتحققة على هذا الأساس لا يمكن تعويضها، وهي تستحق ذلك، لأنها تحقق صفاء القلب وسلامة السريرة، وتنعكس على الطباع العامة للمؤمن في نظرته لإخوانه وحسن تعامله معهم، قال النبي محمد ﷺ: «**أحسنوا ظنونكم بإخوانكم، تغتنموا بها صفاء القلب ونقاء الطبع**»[2].

لا تبادل العداوة بالعداوة

«وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوِلاَيَةَ». عداوة الأدنين أي عداوة المقربين، ولها أسباب كثيرة، وهي تافهة في معظم الأحيان، لكن

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٩، ص ١٤٥.

البعض يعطيها أهمية كبرى ويبني عليها مواقفه. قد يسبِّب العداوة خطأ في كلمة أو موقف، أو نقل حديث بطريقة غير أمينة، أو مشكلة بين أفراد العائلة الواحدة، أو عدم الموافقة على رغبة لديه، أو عدم العون في مسألة يحتاجها، أو عدم المواساة أثناء مرض أو موت عزيز... مع أننا لا ننكر إزعاج هذه الأسباب وتعكيرها لصفو الإنسان، لكنَّها لا تستحق المعاداة بين الأخوة والأقرباء والجيران والأرحام. لكن مع حدوثها من طرف واحد، سواء أكانت مبررة أو غير مبررة بنظر الطرف الآخر، فإن مبادلة العداوة بالعداوة يزيد الشرخ، ويُباعد بين المؤمنين، ويعكر صفو العلاقات الاجتماعية، وينعكس على أجواء الأقربين.

إنَّ توجيهات الرسول ﷺ تأمر بتجاوز الخلاف مهما كان كبيراً، لإعادة اللحمة بين المؤمنين، وتضع سقفاً لتفاعل المشكلة لا يتجاوز ثلاثة أيام، حيث تكفي لإعادة التفكير والتأمل، وزوال الانعكاس النفسي، وتوفِّر القابلية لاستئناف العلاقة من جديد: «**لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث**»[1].

وبناءً على القاعدة المعتمدة إسلامياً، فإن المقابل للعداوة الولاية أو النصرة، فيا رب وفقني لأن أبادل عداوة الأقربين لي بنصرتهم ومؤازرتهم، وأن أستبدل نفورهم مني بتقربي منهم، ومعاداتهم لي بولايتهم، وبهذا لا مبادلة للعداوة بالعداوة، بل قطع

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٣٨٠.

لامتدادها وسريانها بالولاية التي تقف حاجزاً أمام البغض والحقد والنفور، وهذا هو منهج الإسلام في معالجة السلبيات بالإيجابيات، وفي الرد على السوء بالصلاح.

ثم ما الذي يستحق أن نأزّم أنفسنا من أجله؟ وما هي هذه القضايا الكبرى بين الأقربين التي تستحق هذه المعاداة؟ حيث نجد في جلسات الأقربين نقاشاً واهتماماً بحوادث لا تستحق أن يصرف الإنسان حياته من أجلها، أو أن يسيء إلى صفاء قلبه بسببها، بينما يجب أن يكون التوجه دائماً نحو العون والنصرة والمساعدة حتى لأولئك الذين لا يعطونها، فإذا لم تنفع معهم في إلغاء عداوتهم، فإنها تزرع خيراً يقلل من آثار وشرور السلبيات في مجتمع المؤمنين.

خيرات صلة الأرحام

«وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ». عقوق ذوي الأرحام قطيعتهم وعدم التواصل معهم، أمَّا المبرة لهم فالصلة والتصرف بإحسان معهم. وقد حثَّ الإسلام على صلة الأرحام، وأثاب عليها في الدنيا والآخرة، وجعلها سبباً للعديد من الخيرات، منها إطالة الأعمار، وزيادة الأرزاق، ودفع البلاء، عن أبي جعفر عليه السلام: «**صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسئ له في عمره، وتوسع في رزقه، وتحبب في أهل بيته، فليتق الله وليصل رحمه**»[(١)].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ١٥٢.

قد تكون قطيعة الرحم ناشئة عن أسباب وحوادث، وقد تحصل بسبب الاستهتار وقلة الاهتمام بالتواصل مع الأرحام، لكنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه يرفض العقوق بالمطلق، بصرف النظر عن وجود الأسباب أو عدمها، ويرفض مبادلته بالعقوق كرد فعل من الطرف الآخر، فيحث على المبرة والصلة في مقابل العقوق والقطيعة، وهذا هو المنهج المتكامل في دعاء مكارم الأخلاق، الذي يحث على الفضائل في كل المجالات وفي كل الحالات، كجزء من السلوك الإسلامي، مهما كان سلوك الطرف الآخر، حتى ولو كان مضاداً بالكامل للتصرف السليم.

أي علاقة اجتماعية سليمة تستقر مع قطيعة الرحم؟ عند مقاطعة ابن الأخ لعمه، أو ابن الأخت لخالته، أو الأخ لأخيه، أو الولد لوالديه! فإذا لم تنفع رابطة الرحم التي تنمو من خلالها محبة الأقرباء بالفطرة، وإذا لم يحرص الأخ على صلته الإنسانية بأخيه ليكون إلى جانبه في مواساته ومشاركته الأفراح والأتراح والمناسبات، وإذا لم يستفد ابن الأخ من المشاعر الرحمية في العلاقة مع العم للتعبير عن الصلة والمساندة، فإن الآثار الاجتماعية والتربوية للتباعد بين الأقرباء سلبية جداً على الأولاد والأجيال، ولا تخفى الفائدة من التواصل على المستويات النفسية والاجتماعية، فهو يملأ جزءاً من الفراغ العاطفي، ويُشعر بالمساندة والعون عند الملمات، وينفع في قضاء بعض الأوقات المشتركة، والتفقد في المناسبات والظروف المختلفة.

لاحظ معي كم يشعر الولد الوحيد بشيء من الغربة بسبب عدم

وجود أخوة له، وكم تتألم تلك المرأة التي لا أقرباء لها، فلا شيء يعوض صلة الرحم، بل ليس مطلوباً أن نبحث عن التعويض عنها، إنَّ المبرة للأرحام سلوك المؤمن حتى في مقابل عقوقهم.

سلوك المؤمن شخصيته

«وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ». حب المدارين حب مصطنع وظاهري وغير حقيقي، ينطلق من المداراة والمرعاة للآخرين، فكما يداري الإنسان في كلماته اللائقة، ويسعى إلى عدم جرح مشاعر الآخرين بأسلوبه الذي ينسجم مع ما يتوقعه أو يرغبه هؤلاء، يمكنه أيضاً إظهار حبه غير الواقعي، والخالي من المشاعر الحقيقية، بحيث تشير الدلائل الظاهرية إلى وجود المحبة، لكنها غير موجودة بالأصل عند من أراد بتصرفه المداراة فقط. وهذا تصرف غير مناسب، لأنه أقرب إلى الخداع والغش منه إلى اللياقة والإنصاف، ذلك أن المداراة مطلوبة في التصرف غير المؤذي، والكلمات المؤدبة غير الجارحة، والسلوك الذي لا يستفز الآخرين، وقد أشار لنا النبي محمدﷺ إلى نموذج المداراة في مخاطبة الناس على قدر عقولهم، لأنهم لا يتحملون خطاباً أو كلاماً فوق مستواهم أو خارج دائرة استيعابهم وإدراكهم، أو فيه ما يؤذي مشاعرهم وعنفوانهم بحسب ما تربوا عليه، قال رسول اللهﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم**»[١].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص ٢٣.

وهذا مختلف عن حب المداراة، فالحب تعبير عن علاقة عاطفية ومشاعر صادقة، فلا داعي للإيغال في التعبير عن الحب الذي يتمحور حول المداراة، فيغش الآخر ويعطيه الانطباعات الخاطئة.

فيا رب أعني لاستبدل حب المدارين المزوَّر وغير الواقعي، فاصححه (بالمقة) بالمحبة الحقيقية، حيث أبادل من يُظهر حبه مدارياً لي، بحبٍ حقيقي له، ومن يتصنَّع مشاعر القلب أمامي، بتعزيز مشاعر قلبي اتجاهه، لأواجه زيف مشاعره بمشاعر صادقة، وإيهام حبه لي بصحة حبي له. وما الذي يمنع من تلك المحبة بين المؤمنين؟ ليس صحيحاً أن نشجع المظاهر الخالية من المحتوى الحقيقي، فكما يكون التزامنا بالعبادات تعبيراً عن إيماننا، وكما تكون أخوَّتنا الإسلامية تعبيراً عن ارتباطنا بالمنهج الواحد، كذلك يجب أن تكون محبتنا تعبيراً عن مشاعرنا الصادقة تجاه بعضنا البعض، وأن نواجه تغليف حياتنا بالمظاهر المزيفة والمخالفة للحقيقة.

«وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ». رد الملابسين يعني رد الذين نخالطهم ونعاشرهم، فالملابسة تعني العشرة والمخالطة، فبدل أن نرد الملابسين الذين نعاشرهم ونخالطهم بإهانتهم ودفعهم ورفضهم، وفقنا يا رب في أن نكون كرماء المعشر في طريقة أدائنا معهم بتقريبهم وحسن معاشرتهم، ليتحقق أنسهم بصحبتنا ومجلسنا.

«وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ». فإنَّ الظالم يعرف نفسه، ويعيش الخوف في داخله من ظهور الحق وانكشاف ظلمه، أمَّا العادل الذي ينصف الآخرين ويعطي كل ذي حق حقه، فيعيش

الأمن في داخله بسبب أدائه السليم وعدم هضمه لحقوق الآخرين. فيا رب وفقني كي لا أعيش مرارة خوف الظالمين مع لازمه من عدم الظلم بطبيعة الحال، بل حلاوة ولذة الأمن النفسي وراحة الضمير مع لازمه في أداء حقوق الآخرين وإنصافهم.

إن محور الفقرة السابقة من الدعاء، أن لا يتأثر سلوك المؤمن بسلوك الآخرين، فلا يصح أن يكون طيّباً إذا كان الآخرون طيّبين معه، وخبيثاً إذا كان الآخرون خبثاء معه، بل عليه أن يكون طيّباً في كل أحواله، فهو يتصرف بناء لشخصيته، واستناداً لإيمانه، ورغبته في بلوغ التقوى، يستبدل الحسنة بأحسن منها، والسيئة بالحسنة، والأذية بالعفو، والبغض بالمحبة، والبغي بالعدل، والحسد بالمودة، وسوء الظن بالثقة، والعداوة بالنصرة، والقطيعة بالصلة، والإهانة بحسن العشرة، وكل إساءة بنقيضها من مكارم الأخلاق.

****

(١٠)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلاَمَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

بين التسامح ومنطق القوة

اليد هي القوة والاستطاعة لاستخدامها في مواجهة ظلم الظالمين، فإذا تُرك الظالم وعمله، فسيعيث في الأرض فساداً باعتداءاته وسلبه لحقوق الآخرين، وهو يعتمد في ذلك على قوته لقهرهم، ومراهنته على ضعفهم، وعدم إمكانيتهم لصدِّه ومنعه، لكن مع توفر القوة لدي، فإنَّ بإمكاني مواجهة الظلم ومنعه وردعه.

أمَّا اللسان فالمقصود به قوة النطق وقدرة البيان، بحيث أتمكن من محاججة الأخصام، الذين يزوِّرون الحقائق، ويتحايلون على

الكلمات، ويحاولون إقناع الآخرين بباطلهم وأدلتهم مع أنها خاطئة ومضللة، فمع توفر القدرة في لساني على الحوار والاستدلال والبيان والمحاججة، يمكنني كشف زيف إدعاءات الخصم، وإسقاط قدرته على التأثير والخداع.

وأمَّا الظفر فهو النجاح والفوز في مقابل المعاندين، الذين يجانبون الحق ويصرون على باطلهم، ويدافعون عنه، ولا يلين لهم جانب رغم كل الأدلة والإثباتات، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، وليس المقصود بالمعاندة المخالفة على المستوى الشخصي في الأمور الخاصة، وإنما المقصود معاندة الحق وعدم الإقرار به، هنا يحقق النجاح على باطل المعاندين، وظهور الحق في مقابل إصرارهم، إنجازاً نافعاً ومؤثراً، فالوصول إلى الحقيقة صعب مع المعاندين، ولا بدَّ من الظفر عليهم لإسقاط باطلهم وكسر عنادهم.

لاحظ معي هذه العناوين الثلاثة: قوة اليد ضد الظلم، وبيان اللسان في محاججة الخصم، وطلب الظفر على المعاند للحق، التي تعبِّر عن قدرات يدعو الإنسان ربَّه أن يمتلكها، ليتمكن من الغلبة والفوز، وهي تستدعي الإجابة على سؤالين مهمين:

الأول: كيف نوفق بين التسامح الذي يدعونا إليه الإسلام ومنطق القوة؟ بين التنازل ومنطق الغلبة؟

كي نجيب على هذا السؤال يجب أن نميِّز بين العدو والصديق،

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

بين الظالم والمخطئ، بين المعاند للحق والجاهل، لأننا أمام موضوعين مختلفين وجهتين متفاوتتين. فالتعامل مع العدو يختلف عن التعامل مع الصديق، والتعامل مع الظالم يختلف عن التعامل مع المخطئ، إذ يجب أن نمنع العدو من تحقيق أطماعه، ونمنع الظالم من تثبيت اعتداءاته، ونمنع المعاند من الفوز بباطله، وإلَّا انتشر الظلم ونحن نتفرج عليه، وساد الباطل من دون أن ننكره أو نواجهه.

وعندما يدعونا الإسلام إلى معالي الأخلاق، يميز في التعامل فيما بين المؤمنين، ومع الكافرين، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾(١)، فالشدة مع الكفار ضرورية لردعهم عن ظلمهم وعدوانهم، وهي قيمة خلقية عظيمة، لأن الشدة تمنع الإفساد وانتشار الباطل وتمكين الظالمين، فينتج عنها رحمة للإنسانية جمعاء، بردع الظالمين وارجاعهم عن غيِّهم، وحماية الناس والمؤمنين منهم وحفظ حقوقهم. أمَّا الرحمة بين المؤمنين فهي أساس كل التعامل، لأنَّ منهجهم واحد، وشريعتهم واحدة، يعودون إليها لتصويب مسار حياتهم، فإذا أخطأ البعض منهم، وتسامحنا معهم، فإن هذا التسامح تدريب لهم للعودة عن الخطأ أو لعدم تكراره، وفي أقل الاحتمالات إبطال لتفاعلاته بسبب حسن التعامل والرحمة بين المؤمنين، وهذا ما يحد من ازدياد السلبيات الناشئة عن الخطأ.

أمَّا إذا تعاملنا بنمط واحد مع المؤمنين والأعداء، وفي كل

---

(١) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

الحالات، فهذه سذاجة ومفسدة، إذ أن السكوت عن الظالم يشجعه على الظلم ويؤذي المظلوم، وعدم الرد على المنطق الخاطئ والضال يجعله متحكماً ومؤثراً على الآخرين في مقابل المنطق الحق، والتسليم للمعاند يجعله يتمادى في باطله مقابل الحق. في المقابل فإنَّ عدم التسامح مع الأصدقاء والأخوة، وعدم العفو عن الناس الطيبين وفي مجتمع المؤمنين، يولد الخصومة والعداوة التي تفكك المجتمع من الداخل، وتحرمه من التعاون والتفاعل.

علينا أن نكون حكماء في التمييز بين الحالات المختلفة، لنحدد كيفية التعامل معها، فنعفو في حالة، ونواجه في حالة أخرى، بحسب الهدف الذي نريد تحقيقه، فلو ظلم الولد، نردعه عن الظلم بلطف ونعفو عنه، فلا نرتب آثاراً سلبية على ما فعل، وإنما نعمل لمساعدته على عدم تكرار ظلمه، لكن لو ظلم المستكبر أو العدو، فإنَّ ردعه مبني على أن يرى الشدة منا كي لا يستهين بنا، ولا يفكر بتكرار ظلمه لنا، فلا يصح التعامل معه بنية حسنة، وإنما بحذر واحتياط من إمكانية استغلاله لأية لحظة ضعف لدينا. وهذا ما ينطبق أيضاً على المخطئ من اخواننا الذي يصر على خطئه، ولا يمكن ردعه إلَّا بالشدة المناسبة التي تعينه على نفسه. فالموقف المناسب هو الذي يمنع الباطل من تحقيق أهدافه، مهما كان مصدره، مع تفاوت في كيفية التعامل، بحسب تقديرنا للحالة التي نتعامل معها. وفي كلتا الحالتين فالرحمة بين المؤمنين تعبير عن معالي الأخلاق، والشدة مع الكافرين تعبير عن معالي الأخلاق، وكذلك التسامح في مورده والعقاب في مورده، والعفو في حالة والمحاسبة في حالة أخرى. فالدعاء بامتلاك القدرة

لردع الظالم وقوة البيان والفوز على المعاندين، طلبٌ مشروع لحماية الإنسان والمجتمع من الفساد والانحراف والكفر والنفاق، بهذه الطريقة الفعَّالة في مثل هذه الحالات، حيث يكون خلافها سبباً لانتشار الفساد وتسلط المنكر.

فضَّل الله المجاهدين

الثاني: ألا يكون المؤمن الضعيف المستكين الذليل أقرب إلى الله من المؤمن القوي الشديد المسيطر؟

إنَّ تصوير المؤمن بحالته الضعيفة البسيطة الساذجة خطأ كبير، ومخالفة جوهرية لتربية الإسلام! فالمؤمن ضعيف وذليل مع خالقه، لأنَّه يستمد القوة منه، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، وأي استقواء بمعزل عن الله تعالى، يؤدي إلى الكبرياء، ثم الاستكبار، والاستنكاف عن العبادة والطاعة لله جلَّ وعلا. أمَّا في مواجهة الحياة الدنيا، فالقدرات التي أودعها الله في الإنسان إنما هي ليستخدمها في نشر الحق وإسعاد حياته، ولا تجد توجيهات في كتاب الله تعالى والأحاديث الشريفة إلَّا وتدعو إلى القوة والعزة والغنى وطول العمر والنصر... كعوامل مشروعة ومساعدة لنجاح الإنسان في ابتلاءاته الدنيوية وثوابه الأخروي.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وقال: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**نعم العون على تقوى الله الغنى**»[٣].

هذه القوة مكرمةٌ إضافية وفضلٌ زائد للمجاهدين بالمقارنة مع القاعدين ولو كانوا معذورين في ذلك، فما تنجزه القوة مع الإيمان في الدفاع عن الحق لا ينجزه الإيمان وحده مع الضعف، قال تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

بهذه القدرات نثبِّت معالم الدين، ونكرِّس معالي الأخلاق، ونحافظ على استقامة المجتمع، وننقِّي حياتنا من أدران الرذائل، منطلقين من قوتنا في ديننا الذي يحدِّد لنا مفردات التعامل مع الآخرين، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**المؤمن له قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبرٌّ في استقامة، واغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء**

(١) سورة المنافقون، من الآية، ٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧، ص ٧٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٥.

في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، . . .»[(١)].

ثم عندما نكون قادرين، يكون لتنازلاتنا في المواقع المناسبة معنًى، فالعفو عند المقدرة له قيمة، أمَّا ادعاء العفو مع العجز عن القيام بردة الفعل فلا معنى له. إذاً بإمكاننا أن نسخِّر القدرات التي نمتلكها في المجال الصحيح والنافع وهذه مكرمة، فإذا كان مجالها أن نستخدمها لضرورة المقام بأن ننصر المظلوم على الظالم، ونعيد الحق إلى أهله، ونبين الحق في مقابل أطروحة الباطل، ونفوز على المعاندين والجهلة لمصلحة الإنصاف والعدل، فهذا هو الإنجاز المناسب لموقع المؤمنين.

إنَّ دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لامتلاك قدرات إعلاء كلمة الحق والموقف الحق، في مواجهة كلمة الباطل والموقف الضال، تربيةٌ على السعي لامتلاك أفضل الإمكانات، والاستعانة بالله للحصول عليها، لأنها تمثل القيم الخلقية العالية، وتجسد أهمية الدفاع عنها من موقع الحرص على الهدى والعدل والصواب.

المكر الجيد والمكر السيّىء

«وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي». المكر هو الخديعة، بعدم إعلام الآخر بما تخطط له ثم تفاجئه بما لا يتوقعه، وهو نوعان: جيد وسيّىء، أمَّا المكر الجيد فهو الذي يُسقط مشروع الظالمين

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٥٧١.

والأعداء، كالخديعة في الحرب، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في يوم الخندق: «**الحرب خدعة**»، ويقول: «**تكلموا بما أردتم**»[١]. وأما المكر السيّىء فهو المبني على التآمر والظلم والعدوان وإفساد ذات البين بين الأصحاب والأخوة. والكيد من المكر السيّىء الذي ينطلق من الخبث وسوء السريرة والحقد والرفض للحق وأهله.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن النوعين، فنسب السيّىء إلى الكافرين الذين حاولوا الإضرار بالنبي صلى الله عليه وآله بشتى الوسائل لإفشال رسالته، والجيد إليه جلَّ وعلا، في الالتفاف عليهم وكشف مخططاتهم، وإفشال مؤامراتهم، ليسود الحق على الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[٢]. ودائماً ما يكون مكر السوء ضعيفاً وعاجزاً، وينعكس على أصحابه، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٣]، وينتصر المكر الجيد لتحليه بالفضائل، ولا مقارنة بين المكرين، فالله خير الماكرين.

فيا رب هب لي مكراً وقدرة في الاتجاه الإيجابي الجيد، لأتمكن من مواجهة كيد ومخططات أصحاب المكر السيّىء، فأُسقط مكرهم السيّىء بمكرٍ استمد قوته منك، يا خير الماكرين.

---

(١) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، ص ١٦٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٣) سورة فاطر، من الآية: ٤٣.

«وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلاَمَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي». الإضطهاد هو القهر، فأسألك يا رب قدرة على من قهرني وحاول إذلالي، لأكون مستطيعاً على دفع ظلمه لي، ومحاولته استبعادي.

والقصب هو العيب، فيا رب امنحني القدرة لتكذيب أولئك الذين ينشرون عني عيوباً غير موجودة فيَّ، لأحمي نفسي من ادعاءاتهم الباطلة التي تسيء إليَّ بين الناس.

وأعني لأَسلم ممن توعَّدني وهدَّدني وأراد الإضرار بي، فهو يريد الاعتداء عليَّ بظلم، وأنا أرجو السلامة من تهديداته ووعيده.

إنَّ المجتمع الإنساني مليء بالحاقدين والظالمين والنمَّامين والمتسلطين، بحيث يحتاج المؤمن المسالم إلى قدرة على مواجهة مخططاتهم وأعمالهم وآثار سلوكهم، بالمكر الجيد مقابل السيِّىء، والقدرة على منع الاضطهاد، وإفشال نشرهم للأكاذيب، والسلامة من مكائدهم ووعيدهم وشرورهم.

«وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي». لا يمكن للمرء أن يعتمد على علمه وتجربته فقط، فهو بحاجة إلى علم من هو أعلم منه، وإلى تجربة من هو أكثر خبرة منه، وبذلك يكون قد استفاد من العلم والتجربة من دون أن يتورط في الممارسات الخاطئة والمكلفة، ففي الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم، فإن السعيد من وُعظ بغيره، ولقد أسمعكم الله**

في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم، حيث قال: وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة»[١].

فيا أيها العزيز، إذا وفقك الله بناصح أمين، أو مرشد مطَّلع وعارف وخبير، أو مسؤول حريص وواع، أو أخ حكيم ومُلم، أو أي فرد تثق بدينه وتجربته، فخذ منه، ووفِّر على نفسك عناء التجارب، وأطعه في نصائحه وإرشاداته.

إنَّه توفيق إلهي لك إذا توفَّر من يسدِّد خطواتك نحو الاستقامة ثم أطعته في ذلك، وإذا تيسَّر لك من يرشدك ويدلُّك على الاختيار الصحيح ثم تابعته فيما وجَّهك إليه، فأنت الرابح في مثل هذه الحالات، وهو ابتلاء وابتلاء كبير أن لا يتيسر من يسددك أو يرشدك، والأسوأ من ذلك أن لا تستفيد ممن يسَّره الله لك.

****

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص ٧٤.

(١١)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِٱلصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ ٱلذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ ٱلسَّيِّئَةِ.

مبادلة الأذية بالإحسان

تبرز في هذه الفقرة من الدعاء إيجابية المؤمن في مقابل سلبية الآخرين، ومبادرته نحو الخير في مواجهة الشرور، ومبادلته للأذية بالإحسان، فنظرهُ منصرف إلى مكارم الأخلاق، وأمله برضى الله لا برضى هواه، لذا نراه يترفَّع عن السلبية في الرد على الغش والهجر والحرمان والقطيعة والغيبة، فيتصرف بعكس هذه الأفعال بما يوازيها من الفضائل، فيرد بالنصيحة والبر والبذل والصلة وحسن الذكر.

لاحظ أيها العزيز، تلك المبادرات في أسمى معانيها، تواجه الأعمال السيئة في أخسِّ نتائجها، في صورة يرسم من خلال المؤمن التقي خطوات رقيِّ النفس في عالم المكلوت، محققاً بأدائه مكانة

راقية يشع نورها في استقامة مؤثرة وفاعلة لإعمار الأرض في طاعة الله تعالى. وهي صورة تُكسب صاحبها طمأنينة وأمناً واستقراراً في أجواء القلق والخوف والإرباك، وكأنَّه يعيش في عالم آخر تملؤه العفة والأخلاق، لكنَّه في عالم الدنيا لم يتلوث بأرجاسها، ولم ينفعل برذائلها، بل أحاطت به مكارمه فحمته مما سقط فيه الأغيار، ورفعته فيما ارتفع به الأبرار.

ستة مواقف متكاملة، ترسم لنا حلقة الاتصال في السلوك إلى الله، بما يضيء حياتنا:

١ ـ النصيحة مقابل الغش: بعض الناس يغشون، فيضعون الماء في الحليب عارضين بيعه على أنَّه صافٍ ونقي، أو يضعون قطعة على الثوب تشير إلى بلد الصنع المختلف عن بلده الحقيقي، أو يغيرون تاريخ الصنع بانتهاء الصلاحية بوضع تاريخ جديد مزوَّر، أو يقدمون معطيات عن قطعة أرض مخالفة لحقيقتها، أو يعرضون شقة للبيع ويدلسون في مواصفاتها فيخفون معايبها، أو يشجعون على عمل بترويج خاطئ خلاف حقيقته، هذه تصرفات محرَّمة. روي أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله. فقال رسول الله** ﷺ: «**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشَّنا ليس منَّا**»[١].

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٧، ص ٢٢٢.

فلو ابتليت ببعض هؤلاء فغشوك فيما كنت ترجو منهم النصيحة، وآذوك أو خسَّروك بسبب تصرفاتهم، ماذا تفعل لو أتاك أحد منهم يستنصحك، وأنت قادر على رد الصاع صاعين، وتوريطه في أزمة أو خسارة كبيرة؟ هل تنتقم لنفسك فتغشه أم تترَّفع عن ذلك وتنصحه؟ يوجهنا الإمام زين العابدين عليه السلام أن نعارض الغش بالنصيحة، وأن نطلب من الله التسديد والعون كي لا يجرفنا هوانا إلى الانتقام. ومما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق في حق المستنصح: «**أن تؤدي إليه النصحية، وليكن مذهبك الرحمة والرفق به**»(١)، بصرف النظر عن تصرفاته معك وغشه لك، فعملك رصيد لك في هذه الدنيا، وأنت تعبِّر من خلاله عن أخلاقك، وجزاؤك الثواب الجزيل عند مليك مقتدر.

٢ ـ البر مقابل الهجر: «وأجزي من هجر بالبر، أي أعطيه الصلة مقابل هجرانه لي، بأن أبادر للاتصال به، وأُبقي العلاقة معه، على الرغم من أنَّه قطعني ولم يتصل بي، فردّي عليه بالبر مقابل الهجر. لا تبحث عن رد الفعل على تصرفه، ولا تجاريه في انقطاعه عنك، ولا تحسب حساباً للاعتبارات الشخصية والاجتماعية التي تأسرك بقيودها. اقتحم هجره بالبر، وبادله بالتي هي أحسن، ولا تنتظر منه مكافأتك، فأنت تقوم بالأداء السليم، وأنت رابح بوصل ما انقطع، ولعلَّ سلوكك هذا معه يوقظ ضميره ويعيده إلى الصلة.

٣ ـ البذل مقابل الحرمان: كم هو عزيز عليك أن يحرمك

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٤٢٣.

أخوك حقك من غير مسوغ لذلك! كم هو مؤلم لك أن لا يُنصفك من موقع مسؤوليته مخالفاً بذلك الأنظمة أو مستغلاً لموقعه! كم هو مؤذٍ لك أن تخسر مالاً أو أرضاً أو إرثاً أو مكسباً بسبب اعتداء صديقك أو قريبك الذي حرمك من ذلك، بشهادته الخاطئة، أو إخفائه لبعض المعطيات، أو رغبته بالكسب بدلاً عنك!

ما الذي عليك فعله عندما تكون مقتدراً على حرمانه، سواء أكان صاحب حق أو كان بحاجة إلى البذل والعون؟ ما أروع التوجيه السجَّادي لإمامنا العظيم، إنَّه يأمرك أن تثيب من حرمك بالبذل، مع أنَّ الثواب يكون مكافأة على عمل، والحرمان يستوجب عقاباً لمرتكبه، لكنَّ إيمانك يدفعك لأن تبذل حيث تستطيع، ولو كان البذل لمن حرمك، فتعيش روحية الثواب في الإعطاء بطيب خاطر، ليكون بَذْلُكَ مؤشراً على كرم نفسك في تعاليها عمَّا ارتكبه المخالف من صغائر وآثام، وهذا ما يحقق الطمأنينة والراحة في داخلك.

٤ ـ الصلة مقابل القطع: يغلب على الخلافات بين الأصدقاء والجيران والأخوة الطابع الشخصي والتافه، فترى القطيعة بسبب كلمة أو زيارة أو حادثة أو غير ذلك. . .ولا أريد التهوين من بعض المشاكل التي تحصل، لكن هل يصح أن تصل الأمور إلى حد القطيعة؟ وهل يبقى للإنسان أصدقاء أو علاقات لو أراد التوقف عند كل حادثة؟.

قد يقول البعض بأنهم ليسوا بحاجة إلى هذه العلاقات مع الآخرين! وفي الواقع، لا نقيس الصلة بالحاجة أو عدمها، وإنما

بالروحية التي ننظر من خلالها إلى الاجتماع الإنساني، والتي يريدها الإسلام سموحة ومنفتحة وخالية من الغِل والحقد والمنازعات، أي بمعنى آخر، يحثنا الإسلام على السِّلم بيننا بدءاً من التحية «السلام عليكم»، ومروراً بكل التنازلات الفردية التي تبقي العلاقات قائمة بين الأسرة الواحدة، والمجتمع الواحد، والأصدقاء، والأُخوة.

من هذه الزاوية يمكننا فهم الإطار التوجيهي العام للتنازل والإعطاء من دون ابتغاء البدل، واحتساب الأجر على الله تعالى، والسمو في نموذج الشخصية المسلمة. قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك**»(١).

٥ ـ حسن الذكر مقابل الغيبة: الغيبة مرض اجتماعي فتَّاك، فهو يسري بين الناس كالنار في الهشيم، ويخرِّب العلاقات الاجتماعية بينهم، ويمس الحقوق المباشرة للأفراد بسبب كشف عيوبهم المستورة عن الآخرين، وهذا ما يجعل الموقف صعباً للمستغيب. فعن رسول الله ﷺ: «**إياكم والغيبة، فإنَّ الغيبة أشد من الزنى، إن الرجل قد يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وإنَّ صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه**»(٢).

وفي خبر معاذ الطويل المشهور عن النبي ﷺ: «**الحفظةُ تصعد**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ١٠٧.

(٢) رسائل الشهيد الثاني، ص ٢٨٥.

بعمل العبد وله نور كشعاع الشمس، حتى إذا بلغ السماء الدنيا، والحفظة تستكثر عمله وتزكيه، فإذا انتهى إلى الباب، قال الملك بالباب: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى ربي». وعن أنس قال ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم**»[1].

لكن لو سنحت الفرصة للمُستغاب أن يذكر عيوب من استغابه في مجلسٍ ما، هل يرتكب هذا الجرم انتقاماً لنفسه؟ يربينا الإسلام على عدم المبادلة بالإساءة، وعلى عدم ارتكاب الحرام مقابل الحرام، فجرم الآخر لا يبرر جُرمنا، ولكلٍّ حسابه، ولا فائدة من رد الفعل، فالأولى المبادلة بحسن الذكر، بحيث لو جرى الحديث عن المستغيب في محضر المُستغاب، لأجاب الأخير بالصفات الإيجابية لمن استغابه، وهذا هو الخلق الإسلامي الصحيح، ففيه أجر ذكر حسنات صاحبه، وأجر تلقي الأذية منه من دون ردِّه عليها.

٦ ـ شكر الحسنة والغض عن السيئة: المؤمن في موقع العطاء دائماً، والإحسان من الصفات التي يجب أن يتحلى بها، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]. وهو لا يقابل الإساءة بالإساءة بل

---

(١) رسائل الشهيد الثاني، ص ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٩٥.

يرتقي في سُلَّم العفو والتسامح ليحاكي الصفات الكمالية في تراكمها بعطاءاته في كل المجالات. فهو من الذين قال عنهم جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، ومن الذين يدرأون بالحسنة السيئة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

أيها العزيز، عندما تشكر الحسنة فقد فعلت خيراً، وشجَّعت الآخرين عليه، وكنت لائقاً بما أصابك منه. وعندما تغض عن السيئة فتعفو عنها، ولا تقابلها بمثلها، عندها تتجلى في روحك حالة من الراحة النفسية الناتجة عن ترفعك عن هذه الأمور البسيطة الزائلة، وعن انصراف اهتماماتك بما يرفعك عند الله في يوم القيامة. وفقنا الله وإياك إلى خيرات هذه المكارم.

****

(١) سورة القصص، الآيتان: ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(١٢)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ ٱلصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ ٱلنَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَٱلسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ ٱلتَّعْيِيرِ، وَالإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَٱلْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلاَلِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ ٱلطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

ديمومة لباس التقوى

يوجد انطباع عام ومظهر عام تبرز من خلالهما شخصية الإنسان، فالمؤمن يتحلّى بالصلاح ويتزيّن بالتقوى، على أن تكون حلية الصالحين زينة دائمة تميِّز سلوكه، ولباس التقوى يغلِّف أداءه،

فإذا عرضت له أمور عدة اختار الصالح منها، وتصرَّف بكمال التوقي والحذر من ارتكاب المعاصي، متأملاً برضوان الله في الآخرة.

أيها العزيز، إنك تعبِّد طريقك نحو الصلاح والتقوى، فإذا كان سمت حياتك كذلك، عندها لا يصدر عنك إلَّا كل خير، وترقى نفسك في أعمالها بسبب تقواها نحو الملكوت الأعلى، فيكون سبيلك في الدنيا منافسة باتجاه درجات التقوى صعوداً وعلواً بدل أن يكون نحو مادية الأرض وفنائها وهاويتها، وهنا المكانة الحقيقية التي تسلك فيها درجات في التقوى نحو الأتقى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَنكُمْ﴾[1].

ولا تحصل المقامات العليا إلَّا بعد معاناة ومجاهدة للنفس، تستلزم التخلي عن منزلقات الدنيا، فقد بلغ أمير المؤمنين علي عليه السلام أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري قد دُعي إلى وليمة فيها أطايب الطعام فحضر فيها، فكتب إليه الأمير عليه السلام جملة من التوجيهات، منها قوله: «**وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الفزع الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئتُ لاهتديت إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز**»[2]. فهو خليفة المسلمين، وسلطته واسعة، وبإمكانه أن يحصل من خلال موقعه على ما لا يستطيعه الآخرون، لكنَّه يروض نفسه بالتقوى، لينتصر على جاذبية الدنيا، فيفوز الفوز الأكبر.

لا ينتفع المرء إلَّا بخير الزاد التقوى، فكل ما في الدنيا فناء، فإذا

---

(١) سورة الحجرات، من الآية: ١٣.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥، ص ٦٥٤.

تزوَّد المؤمن بالتقوى عمُرت حياته بالطاعة والصلاح، وحصل على نصيبه من الدنيا، ثم لم تكن وبالاً عليه في الآخرة، وإلَّا فإن متاع الدنيا سريع وزائل. عندما رجع أمير المؤمنين علي عليه السلام من موقعة صفين، أشرف على القبور بظاهر الكوفة، وقال: «**يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق. أمَّا الدور فقد سُكنت، وأمَّا الأزواج فقد نُكحت، وأما الأموال فقد قسّمت. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ (ثم التفت إلى أصحابه فقال): أمَّا لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أنَّ خير الزاد التقوى**»[١].

لا تحقق التقوى نتائجها إذا كانت أمراً عارضاً أو في فترات متقطعة، إنما يكون خيرها ونفعها عندما تصاحب الإنسان في حلِّه وترحاله، في رضاه وغضبه، في رخائه وشدته، أي أن تكون لباساً يحيط به في كل لحظة من لحظات حياته. قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٢]. وقال الإمام علي عليه السلام: «**فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرَّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء...**»[٣]. فلا سلوك لهم خارج دائرة الطاعة لله والاستقامة في الحياة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٠، ص ٧٦٤.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٢٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣، ص ٤٦٩.

للصلاح والتقوى آثارهما العملية في تصرفات الإنسان، فإذا جلّلا حياته وأداءه، عاش الطهر، وأنار ما حوله، وأنجز الخير، وغمرته الطمأنينة، وقد أبرزَ الدعاء أموراً يجب أن يؤثر فيها الصلاح والتقوى بفعالية في العلاقات الاجتماعية وهي:

العدل من لوازم التقوى

١ ـ بسط العدل: فالعدل انصاف الناس، وإعطاء كل ذي حق حقه. العدل في البيت مع الأولاد، وفي المتجر مع العمال، وفي المدرسة مع العاملين والتلاميذ، وفي المجتمع بين المتخاصمين، بأن تحكم لمصلحة صاحب الحق، وأن تكون إلى جانبه، قريباً كان أو بعيداً، أخاً كان أو صديقاً، فالمعيار أن تتقي الله وتعدل في موقفك وأحكامك بين الناس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾(١)، ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾(٢).

وقد ربط الله تعالى بين الكتاب والعدل، إذ لا يقتصر الكتاب على التوجيهات، وإنما هو مسار حياة للإنصاف ووضع الأمور في نصابها وإعطاء الحقوق لأصحابها، لذا كان الميزان تعبيراً عن الدقة في حساب الأشياء من دون زيادة أو نقصان وهو العدل، مصاحباً للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾(٣).

---

(١) سورة النحل، من الآية: ٩٠.
(٢) سورة النساء، من الآية: ٥٨.
(٣) سورة الشورى، من الآية: ١٧.

اقتدِ بأمير المؤمنين علي عليه السلام في عدله أثناء حكمه، حيث أتاه أخوه الأكبر عقيل، طالباً زيادة على حصته من بيت المسلمين لشدة فقره وعدم كفاية ما يأخذه لعياله، فلم يستجب له الأمير عليه السلام ليكون عادلاً في التوزيع بين المسلمين، فعاود عقيل الكرة وردَّدَ القول أمام الأمير الذي لم يرد على كلامه هذه المرة، فظن عقيل أنَّه سيحصل على الزيادة، لكنَّ الأمير أحمى حديدة وقرَّبها من جسد أخيه الأعمى، الذي أحسَّ بالألم فصرخ، فقال له الأمير عليه السلام: «**ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبَّارها لغضبه.أتئن من الأذى ولا أئن من لظى**»[١].

إعدل بين أولادك في عدم التمييز بينهم وبكيفية الاهتمام بهم، إعدل بين إخوانك فلا تنحاز إلَّا لصاحب الحق، إعدل بين الناس فكن مع المظلوم ضد الظالم، إعدل بإعطاء الحقوق إلى أصحابها مهما كلفك ذلك، إعدل فأنت تعيش رقابة الله تعالى لك الذي يعلم ما تصنع، اعدل فالعدل مؤشر كبير من مؤشرات التقوى.

ميزان الإرادة

٢ ـ كظم الغيظ: إمساك النفس عن الانفعال ورد الفعل، بأن تكون حليماً وهادئاً في كيفية تصرفك، وأن لا تغضب، ولا تخرج عن طورك وهدوء طباعك، بسبب حادثة، أو أذية، أو فعل مزعج، أو ظلم، أو أي سلوك من شخص أو جهة، فالتقوى تساعد في تهدئتك

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤، ص ٥٤١.

لتكون حليماً. قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ما من عبدٍ كظم غيظاً، إلَّا زاده الله عزَّ وجل عزاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عزَّ وجل:** ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. وأثابه الله مكان غيظه ذلك»[1].

إنَّ كظم الغيظ يتطلب قدرة على ضبط النفس، لتسكين غضبها وانفعالها، فقد سئُل الإمام الحسن عليه السلام عن الحلم، فقال: «**كظم الغيظ وملك النفس**»[2]، فإذا حلمت كنت حكيماً. انتبه من مؤثرات هواك الذي يدفعك للرد والتعنيف والغضب، واعلم أنها من الشيطان الذي يريدك منقاداً تتصرف من دون الإمساك بزمام الأمور، وكأنك تسير على غير هدى ومن غير إرادة!

إنَّ الحلم ميزان لقوتك وقدرتك وإرادتك، يجعلك في الموقع المؤثر والمسيطر على الأمور، وهو مؤشر من مؤشرات التقوى، وتثبيت لمسارك في سبيل الله، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أحبِّ السبيل إلى الله عزَّ وجل جرعتان: جرعة غيظ تردُّها بحلم، وجرعة مصيبة تردُّها بصبر**»[3].

اعتبر من قصة الإمام زين العابدين عليه السلام، عندما وقف رجل من أهل بيته فشتمه امام جلسائه، فلم يرد عليه. فلما انصرف قال الإمام

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ١١٠.
(٢) الحراني، تحف العقول، ص ٢٢٥.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي،ج٢، ص١١٠.

لجلسائه: «**قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحبُّ أن تبلغوا معي إليه، حتى تسمعوا ردِّي عليه.**

فقالوا: نفعل، ولقد كنا نحب أن تقول له ونقول.

فأخذ نعليه ومشى، وهو يقول: والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، ثم خرج ومن معه حتى أتى منزل الرجل، فصرخ به، فقال قولوا له: هذا علي بن الحسين.

فخرج الرجل متوثباً للشر، فقال له الإمام عليه السلام: يا أخي، إنَّك كنت قد وقفت عليَّ آنفاً فقلتَ وقلت، فإن كنتَ قلت ما فيَّ فأستغفرُ الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فيَّ فغفر الله لك»[١]. عندها سارع الرجل إلى تقبيل الإمام بين عينيه وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك، وأنا أحقُّ به.

لا تتصور بأنك خاسر إذا كظمت غيظك، ولا أنت مهانٌ إذا حلمت في مقابل إساءات الآخرين، فالنتيجة ربحٌ خالص لك، يكفيك ربحك لنفسك في انتصارك عليها، ومدى الراحة التي تحققها في امتلاكك لزمامها، ويضاف إلى ذلك تراجعٌ واعتذارات من الطرف الآخر في أغلب الحالات، حتى لو لم يحصل ذلك، فأنت تقوم بما عليك معبِّراً بذلك عن شخصيتك وإيمانك، ولك الأجر الكبير عند الله تعالى.

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص ١٤٥.

العداوة تجلب الآثام

٣ ـ إطفاء النائرة: النائرة من النار، وهي هنا نار العداوة والبغضاء التي تتولَّد في داخل النفس، فتنتج حقداً وفتنة وأعمالاً انتقامية وعدوانية تجاه الآخر. فيا رب اطفئ ما في داخلي من هذه النار المحرقة للأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وأعني بلباس التقوى ليكون حائلاً دون وصولي إلى هذا المستوى، فالعداوة لا تجلب إلَّا الآثام والشرور، وهي حاجب من حجب التقوى، ومرض يتولد عنه أمراض كثيرة، ومشكلة تتفاقم وتؤذي كيفما حلَّت، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما كاد جبرائيل** عليه السلام **يأتيني إلَّا قال: يا محمد، إتقِ شحناء الرجال وعداوتهم**»[1].

لمُّ الشمل

٤ ـ ضم أهل الفرقة: الفرقة تعبير عن الأجساد المتفرقة، حيث يكون ضمها بتآلف القلوب، فيكون ضم القلوب للأجساد المتفرقة ضماً لأهل الفرقة. وهذا تأكيد على الإجتماع والألفة والتعاون في كل الشؤون والشجون. وبما أن الوحدانية لله تعالى جمعت القلوب حولها، حيث إن دين الله تعالى قد وحَّد الأداء في الطاعة والسلوك، فلا بدَّ أن يتوحَّد المؤمنون مع بعضهم البعض، فهو أمر الله لهم بذلك كطريق إلى التقوى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾[2]،

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٠١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

وهي نعمة إلهية في تأليف قلوبهم كذلك: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1].

٥ ـ إصلاح ذات البين: فإذا نشأت خلافات باعدت بين المؤمنين، فردية كانت أو جماعية، سعى أهل مكارم الأخلاق إلى معالجتها، بإصلاح ذات البين، ومنع تفاقم الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وهذه أقلُّ قواعد الأخوَّة بين المؤمنين.

إنَّ أغلب الخلافات بسيطة وعادية، وهي تُحمَّل أكثر مما تحتمل، ثم تلعب الأعراف واللياقات دوراً في تضخيمها، وتتبعها الاعتبارات المعنوية فيمن يبدأ الاعتذار أو الاعتراف بالخطأ أو المبادرة إلى الصلح، وكأنها قضية مركزية كبرى تستحق كل هذا الاهتمام! إعلم أيها العزيز بأن المبادرة إلى الإصلاح بين المتخاصمين تكسبك أجراً عظيماً، فعن رسول الله ﷺ: «**صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**»[2]، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**صدقة يحبها الله، إصلاحُ بين الناس إذا تفاسدوا، وتقاربٌ بينهم إذا تباعدوا**»[3].

أهل المعروف

٦ ـ إفشاء العارفة: العارفة من المعروف، والإفشاء هو النشر

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٧، ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٩.

بين الناس، فالمؤمن يتحدث عن إيجابيات اخوانه، وينشر عنهم أعمالهم الصالحة، فيفشي معروفهم في المجالس المختلفة، وبذلك يكون قد عمَّم مناخاً إيجابياً في نظرة المؤمنين لبعضهم البعض، وآنسهم بإيراد الخير من سيرتهم وحفظهم في غيابهم. إذا أحصينا إيجابيات المؤمن وجدناها كثيرة جداً، وإلَّا لما أصبح مؤمناً، يكفيه إيمانه بالله ودين الحق، وطاعته وفق الشريعة المقدسة، فهذه مكرمة يستحق عليها الاحترام والتقدير، وهو لا يخلو أيضاً من السلبيات، لكنها لا تقارن بما لديه من إيجابيات. فإذا أردت المعالجة والإصلاح فهذا لا يكون بإفشاء سلبياته إنَّه خطأ في الوسيلة والأسلوب، وقد ارتكبت حراماً واضحاً. ليكن تركيزك على المعروف بأبعاده كافة، فإصابته للخير دائمة، وهو المقوِّم الأساس لتآلف وسلامة مجتمع المؤمنين. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اصطنعوا المعروف بما قدرتم على اصطناعه، فإنَّه يقي مصارع السوء**»[1]، وقد ذكر أنَّ للمعروف أهلاً يحبونه وينطبعون به، قال عليه السلام: «**إنَّ الله جعل للمعروف أهلاً من خلقه، حبَّب إليهم المعروف، وحبَّب إليهم فعاله**»[2]. وقال: «**نعم عمل المرء المعروف**»[3].

ستر العيوب

٧ ـ ستر العائبة: ستر العيب من فضائل المؤمن، فإذا تسنَّى

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٦١٧.
(٢) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص ١٧٤.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٩٥.

لك الاطلاع على عيوب وأخطاء أخيك بسبب صحبتك له، فاستر عليه ولا تفشي عيوبه بين الناس، وإذا اطلعت على عيوب وأخطاء الجماعة أو المؤسسة التي تعمل فيها، فلا تنشرها بين الناس. فالعيوب أسرار تقتضي معالجتها مع أصحاب العلاقة بمساعدتهم عليها في السر وفي المكان الصحيح. ولا يعني الستر الرضا بالعيب، وإنما اخفاؤه عمن لا علاقة له به، لإبقاء الأجواء العامة سليمة، وعدم الدخول في عالم الهتك والفضائح، ولمنع التداعيات الكثيرة التي تنعكس على العلاقات الاجتماعية والأسرية والمؤسساتية والشخصية بسبب هتك الستر.

لا توجد أي فائدة من نشر العيوب، وغالباً ما يكون الدافع لذلك، إمَّا التسلية في المجالس بهتك أعراض الناس والتباهي بمعرفة أسرارهم والنيل منهم، وإمَّا التشفي والانتقام بإساءة السمعة وهز مكانة الجهات والأشخاص المقصودين في مجتمعهم. أمَّا من يدَّعي الرغبة بالإصلاح فمجالاته معروفة، سواء بالنصيحة الخاصة أو بالمساعدة أو بإثارة المسألة مع المؤثرين من أجل التغيير، وإلَّا فإذا لم يكن الفعل جزءاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه وحدوده الشرعية، فإنَّه يكون عملاً محرماً. وقد أمرنا تعالى بالابتعاد عن كل ما يكشف أسرار الآخرين لبشاعة نتائجه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

أليست لديك عيوب ترغب أن يسترها ستار العيوب عليك، علّك تصلحها قبل أن تهتزَّ صورتك ومكانتك بين الناس؟ الا تعاند نفسك للتخلص من بعض الآثام وتشعر بعبئها الثقيل عليك ومع ذلك تتأمل بالنجاح في مواجهتها؟ فإذا انكشفت، فإنك تحمل وزرها ووزر ما يصاحبها من إساءات تتراكم وتتضخم لتتجاوز العيب إلى آثار إجتماعية مرة لا يستحقها هذا العيب. فارحم من في الأرض، واستر عليهم، يرحمك من في السماء، ويستر عليك عيوبك.

سهولة المعشر

٨ ـ لين العريكة: العريكة تعني الطبيعة، كما ورد في لسان العرب، يقال: فلان ليِّن العريكة، إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً، قليل الخلاف والنفور. وفي القاموس المحيط: رجل لين العريكة أي سلس الخلق، بحيث يسهل التعاطي معه، فلا تحتاج إلى التكلف في اختيار كلماتك عندما تحادثه، ولا تتصنع بأقصى لياقتك عندما تتعامل معه، وإنما تتكلم معه بيسر وبساطة، وتتعامل معه بشكل عادي وطبيعي. فإذا ظنَّ بأدائك إهانة أو إساءة، بادر إلى الاستفسار والتجاوز، أو حملك على الأحسن من دون ترتيب أي أثر.

اجعلني يا رب سهل المعشر، فلا يكون مَنْ حولي متربصين بردود أفعالي، أو متكلفين فيما يقولونه لي أو يتصرفونه معي، ولا تجعلني منفراً ومبعداً لمن حولي من اخواني بسبب الفظاظة والقسوة في تصرفاتي معهم. فقد اعتبر جلَّ وعلا سلوك النبي الخلوق سبباً

لالتفاف المؤمنين حوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١]، وذمَّ أمير المؤمنين عليه السلام صعب المراس، فقال: «**شر الأخوان من تُكلِّف له**»[٢].

٩ ـ خفض الجناح: قال تعالى في التعاطي مع الوالدين: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، وفسَّر السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان الآية الكريمة بقوله: «خفض الجناح كناية عن المبالغة في التواضع والخضوع قولاً وفعلاً، مأخوذ من خفض فرخ الطائر جناحه ليستعطف أمه لتغذيته»[٣]. وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، «قالوا هو كناية عن التواضع، ولين الجانب، والأصل فيه أنَّ الطائر إذا أراد أن يضم إليه أفراخه بسط جناحه عليها ثم خفضه لها. . .وما يمكن أن يفسر به خفض الجناح هو صبر النفس مع المؤمنين، وهو يناسب أن يكون كناية عن ضم المؤمنين إليه، وقصر الهم على معاشرتهم وتربيتهم وتأديبهم بأدب الله، أو كنايه عن ملازمتهم والاحتباس فيهم من غير مفارقة، كما أن الطائر إذا خفض الجناح لم يطر ولم يفارق»[٤].

فالتواضع للمؤمنين والتذلل لهم، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، مكرمةٌ تجمع قلوبهم، وتهدئ نفوسهم، وتنعكس على معاملاتهم مع بعضهم

---

(١) سورة آل عمران، من الآية، ١٥٩.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٩، ص ٨٥١.

(٣) العلاّمة الطباطبائي، تفسير الميزان،ج١٣، ص٨٠.

(٤) المصدر نفسه،ج١٢، ص١٩٢.

البعض، وتزيد الأُلفة بينهم، وهكذا يتعزز اجتماع الجماعة مظللاً بسماحة أخلاق أفرادها.

١٠ ـ حسنُ السيرة: ليس «حُسن السيرة» لقباً، بل هو سلوك يطبع شخصية الفرد فينعكس على نظرة الآخرين إليه، بحيث يصفونه بحسن السيرة، إذ لا يبدو منه إلَّا الاستقامة والخير والصلاح والمعروف. . .وكلها تعود إلى آثار الإيمان الصحيح والعبادة الفاعلة وما ينتج عنهما من معاملة حسنة لكل من يحتك به. فاجهد لتعطير سيرتك بتقوى الله، لتكون نوراً يشع بين الناس من دون عمد أو تكلف، حيث تبرز شخصيتك المؤمنة بشكل طبيعي كنتاج لالتزامك السليم بالإسلام.

١١ ـ سكون الريح: تعبير عن الوقار، وانطباع الشخصية بالهدوء والرزانة في القول والفعل، فكما تكون الريح ساكنة وعاصفة، يكون الإنسان ساكناً وعاصفاً. وبسبب الترابط بين الجوارح والنفس الإنسانية، تعبِّر تصرفات الجوارح عن سكون النفس أو عدمها، فيا رب أعني لأكون وقوراً في تصرفاتي، فهذا أقرب إلى مرضاتك، ويحسِّن أدائي مع اخواني وخلاني.

١٢ ـ طيب المخالقة: أي طيب المعاشرة بأخلاق حسنة.

فليتنافس المتنافسون

١٣ ـ السبق إلى الفضيلة: وهو أمر مشروع في أن يتسابق الناس نحو الفضيلة، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى

ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[١]، إذ على الإنسان أن ينظر إلى أعلى مراتب الفضائل وليس إلى أدناها، وأن يسعى للكمال لا أن يكتفي ببعض محطات الصلاح. هذا التنافس يسع الجميع، ولا يأخذ أحد من درب الآخرين، فلو سعى جميع الناس إلى الفضائل، استفادوا جميعاً من دون أن يتضرر أحد، بل يشجع مناخ التسابق على التسامي والمكارم. ذلك بعكس الرذيلة، حيث يؤدي القيام بها إلى الشرور، ويزيد التنافس عليها الشرور شروراً. فاجهد أيها المؤمن لتكون الأفضل أخلاقاً، فإنه سعي مأجور، وانعكاسه خير كله، لك ولمن يحيط بك.

١٤ ـ إيثار التفضل: الإيثار تقديم الآخر على نفسك، والتفضل إعطاء وإحسان، فاعمل لتؤثر الآخرين بالإحسان إليهم وإعطائهم من دون مقابل، إذ ليس كل شيء ببدل، وإلَّا فما قيمة العمل إذا كان مرتبطاً بتوقع البدل الدنيوي، خاصة إذا كان من النوع الذي أجَّل الله المكافأة عليه إلى يوم القيامة؟ أيها العزيز، أحسن كما أحسن الله إليك، واعلم أن بعض الناس يحتاجون إلى عونك فأعنهم على ذلك، فإنَّ لك أجراً كبيراً عند الله لإقدامك على الإحسان، والله يحب المحسنين ويكافئهم.

التعيير بالعيوب إثم

١٥ ـ لا تعيِّر الآخرين بعيوبهم، أكانت في الجسد أم في العمل، فإذا كانت في الجسد فهي من خلق الله تعالى وابتلائه، وليس من

---

(١) سورة المطففين، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦.

الأخلاق الإسلامية أن تعيِّر الأعرج بعجزه في المشي، أو الأخرس بعدم قدرته على النطق، أو الضعيف بضعفه . . .كما ليس من الأخلاق الإسلامية أن تكرر الحديث عن خطأ ارتكبه أخوك في كلامه أو تصرفاته أو أمواله فتعيِّره به أمام الآخرين. استر عليه، ولا تحرجه بالإشارة إلى عيوبه، فإن في ترك التعيير مكرمة من مكارم الأخلاق.

كل معروف صدقة

١٦ ـ الإفضال على غير المستحق: الإفضال من الفضل والإعطاء والإحسان، وهي صفة للمؤمن بقيامه بالمعروف، ابتغاء الأجر من الله تعالى، من دون توخي البدل ممن صنع المعروف له. قال رسول الله ﷺ: «**كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله عزَّ وجل يحب إغاثة اللهفان**»[١].

لكن هل يقتصر المعروف على المستحق أم يشمل غير المستحق له أيضاً؟ إذا اتبعنا القاعدة التي تكون فيها يد المؤمن هي العليا دائماً في موقع المساعدة للآخرين، فإنَّها تشمل غير المستحق أيضاً، الذي ربما تأثر بهذا المعروف، ومال قلبه إلى الإيمان بسبب التصرف الخلقي للمؤمن بتلبيته حاجته، ولا ضرورة للتدقيق باستحقاقه أو عدمه، إلَّا في موارد صرف الحقوق الشرعية التي حدَّدت دائرة المستحق، فالحديث هنا عن المعروف بالإجمال. فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**إصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس من**

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص ٢٧.

أهله، فإن لم يكن هو من أهله، فكن أنت من أهله»[١]، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «**اصنعوا المعروف إلى كل أحد فإن كان أهله وإلَّا فأنت أهله**»[٢].

قل الحق

١٧ ـ والقول بالحق وإن عز. إستعن بالله لقول الحق والوقوف معه، وإن قلَّ ناصروه، فقد تنحرف أهواء الناس باتجاه مصالحهم على حساب الحق، وعندها يميلون عنه، وكثير من الناس كذلك، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[٣]، فهل تكون مع الكثرة الضَّالة؟ أم تكون مع القلة المحقة؟ يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أيها الناس، لا تستوحشوا طريق الهدى لقلة أهله، فإنَّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل**»[٤].

الحق بيِّنٌ وواضح، فهو من الخالق العارف بخفايا الأمور، فإذا اختار لنا أمراً فالحق فيما اختار، وإذا رفض أمراً فلا حق مقابله، ولا داعي للتأمل أو التشكيك، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[٥]. ومهما بلغت قدرة الباطل فهو ساقط في نهاية المطاف، على الرغم مما يظهر من جبروته وتسلطه، فإنَّه أمر مؤقت،

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٤، ص ٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٤ ص ٢٨.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠١، ص ٤٩٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٧.

لأنَّ السنّة الإلهية مبنية على انتصار الحق على الباطل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[١].

وكذلك الحق واضح وبيِّنٌ في مواجهة الاحتلال والاعتداء والمنكرات وكل أذية، فلا يصح التخاذل والاستكانة والاستسلام، فهذا تشجيع لأهل الباطل على باطلهم، وخذلان لأهل الحق في عونهم لنصرة حقهم.

والعبرة في قول أو موقف الحق حيث يكون قوله مؤثراً، ولعل أبرز مصاديقه في مواجهة الحاكم الظالم، فإنَّ الناس يخشون مثل هذه المواجهة، فيتمادى الحاكم في ظلمه وغيِّه، فلو وقف بعض الناس في وجهه، فإنَّ سلطته تضعف، ويحسب حساباً للاعتراض عليه، وهذا ما لا يقوم به إلَّا من امتلأ قلبه بالإيمان. وقد وجَّهنا رسول الله ﷺ لنتجرأ على الظلم ونقول كلمة الحق في مواجهة السلطان الجائر، فهذا من أفضل الجهاد، قال ﷺ: «**ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا إنَّ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[٢].

ما الذي يمنعنا من قول الحق وإن عز؟ طالما أنَّ أقصى ما يتمكن منه الظالم هو القتل، وهذا ما لا يتم إلَّا بحلول الأجل. وما معنى التراجع والتقهقر عن نصرة الحق؟ طالما أنَّ أهله منصورون،

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨١.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال،ج١٥، ص ٩٢٣.

وأنَّ المتضرر منهم في هذه الدنيا يعوض الله له في الآخرة. كربلاء مشهد غني من مشاهد نصرة الحق مع قلة مناصريه، فقد ترك المسلمون ابن بنت رسول الله ﷺ وحيداً مع ثلة من أهل بيته وأصحابه بحجج واهية تعود إلى حب الدنيا وما فيها، في مقابل صمود وصبر أهل البيت والأصحاب. ففي حوار بين علي الأكبر (رض) ووالده الإمام الحسين عليه السلام، قال ابن الحسين عليه السلام لأبيه: «**يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد. قال: فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقين**»(١).

استقلال الخير واستكثار الشر

١٨ ـ يُبنى رصيد الإنسان النهائي على تراكم أمرين: القول والفعل، وتكون نتائجهما باتجاهين: الخير والشر، ويكون نجاحه بزيادة القول والفعل باتجاه الخير. وبما أن الرصيد ثمرة الحياة الدنيا كلها، فعلى الإنسان أن ينتبه دائماً كي لا ينزلق باتجاه الشر، أو تتأصل فيه عادات سيئة تُراكم ذنوبه، أو ينحرف مع هواه في ملذات الدنيا. فإذا عمل على معادلة محو الحسنة للسيئة، أو ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢)، وأجرى حساباته في ارتكاب الذنوب على أساس تغطيتها بالحسنات، فسيقع في مشكلتين كبيرتين:

الأولى: تزلزل الاتجاه السليم في حياته، حيث لا يقوم

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٨٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

بالفضائل والخيرات إلا وفق معادلة حسابية في الربح والخسارة، وقد تؤثر النية غير الصادقة في خسارة الكثير من الحسنات، وقد يؤدي هذا النمط إلى انهيار مفاجئ باتجاه الشر، لأنَّه غير مبني على الإيمان والقناعة بل على الحسابات الجامدة بطريقة مادية مقيتة.

الثانية: خطأ في الحسابات، إذ لا يدري الإنسان القيمة الفعلية المقدرة عند الله لكل قول أو فعل، وليس صحيحاً أن نعتبر كل فعل حسن حسنة ثم نضربه بعشرة، وكل فعل سيء سيئة ونحتسبها متساويةً كذلك! فالصغيرة تختلف عن الكبيرة، وتختلف مستويات الصغائر فيما بينها وكذلك الكبائر، وتؤثر عوامل عديدة في تقدير مستوى القول أو الفعل وما يترتب عليه، كالنية والقصد وابتداء الفعل أو ردَّة الفعل...

وعندما تفضَّل الله علينا بالمكافأة على الحسنة بعشر أمثالها، ثم زادها من فضله، فلأن الحسابات لا تكفي، وقد أراد إعانتنا على ضعفنا، وتشجيعنا على فعل الخيرات، وتثبيت خط الطاعة في حياتنا.

فالمسار الأفضل للاختيار: استقلال الخير مهما كان كثيراً، ليبقى الحافز موجوداً في استمرار قول الخير وفعله، أملاً بزيادة الرصيد، في مقابل استكثار الشر مهما كان قليلاً، ليساعدنا ذلك على التوقف عن المزيد من قول وفعل الشر، إذ أن استعظامه يجعلنا نعيش الخطر الذي يتطلب معالجة باتجاه قول وفعل الخير، إضافة إلى خطر الإصرار على الصغيرة الذي يحولها إلى كبيرة.

عن رسول الله ﷺ: **«لا تحقِّروا شيئاً من الشر وإن صغُر في**

أعينكم، ولا تستكثروا شيئاً من الخير وإن كبُر في أعينكم، فإنَّه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»[١].

عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإنَّ قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً»**[٢].

وكما لاحظنا، لا يقتصر الأمر على الفعل فقط، وإنما يشمل القول، فكثير من الرصيد الإيجابي أو السلبي يأتي من اللسان.كم من إصلاح بين متخاصمين، أو إخماد للغضب، أو ترقيق للقلب...سبَّبه كلام طيب، وكم من منازعة وخلاف، أو كراهية وحقد، أو اعتداء وقتال، أو طلاق وهجران...سبَّبه كلام شرير. فاللسان مفتاح للخيرات والشرور بحسب استعماله ومضمون ما يصدر عنه، لذا كان حساب الإنسان شديداً بسبب لسانه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُعذب الله اللسان بعذاب لا يعذِّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي رب، عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً. فيقال له: خرجتْ منك كلمة، فبلغتْ مشارق الأرض ومغاربها، فسُفك بها الدم الحرام، وانتُهب بها المال الحرام، وانتُهك بها الفرج الحرام، وعزَّتي وجلالي لأعذبنَّك بعذاب لا أعذِّب به شيئاً من جوارحك»**[٣].

دوام الطاعة بدوام الحياة

١٩ ـ يتصاعد الإيمان بدوام الطاعة، ويرقى الإنسان درجات

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص١٨.
(٢) الشيخ الكليني، الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٥٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٥.

التقوى بها، ويصل إلى الكمال من خلال استمراريتها. فإذا صاحَب الدعاء والأعمال الصالحة دوام الطاعة، حصل المرء على الخير الكثير، بسبب إحاطة الطاعة لحياته، وقيادتها في كل تفاصيلها.

لا قيمة للأعمال الصالحة لسنوات طويلة إذا انتكس المرء وتراجع وختم سنوات حياته الأخيرة بالمعاصي، ولا ضمانة لقبول الله له في الصالحين إذا كانت طاعته متقطعة حيث يعصيه تارة ويُطيعه تارة أخرى، أمَّا دوام الطاعة فمعينٌ على الاستمرارية والسمو والقبول. وقد كلَّفنا الله جلَّ وعلا بعبادة الصلاة خمس مرات يومياً، ليبقى التواصل قائماً معه في كل أحوالنا، قبل البدء بالعمل صباحاً، وفي وسط أعمالنا وانشغالاتنا المادية ظهراً وعصراً، ومع خطوات الاستراحة وختمِ اليوم غروباً وعشاءً، فبهذا التواصل نستذكر الرقابة الإلهية، ونقوي إرادتنا في مغالبة شهواتنا، ما يساعدنا على تغليب الطاعات في أعمالنا.

لا يمكننا الاطمئنان في أي فترة من حياتنا بأن الشيطان قد عجز أو ولَّى عنَّا، ولا يمكننا الاكتفاء بطاعاتنا السابقة لنحصِّن أنفسنا فنحن بحاجة إلى دوامها، وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «**اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبِّت قلبي على طاعتك**»[1]، وفي رواية أخرى: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»[2]. وهذا

(١) الجزائري، قصص الأنبياء، ص٢٠٧.

(٢) الطبري، ج٧، ص٣٢٨.

توجيه لنا لنلتفت إلى التقلبات والتغيرات التي تطرأ وتؤثر في حياة الإنسان. كما لا فراغ في حياة الإنسان، إمَّا أن يملأه بالطاعة وإمَّا أن يملأه بالمعصية، فهنيئاً لمن توفق بدوام الطاعة.

كان لي قريب مؤمن فقير، لا يترك فرض صلاة أو صوم، يتصرف بأخلاقية عالية مع الناس، ويحرص على الإصلاح والعمل الصالح، بقي كذلك إلى بلوغه سن الأربعين، حيث تسنَّى له السفر، وجمع ثروة طائلة، لكنَّه ترك الصلاة وانغمس في مال الدنيا، وانقلبت حياته من الطاعة إلى المعصية، فشدة مغريات الدنيا قهرت طاعته، وفترة عبادته السابقة لم تحمه من عاديات الزمان. فيا أيها العزيز، لا تثق كثيراً برصيدك الماضي، بل احرص على دوام الطاعة لرفعه باتجاه طريق الكمال، لتحمي نفسك من التحديات والابتلاءات التي تواجهك في حياتك.

لزوم الجماعة

٢٠ ـ البقاء ملازماً للجماعة أصل في الاجتماع الإسلامي، وإذا دققنا النظر في توجيهات الإسلام، وجدنا حرصاً دائماً على عدم العزلة والانفراد، وإنما على الوحدة والانضمام إلى الجماعة. فالجماعة المسلمة تحمي الأفراد بمؤازرتهم، وتعينهم على ملازمة الالتزام بدين الله، وتشعرهم بوجودهم وقيمتهم، وتساعدهم على مواجهة التحديات والأعداء، وتمكِّنهم من تبادل الخبرات والمصالح والخيرات فيما بينهم. والجماعة هنا، تلك التي تجتمع على الحق وليس على المعصية أو الباطل، مهما كانت قليلة العدد، لأنَّ اتجاهها

وأهدافها هي الأساس. عن أبي عبد الله عليه السلام: «**سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن جماعة أمته، فقال: جماعة أمتي أهل الحق وإن قلّوا**»[1].

فالجماعة تقوي شوكة الدين، وتعزِّز حضور المؤمنين العملي لنشر فضائلهم، في مقابل شرور الكافرين ورذائلهم. والجماعة رصيد للأجيال الصاعدة، ورعاية لها لتثبيت استقامتها ووعيها لهذه الدنيا ومستلزماتها. فإذا لم تكن جزءاً من الجماعة، فأين أنت؟ وما هو موقعك؟ وما هو موقفك تجاه الأحداث؟ هل أنت من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق بلا شخصية ولا موقف واضح ومحدد؟ أم أنت مع تيار الصلاح والإصلاح والتقوى والفضيلة في مواجهة الفساد والإفساد والرذيلة؟

إذا أردت أن تكون فاعلاً ومؤثراً، وإذا أردت أن تتقوى وتقوي مسيرة الحق، وإذا أردت أن تحمي استقامتك وتساهم في استقامة الآخرين، وإذا عزمت على مواجهة الظلم والظالمين ونصرة الحق والمستضعفين، وإذا اعتبرت نفسك جزءاً من خير أمة أخرجت للناس تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فلازم الجماعة، وكن معها في كل أحوالها، فإن أصابت نالك الخير منها، وإن أخطأت عملت على إصلاحها من داخلها، فبذور الخير قائمة بها لسلامة خطِّها العام في سلوك طريق الإيمان. عن الأمير عليه السلام: «**إلزموا السواد الأعظم، فإنَّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذَّ من الناس للشيطان، كما أنَّ الشاذَّ من الغنم للذئب**»[2].

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ١٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧، ص٢٨٧.

كل بدعة ضلالة

٢١ ـ رفض أهل البدع: البدعة كل مستحدث مخالف للشريعة، أو منسوب إليها وليس فيها. فالأحكام الخمسة: الواجب والحرام والمستحب والمكروه والمباح، لها معطياتها من الكتاب الكريم والسنة الشريفة لتحديدها ومعرفتها، أمَّا أن يُنسب واجب أو مستحب إلى الإسلام ولم يرد فيه نص فهذه بدعة، أو أن يُحرَّم أمرٌ أحلَّه الله تعالى فهذه بدعة. فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرَّمه الله، من خلال ما وصل إلينا عن طريق الوحي، ففي رواية عن الصادق عليه السلام: «**حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة**»[1].

وبما أن النصَّ الشرعي من القرآن الكريم، والسنة الشريفة هو المعيار للتكاليف الإلهية في الدين الإسلامي، لا يمكن استحداث نصوص وآراء بشرية وضمها إلى الإسلام على أساس أنَّها منه. نعم يوجد فرق بين ما أباحته الشريعة وتركته لاختيارات الإنسان، كاختيار بعض الأطعمة ورفض بعضها، وكيفية تأثيث المنزل بالشكل واللون والترتيب من غير ترف، وشكل اللباس مع المحافظة على الضوابط الشرعية، والشكل التفصيلي لنظام الحكم في الدولة الإسلامية، . . .وبين ما ألزمت به واجباً أو حراماً. بناء عليه فباطلٌ أي استحداث لتكليف بنسبِهِ إلى الإسلام، إذا استند إلى آراء شخصية، غير مدعومة بنص شرعي.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ١٧.

خطب رسول اللهﷺ في المسلمين، ومما قاله لهم: «**يا معشر المسلمين، إنَّ أفضل الهدي هدي محمد، وخير الحديث كتاب الله، وشر الأمور محدثاتها، ألا وكل بدعة ضلالة، ألا وكل ضلالة ففي النار**»[١].

وإنما تحدَّث الدعاء عن رفض أهل البدع، لأن البدعة سنةٌ سيئة يعمل صاحبها على أن تثبت وتستمر في الأمة ليعمل الناس بها، وليست عملاً فردياً عابراً، وإلّا اعتُبرت معصية فردية لمن ارتكبها. ولأن البدعة تسري في الأمة وتحرفها عن التشريع الحق، فصاحب البدعة يتحمل إثماً مضاعفاً بعدد من عملوا بها. قال رسول اللهﷺ: «**يا ابن مسعود، إياك أن تسنَّ سنة بدعة، فإن العبد إذا سنَّ سنة سيئة لحقه وزرها ووزر من عمل بها، قال الله تعالى:** ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾، وقال سبحانه: «يُنبأ الإنسان يؤمئذ بما قدَّم وأخَّر»[٢].

أمَّا السنة الحسنة، التي تُستفاد من الشريعة المقدسة، أو تكون عملاً حسناً بذاته من دون نسبه إلى الشريعة، فصاحب هذه السنة الحسنة التي تسري في الأمة مأجور عند الله، فهو لم يُحدث في الشريعة ما ليس فيها، وعرَّف الناس على حقيقة ما دعاهم إليه، وهو منسجم مع طاعة الله تعالى. قال رسول اللهﷺ: «**من سنَّ سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»[٣].

---

(١) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٦٣.
(٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٤٥٤.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص٩.

يشمل الرفض لمستعمل الرأي المخترع، الذي يجتهد برأيه ووجهة نظره في مقابل النص الشرعي، مخالفاً له، وإنما يكون الاجتهاد المعروف والمشروع في فهم النص واستنباط الحكم الشرعي منه، لا بتحميل النص ما لا يحمل، أو باختيار آراء ونسبها إلى الشريعة وهي ليست منها، أو باستنساب أفعال ترتبط بذوق ومزاج وتحليل من اختارها بتركيب أدلة لا رابط بينها، أو لا تخضع للضوابط التي تجعلها من الأحكام الشرعية الخمسة.

سأل رجلٌ أمير المؤمنين علياً عليه السلام وهو يخطب في البصرة عن أهل البدعة، وأهل السنة؟ فقال عليه السلام: «**وأمَّا أهل السنَّة فالمتمسكون بما سنَّه الله لهم ورسوله وإن قلُّوا، وأمَّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ولرسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثُروا**»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «**من أفتى الناس برأيه، فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم، فقد ضادَّ الله حيث أحلَّ وحرَّم فيما لا يعلم**»[٢].

انتبه أيها العزيز من مشكلتين:

الأولى: التحجر، فبعنوان الالتزام بشريعة الله تعالى، جمَّد البعض أحكام الشريعة، وعطلوا الاجتهاد، وتوقفوا عند كل جزئية جرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من دون أن يدرسوا عموميتها لكل

---

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص ٢٤٦.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص٥٨.

العصور أو خصوصيتها لعصر النبي ﷺ، فجمدوا قدرة الشريعة على مواكبة الحياة وتطوراتها، وهذا مخالف لما عليه الإسلام من مواكبته لكل زمان ومكان وما يعطيه من آفاق رحبة لحل مستحدثات الأمور.

الثانية: العصرنة، التي أطلق البعض من خلالها آراء مخالفة لنصوص الشريعة، مجردين فهم النص عن ظروفه، ومطلقين العنان لتحميل اللفظ القرآني والنبوي ما لا يحمله، مستندين إلى ما يقدرونه من متطلبات الإنسان ورغباته، من دون أن يأخذوا بعين الاعتبار بأن الإسلام شرَّع ما يصلح للإنسان، ولو خالف رغباته وملذاته.

****

(١٣)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَٱجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلاَ الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلاَ مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

العجز والتعب

تزداد حاجة الإنسان مع الكبر والتعب، فتضعف قدرته الجسدية عن العمل المعيشي الذي عمل له في ريعان شبابه، وعن الفعالية والنشاط عندما يصيبه التعب، وفي هاتين الحالتين، لا قدرة له على استشراف المستقبل ومعرفة ما يخبئه له، فالاستعانة بالله تعالى هو الرصيد الوحيد، لأنَّ الله مصدر الرزق والعون، ولا أحد سواه لذلك، وكل شيء مسخَّر بإرادته.

وبما أن الدعاء يجلب الزيادة في الرزق، فادع ربَّك ليعطيك

حصتك الإضافية المقررة بالدعاء، مع حصتك التي قدَّرها كرزق لك في هذه الدنيا. وحيث لا قوة إلَّا لله فهو القوي العزيز، ولا حول ولا قوة إلَّا به، فاطلب منه أن يمدَّك بما يعينك أثناء تعبك، فإنَّه سميع مجيب الدعاء. لا تكن متحفظاً في دعائك، فاطلب أوسع الرزق عندما تكبر، أي أن يكون التوزيع لرزقك المقدَّر في هذه الدنيا مراعياً أوسعه عند ضعفك عن تحصيل الرزق، واطلب أن تكون القوة الممنوحة لك متجهة بأقوى فعالية فيها أثناء تعبك.

ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام مجموعة من الابتلاءات والاختبارات الصعبة والخطرة التي تؤدي إلى الانحراف عن سبيل الله، ووجهنا لندعو الله تعالى أن ينقذنا منها ومن آثارها، وهذا تنبيه لنا لمواجهة ما يتسرب إلى نفوسنا من كسلٍ وعمى قلب ورغبةٍ بصحبة العاصين، فبعض الخطوات تحرف الإنسان تدريجياً ليجد نفسه خارج الاستقامة، وقد أحاطت به الحجب التي تقطع عليه طريق الهداية، فاحذر من الابتلاءات التي تصرفك عن الصراط المستقيم، ومنها:

الابتلاءات الأربعة

١ ـ ابتلاء الكسل عن العبادة: يبدأ الكسل بالتراخي والإهمال عن أداء العبادة بأوقاتها وظروفها الأفضل، فلو أراد الصلاة أخرها لساعات من دون عذر وجيه، وتساهل في أدائها إلى آخر الوقت، وتلهَّى مع أصحابه وتسلّى ببعض تساليه، فإذا قام إليها كان متثاقلاً وكأنها عبء عليه، وأدَّاها غير متفاعل معها، منجزاً إياها بالشكل من دون أي أثر روحي ومعنوي، كل ذلك ناشئ عن الاستهتار بالصلاة.

مع أنَّه لا شيء يمنعه من إقامتها في أول وقتها، وأن يختار ظروف أدائها الأفضل، ومع الجماعة، والتأني في الركوع والسجود، وتهيئة القلب ليعيش بعض خشوعها مع الله...

ثم يتطور التكاسل ليتحول إلى نفاق، بحيث يؤدي عبادته خشية من الناس، ورغبة منه في انطباعهم الإيجابي عنه، فلم تعد الصلاة بالنسبة إليه صلةً بالله، وإنما تحولت إلى مظهر دنيوي يُكسبه ثقة الناس به. وفي كل الأحوال فالتكاسل صفة من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

وحتى عندما ينفقون أموالهم فهم ينفقونها من أجل السمعة والمكانة الاجتماعية أي رياء للناس، فأعمالهم وعباداتهم محكومة بسياق النفاق، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٢].

هل لاحظت معي خطورة التلهي عن الصلاة في أول وقتها؟ ما الذي يؤخرك عنها؟ يمكنك تأجيل التسامر والتحادث، وشرب القهوة أو الشاي، وإضاعة الوقت على التلفاز. فإذا أقمتها في أول وقتها بإخلاص لله تعالى، حصلتَ على لذة الطاعة وأُنْس الصلة بخالقك،

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

وجَذَبَتك للمزيد والتفاعل، فقد قال عنها رسول الله ﷺ: «**جعل قرة عيني في الصلاة**»[١].

ليست العبادة ضريبة مفروضة عليك، إنها نور يضيء حياتك نحو السعادة، ورضًى من الله عنك في توفيقك لحسن أدائها واستمراريتها. فقد روي عن أحد العابدين مداومته على صلاة الليل ردحاً من الزمن، إلى أن اختلج في نفسه في المنام من يخاطبه بعدم رضى الله عنه، لأنَّه لم تأته أي اشارة خلال عبادته عن هذا الرضى. فتحسَّر في نفسه، وتجاذبته الأفكار، فلم يقم في ليلته التالية لصلاة الليل، وبما أنه عبدٌ مخلص، فقد رحمه الله تعالى بهاتف في منامه يقول له: «لو لم يكن الله عنك راضياً، لما وفقك لاستمرار قيامك في لياليك، فإنَّه يحب سماعك في جوف الليل المظلم والبطَّالون نيام»، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**يا ملائكتي، انظروا إلى عبدي، فقد تخلى بي في جوف الليل المظلم، والبطَّالون لاهون، والغافلون نيام، إشهدوا أني قد غفرت له**»[٢]. وهل الهدى والتوفيق إلى العبادة والرضوان الإلهي إلَّا الاستمرار في خط العبادة والطاعة، فحذار أيها الضعيف من أن يؤدي بك الكسل إلى هاوية المعصية.

٢ ـ ابتلاء العمى عن سبيل الله: سبيل الله طريق الهداية، وليس المقصود بالعمى عمى العين، وإنما عمى القلب عن الاهتداء إلى سبيل الله. ادع ربك ليهديك سبيله، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص ٣٢١.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص٣٥٤.

﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[١]، فتطمئن إلى دنياك وآخرتك، وإلى تكاثر نِعم الهداية عليك. إنها السنَّة الإلهية منذ بدء حياة آدم عليه السلام على الأرض، في أن يكون الهدى سبباً للاطمئنان والسكينة والسعادة، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

وانتبه، فالخط المستقيم واحد، لا يقبل التعدد ولا الإثنينية ولا الإضافة، لست بحاجة إلى أي تشريع آخر لتضيفه إلى شريعة السماء، فهي كاملة تامة، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣]، وليس فيها ما يقتضي الحذف والإلغاء، فهي صالحة بتمامها لكل عصر، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤]، وأي انحراف بسيط عن الصراط المستقيم يُبعدك عن خط الهداية الأصيل، فقد رسم رسول الله ﷺ لأصحابه بعصاه خطاً مستقيماً على التراب، وتلا عليهم الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٨٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

احذر من هواك الذي يزين لك الدنيا ، ويغريك بالأخذ منها ولو مؤقتاً بدعوى أنك تتوب بعد ذلك في نهاية عمرك!

احذر من الترخيص لنفسك فيما حرَّم الله تعالى بدعوى عدم وضوحه أو قلة عقابه!

احذر من الضغوطات الاجتماعية والأعراف والتقاليد التي تجرك إلى مخالفة أوامر الله تعالى بعنوان الحرج وصعوبة المخالفة لما درج عليه قومك!

احذر من منزلقات الحياة السياسية التي تجعلك نصيراً للظالم لمصلحة لك معه على حساب أمتك!

احذر من أن تخضع لمزاجك فتختار منه ما ينسجم مع شهواتك وتترك منه ما يخالف رغبتك وهواك!

احذر من أن تميل تدريجياً عن جادة الاستقامة ، فتجد نفسك مع الذين يصدون عن سبيل الله بإنكارهم هذا السبيل أو رفضهم له ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾(١).

أيها العزيز ، حدِّد خيارك ، فلا يمكنك البقاء في الوسط ، إمَّا أن تكون مع الحق ، وإمَّا أن تكون مع الذين أعمى الله بصيرتهم ، قال تعالى : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢). حماك الله من العمى عن سبيل الله ، وهداك لسلوك الطريق الصحيح إلى مرضاته وسعادتك.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٩.

٣ ـ ابتلاء التعرض لخلاف محبة الله: الله يحب ويبغض، لا عن حاجة للحب، ولا عن ردة فعلٍ بالبغض، إنما يحب بلطفه ورحمته، ولا يحب رأفة بالعباد وانكاراً لباطلهم.

اجعل نفسك ممن يتعرضون لمحبة الله، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[(٣)]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[(٤)].

ولا تجعل نفسك ممن يتعرضون لخلاف محبته، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[(٥)]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[(٦)]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٧)]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[(٨)]، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(٩)].

إنَّ الله يحب أصحاب الفضائل والصفات الحميدة، ولا يحب أصحاب الرذائل والصفات الذميمة، ولا يبني حبَّه إلَّا على الأعمال الصالحة، حيث يكون حباً متبادلاً بينه وبين المؤمنين، فهم يعبِّرون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

عن حبهم له باتباعهم دينه، وهو يحبهم ويغفر لهم ذنوبهم لاستحقاقهم هذه المكرمة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فإذا ثبتوا على دين الله استمر الحب المتبادل بينهم وبين الله، وإلَّا استبدلهم بغيرهم ممن يقومون بالعمل الصالح، ويحبهم ويحبونه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]. فسلوك طريق الضلال تعرضٌ لخلاف محبة الله، ومعصية أوامره ونواهيه تعرضٌ لخلاف محبته أيضاً، لارتباط الحب بالعمل الصالح، وقانا الله من غضب الله وعدم محبته.

٤ ـ ابتلاء اختيار الصحبة: لا تبتلني يا رب بأُلفة مجالس البطالين، الذين يجتمعون متفرقين عنك وبعيدين عن طاعتك، حيث تسود مجالسهم المعاصي والمحرمات، قولاً وفعلاً، فإنَّ هذه المجالس تجر إلى الانحراف، لأن الحاضرين فيها لا يطيعون الله، ولا يهتمون بالضوابط الشرعية. قد يكون في مجالسهم الغناء والخمر والغيبة واللهو المحرَّم، كما أن اهتماماتهم دنيوية بحتة، تركز على الأهواء والملذات، ولا يصدر عنهم ما يرقق القلب في الاقتراب من الصلاح. وكلما أكثر المرء من معاشرتهم ازداد ابتعاداً عن التزامه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

وإيمانه، فهؤلاء من أهل الدنيا الذين انكبوا عليها، ويعيشونها أكبر همٍّ لهم، فمن عاش معهم أحاطت به الحجب التي تمنع أنوار الهداية من الوصول إلى قلبه. يا رب امنحني القدرة في أن لا أعاشر هؤلاء القوم، وأن لا أرتاد مجالسهم، وأن لا أكون من جماعتهم. فكل واحد منا منطبع بمن يعاشر، فقد ورد في الحكمة المأثورة: قل لي من تعاشر أقل لك من أنت. وفي الرواية: من عاشر القوم أربعين يوماً أصبح منهم أو رحل عنهم.

ولا تحرمني يا رب، من الاجتماع مع المؤمنين في مجالسهم، فإنها مجالس الخير والطاعة والصلاح، ومنها تشع أنوار الهداية، وفيها يستعيد الإنسان قوته بإخوانه في طاعة الله، إنها تستحق كل اهتمام ومداومة عليها. فإن الخسارة في مفارقة من اجتمع إليك لا يمكن تعويضها، ويكفي المجتمعين توفيقاً أنهم من أولياء الله، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

فيا رب أسألك إعانتي للتخلي عمن تفرق عنك، والملازمة لمن اجتمع إليك، ولا تبتلني بالاجتماع والمعاشرة لأهل الباطل، ولا بالافتراق والابتعاد عن أهل الحق. والحديث هنا عن الألفة والمداومة والمحبة، لا عن المعاملات العابرة في حياة الناس، والضرورات العملية في العلاقات مع الآخرين. جعلنا الله من أهل محبته ومحبة معاشرة أوليائه.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(١٤)

أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُوْلُ بِكَ عِنْدَ ٱلضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ. وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلاَ تَفْتِنّي بِٱلإِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلاَ بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بِٱلتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الضعيف بحاجة إلى القوي

أصول يعني أحمل حملةً أو أثب وثبةً أو أقهر، وهو مطلبي عند الضرورة في مواجهة الأعداء والظالمين، فإن اعتمادي عليك يمدني بقوة إضافية، أنتصر بها وأهزم خصمي. وأسألك أن تعطيني عند الحاجة، فحاجاتي كثيرة مادياً ومعنوياً، وأنا عاجز وضعيف، بحاجة إلى المزيد من عطائك. وأتضرع إليك وأتذلل لك خاصة عند المسكنة والذل والقهر من الآخرين، فإنَّ التذلل إليك مكرمة وشحنة معنوية كبيرة، أمَّا الذل أمام البشر فمنقصة وخسارة، فأعني بتذللي لك لأواجه المذلة للبشر.

يكون الإنسان أقرب إلى الله تعالى في لحظات شعوره بضعفه، ومع دعائه وطلب العون منه، يحصل على قوة إضافية على المستويين النفسي والعملي تساعده في مواجهة التحديات، وذلك بملاحظة نقاط أربعة في هذا المجال:

الأولى: الله تعالى مصدر كل عطاء: فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والمنعم والمبتلي.. .بإرادته تستمر الحياة في الكون، وبعطاءاته ينعم الإنسان بالخيرات، ولا مصدر آخر غير الله لهذه العطاءات.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[١].

وقال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[٣].

الثانية: الإنسان ضعيف محتاج: لا يستطيع فعل كل ما يريد، فلا قدرة له على تجاوز محدودية إمكانياته، ولا يتمكَّن من مواجهة

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

القوانين الطبيعية، ويُبتلى بالظلم والقهر والفقر وغيرها...وهو بذلك يتألم ويتضرر ويأمل التخلص مما هو فيه للحصول على الأفضل، لكنَّه محكوم بالعجز والفناء، فهذه سنة الله في الحياة.

الثالثة: لجوء الضعيف إلى القوي: يبحث الضعيف عن القوي ليلجأ إليه، ويسعى العاجز ليحتمي بصاحب القدرة، ويأمل الفقير بعون الغني، ويسأل المحتاج من يسد حاجته. فإذا لجأ الضعيف العاجز الفقير المحتاج إلى الله القوي القادر الغني المعين، فقد اختار طريق الصواب في معالجة متطلباته، أو على الأقل في سعيه للحل، ولو لم يحصل على كامل مراده. قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

الرابعة: لا تتعطل الأسباب: قد يتوهم البعض بأن النقاط الثلاث توصل إلى الاكتفاء بالدعاء من دون رعاية الأسباب، وهذا خطأ واضح! فطلب الرزق ليس مفصولاً عن السعي والعمل لتحصيل الرزق، ومن يجلس في بيته لا يحصل على رزقه المقسوم بالعمل، لكن إذا سعى ودعا لزيادة الرزق، فإن الدعاء يزيد الرزق بناء على القاعدة الإلهية التي تزيد الرزق عند الدعاء. وطلب النصر على الأعداء من غير إعداد العدة غير وارد، لكنَّ الدعاء المشفوع بإعداد العدة يزيد من القوة المعنوية التي يحصِّلها المؤمن، ما يضاعف من قوته في مواجهة الأعداء، وقد آلى الله على نفسه أن ينصر من نصره،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

عندما يقوم الإنسان بما عليه من إعداد العدة، بناء لقانون إلهي لا ندرك تفاصيله في كيفية وآلية نصر المؤمنين، لكننا نعلمه ونفهمه بالإجمال بحسب وعد الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٢]. فاللجوء إلى الله تعالى لا يلغي المقدمات المادية والمعنوية، لكنَّه يُفعِّل نتائجها، ويضيف إليها ما لا يكون في حسباننا، فنحن نحسب حساباً لما تُدركه عقولنا وما نراه من إمكاناتنا، لكنَّنا لا نعلم الغيب، ولا نعرف الأسرار الخفية التي تحيط بالأحداث، ولا نستطيع الربط بين ما عندنا وما في عالم الملكوت، ولعلَّ أجمل التعابير وأكثرها اختصاراً في تبيان هذه الحقيقة ما قاله تعالى في الآيتين الكريميتين: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[٤].

كل هذا بعد أن نقوم بالمقدمات اللازمة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، أرسل ناقتي وأتوكل، أو أعقلها وأتوكل؟. فقال صلى الله عليه وآله: لا، بل إعقلها وتوكَّل**»[٥]. فإذا ربط الناقة

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) سورة الأنفال من الآية: ٦٠.

(٣) سورة الطلاق، من الآية: ٢.

(٤) سورة الطلاق، من الآية: ٤.

(٥) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٦٢.

ولم يرسلها أي لم يتركها حرَّة طليقة، ثم توكَّل على الله بعد توفير هذه المقدمة اللازمة، فالأمل بالله كبير أن تبقى محفوظة في مكانها.

خطر استعجال النتائج

استخدم الإمام زين العابدين عليه السلام في القسم الثاني من هذه الفقرة من الدعاء عبارات مشابهة للعبارت السابقة، وبهذا تسهل المقارنة. فيا رب لا تفتني بالاستعانة بغيرك إذا اضطررت بل اجعلني أصول بك عند الضرورة، ولا بالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرت بل بسؤالك عند الحاجة، ولا بالتضرع إلى من دونك إذا رهبت بل بالتضرع إليك عند المسكنة.

أمَّا قوله: لا تفتني أي لا تختبرني ولا تبتلني، لأن لحظات الاضطرار والحاجة والرهبة قد تدفع الإنسان لاختيار السبل الخاطئة، ظناً منه بجدواها في التخلص من معاناته، حيث تكون جذَّابة بالنسبة إليه، لأنها تعطي إشارات للحل السريع. فالاستعانة بالله تتطلب صبراً بانتظار النتائج، أمَّا الاستعانة بغير الله فتبدو أسهل وأسرع، لأن المستعين يخاطب أو يطلب من المستعان به من الناس بخطاب مباشر متوهماً قدرته على التأثير وعلى ملامسة نتيجة سعيه.

فمثلاً: طلبُ الرزق يتطلب سعياً، وقد سعى أحدهم عن طريق الحلال ودعا الله ليرزقه، لكنَّ الطريق لم يُفتح أمامه بعد، ولا يعلم متى تتيسر أموره، فما هو واضح أنه من دون عمل ومن دون معاش

لتيسير أمور عياله. في هذه اللحظات، يأتيه من يرشده إلى العمل في خمارة، أو مستزلماً لظالم، أو عميلاً للعدو، ويعرض عليه البدل المالي مباشرة. فيبدأ الصراع في داخل نفسه، هل يقبل مستعيناً بغير الله، أي مستعجلاً الرزق عن طريق الحرام؟ أم يرفض مستعيناً بالله تعالى وينتظر الرزق الحلال، من دون معرفة توقيت التوفيق إليه؟

مثال آخر: واجَهَ بعضهم احتلالاً للأرض أو سلطة ظالمة تخالف إيمانه وقناعاته، فإذا عارض المحتل أو الظالم، سيكلفه ذلك معاناة وتضحيات، وقد تكلفه حياته وبيته واستقراره، كما يحمل ذلك آفاقاً للفوز ولو بعد حين، مع جهل تام لما ستؤول إليه الأمور، والوقت الذي سيتحقق فيه وعد الله بنصر المؤمنين. وإذا تعاون مع المحتل أو الظالم، فسيحصل مباشرة على بعض المكاسب، وسيكون الوضع الآني واضحاً بالنسبة إليه، لكنه يكون قد خسر مبادئه والتزاماته، وقد يدفع ثمن ذلك لاحقاً خسراناً كبيراً، لكنَّه احتمال لا وضوح لنتائجه السريعة. فمع أي اتجاه يكون: مع التضحية والمعاناة المباشرة مصحوبة بالتضرع بالله والمكاسب المحتملة المؤجلة؟ أم مع المكاسب السريعة مصحوبة بالذل والمسكنة لغير الله بصرف النظر عن نتائجها المستقبلية؟

هنا يبرز الاختبار والامتحان والفتنة، ولا يتخذ القرار الشجاع والجرئ والواثق برزق الله ونصر الله إلَّا من ملأ قلبه بالإيمان، وأيقن أن الاستقامة سبيل النجاة، والمقدَّر لا يغيره المبطلون، ولا بدَّ من قول كلمة الحق.

كتب الخليفة المنصور إلى الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «لِمَ لَمْ تَغْشَنا كما يغشانا سائر الناس؟

فأجابه الإمام عليه السلام: **ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوه لك، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟**

فكتب له مجدداً: تصحبنا لتنصحنا؟

فأجابه عليه السلام: **من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك**»[1].

ليس استعانة بغير الله، أن يبحث الإنسان عن عمل، أو يتواصل مع أصحاب المتاجر، أو يتعاون مع زميل له. . .فكل هذه مقدمات طبيعية ومشروعة. فإن حصل الرزق عن طريق زميلك فهو رزق الله لك، وإن حصل النصر بعد امتلاك المعدات العسكرية وإعانة الحلفاء والأصدقاء فهو نصر الله بعد إعداد العدة، فلا تنسب الرزق والنصر إلى هذه المقدمات، وإنما نوفرها كجزء من السعي، ثم يكون التوكل على الله تعالى، لتبقى أنظارنا وقلوبنا معلقة بمالك كل شيء، فلا نخضع ولو قليلاً ذلاً لأحد. فالعنوان الأساسي للاستعانة بالله تعالى أن يكون اختيار السعي منسجماً مع طاعته، وأمَّا الاستعانة بغير الله فهو ما ينسجم مع المعصية والظلم والحرام

---

(١) الإربلي، كشف الغمة، ج٢، ص٤٢٧.

والباطل. فإذا خضع المرء لغني مترف في مساعدته على الحرام، أو استسلم لظالم في الركون إليه، أو تعاون مع المحتل في تسهيل احتلاله، أو أعان ظالماً ضد مظلوم، أو كسب مالاً عن طريق الحرام. . .فهذه استعانة بغير الله جلَّ وعلا.

أيها العزيز، لا تستعجل النتائج، فكل شيء يحصل في أوانه، وقد رأيت بعينيك كيف سقط الظالمون، وخسر المترفون، وطُرد المحتلون، وفقد أمواله من حصل عليها عن طريق الحرام، ووقع في المصائب من سعى لحياة السلامة والدعة، فكن صابراً، واعمل باستقامة تصل إلى أفضل النتائج بإذن الله، وإلَّا استحقيت خذلان الله لك في فشل مخططاتك، ومنعك من تحقيق آمالك الدنيوية، وإعراض الله عنك في عدم شمولك برحمته، وهذه خسائر كبرى لا يمكنك تعويضها. نعوذ بالله أن تصيبك هذه المكروهات.

****

(١٥)

أَللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ، أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ، أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ، أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ، أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرَاقاً فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَآءً لِمِنَنِكَ.

كيف نستبدل الوساوس الشيطانية؟

تؤثر الأفكار التي تختلج في داخل النفس على اختيارات الإنسان، فإذا كانت سيئة أثَّرت على سلوكه وأدائه بارتكاب المعاصي والآثام، وإذا كانت حسنة أثَّرت كذلك بأعمالٍ خيِّرة وصالحة. وبما أن الشيطان رمزٌ للشرور، فكل فساد يعود إليه وإلى منهجه، وما يدور في داخل النفس من الإقبال على المعاصي هو من وسوسات

الشيطان، أي مما يلقيه الشيطان في روع الإنسان، ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[١]، على قاعدة الإيحاء بالمصلحة وتحقيق الرغبات واللذات، لا على قاعدة الالزام، فالاختيار أولاً وأخيراً بيد الإنسان بكل حريته.

فالخطر من هذه الأفكار التي تعتمل في النفس، وتتجاذبها بين الحين والآخر، في تمني الملذات المحرَّمة، والحكم بالظن على الأمور من دون توفر الأدلة الكاملة، مع ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢]، والحسد بتمني زوال النعمة من عند الآخرين لتحصل عليها وهو عمل شرير دعانا الله للاستعاذة من صاحبه ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٣].

إلَّا أنَّ المتأثرين بوسوسات الشيطان فريقان: الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم، قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٤]. وفي شرح العلامة الطباطبائي لهذه الآية، قال: «مرضُ القلب عدم استقامة حاله في تعقُّل، بأن لا يذعن بما من شأنه أن يذعن به من الحق، وهو الشك والارتياب. وقساوة القلب وصلابته وغلظته، مأخوذ من الحجر القاسي أي الصلب، وصلابته بطلان

---

(١) سورة الناس، الآية: ٥.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.

(٣) سورة الفلق، الآية: ٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٣.

عواطفه الرقيقة المعينة في إدراك المعاني الحقة كالخشوع والرحمة والتواضع والمحبة. فالقلب المريض: سريع التصور للحق، بطيء الإذعان به، والقلب القاسي: بطيئهما معاً، وكلاهما سريع القبول للوساوس الشيطانية، والإلقاءات الشيطانية، التي تُفسد الأمور على الحق وأهله، وتُبطل مساعي الرسل والأنبياء»[١].

وقد نبَّهنا جلَّ وعلا في القرآن الكريم إلى تربص الشيطان بنا، وخطورة خطواته، وأنَّه يأمر بالفحشاء والمنكر، وهو عدو للإنسان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

كيف نواجه هذه الوسوسات الشيطانية؟

لا يمكن للمرء أن يمنع فكره وخياله من أن تجول فيه أفكار مختلفة، لكنَّ بإمكانه توجيهه في الاتجاه الإيجابي، وهنا تكمن أهمية جهاد النفس، في طرد الوساوس واحلال الخير مكانها، فكلما عمل الإنسان على تغذية الاتجاه المعاكس استطاع أن يتغلب على شيطانه.

من التوجيهات التي يدعونا إليها الإمام زين العابدين عليه السلام: أن نذكر عظمة الله تعالى في خلقه، ونفكر في قدرته الواسعة التي لا

(١) السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٤، ص٣٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨ ـ ١٦٩.

يضاهيها شيء، وأن يتوجه فكرنا للتدبير والتخطيط بما يساعدنا للانتصار على عدوِّنا. ولهذا التفكُّر آثار عظيمة على النفس الإنسانية، فهو لا يطرد الوساوس الشيطانية فقط، وإنما يثبِّت الإيمان، ويصحح الاتجاه، ويعالج مرض القلب وقساوته، ويعطي فاعلية العبادة الحقة. عن الإمام الرضا عليه السلام: «**ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، وإنما العبادة التفكر في أمر الله عزَّ وجل**». على أن يكون التفكر فيما ظهر أمامنا من خلق الله، لا في ذاته وأسرارها الخفية عنا، والتي تعجز عقولنا عن إدراكها. روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصد نحو ناس من أصحابه فسكتوا عندما وصل إليهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما كنتم تقولون؟ قالوا: نظرنا إلى الشمس، فتفكرنا فيها من أين تجيء وأين تذهب؟ وتفكرنا في خلق الله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كذلك فافعلوا، تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله**»[١].

لسانك رصيدك

تبدأ الخطوة الأولى في داخل النفس، ثم تترجم عملياً من خلال الخطوة الثانية بواسطة الجوارح، فإذا جرت وسوسة الشيطان في النفس، ترجمها اللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان أعمالاً منحرفة، وإذا كان التفكر في خلق الله وأجواء الطاعة والعبادة، ترجمتها الجوارح أعمالاً صالحة في خط الطاعة لله.

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٤، ص ٣٤٨.

اللسان أبرز الجوارح الذي يملأ الرصيد بالذنوب أو الفضائل، ولذا كان التركيز عليه أكثر من غيره، وما يجريه الشيطان على اللسان من لفظة فحش أو هجر . . . هو بإرادة كاملة من الإنسان، وإنما نُسب الإجراء إليه، لما تمثله هذه الأعمال من ترابط منهجي في خط الشيطان، واقتداءٍ باطروحته المخالفة لدين الله. فالعمل الفاسد من الإنسان، سلوكٌ حرٌّ وإرادي، في اختيار طريق الشيطان، بالمخالفة لأحكام الله.

انتبه إلى لسانك، فهو مفتاح الخيرات والشرور، قال رسول الله ﷺ: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»[(١)]، وقال ﷺ: «**كم من دم سفكه فم**»[(٢)]، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك، واعرضه على العقل، فإن كان لله وفي الله فتكلم به، وإن كان غير ذلك فالسكوت خيرٌ منه، وليس على الجوارح أخف مؤونة، وأفضل منزلة، وأعظم قدراً عند الله، من الكلام في رضاء الله ولوجهه، ونشر آلائه ونعمائه في عباده**»[(٣)].

انتبه إلى لسانك، فلا تُجري عليه المنكرات من: لفظة فحش أو هُجر أو شتم عرض تؤذي آثارها، أو شهادة باطل تحرم صاحب الحق من حقه، أو اغتياب مؤمن غائب بكشف عيوبه وإسقاط مكانته في نظر الآخرين، أو سب حاضرٍ بإيجاد العداوة معه بسبب هذا

---

(١) النيسابوري، روضة الواعظين، ص٤٦٩.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٣٧٩.

(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٩، ص٣٠

الأداء، وما أشبه ذلك من أقوال تنطلق من اللسان وتسبب المشاكل بين الناس وتسجل آثاماً في صحيفة الأعمال.

استبدل ما يجري على لسانك من الفحشاء والمنكر بالنطق بالحمد لله، ففيه ربط لك بخالقك، وإغراق في الثناء عليه فهو مستحقٌ لذلك ويؤثر الأمر على روحيتك، وذهاب في تمجيده فالمجد كله له، وشكر لنعمته ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١)، واعتراف بإحسانه حيث يعطي من غير حساب، ويعطي من يسأله ومن لم يسأله ولم يعرفه تحنناً منه ورحمة، وإحصاء لِمننه بذكرها لتكون سلواك وأنسك وشاغلتك عما عداه.

إذاً فبدل إطلاق اللسان في المفاسد أطلقه في الأمور الصالحة، وبدل تعويده على الألفاظ الفاحشة عوِّده على الثناء والحمد لله تعالى، وبدل أن تملأ مجالسك بالكلام المضر إملأه بالكلام المفيد، وبدل أن ترسله في إيذاء الناس وضررك وجِّههُ في الإحسان إليهم ونفعك. ولعلَّ أفضل توجيه للسان أن يلهج بذكر الله دائماً بكل ما يحمل هذا الذكر من حمد وثناء وشكر وتمجيد واعتراف بالإحسان وإحصاء للمنن، فبذلك ينشغل اللسان بالخير، ويحقِّق راحة في النفس، وينعكس إيجاباً في العلاقة مع الناس، وينتج عنه ثواب الآخرة.

****

(١) سورة النحل، من الآية: ١٨.

(١٦)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلْدَّفْعِ عَنِّي، وَلاَ أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ ٱلقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلاَ أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

الظلم مهلكة

يا رب أعني كي لا يظلمني أحد، وأنت مطيق وقادر أن تدفع الظلم عني، فأنَّك ممسك بالكون بأسره، وإليك ترجع الأمور كلها، فادفع الظالمين عني. وكذلك وفقني كي لا أظلم أحداً، وأنت القادر على القبض مني أي بمنعي من ظلم الآخرين، فأنت المسيطر والميسر، فلا تجعلني من الظالمين. إن الظلم منكر، سواء صدر منك اتجاه الآخرين، أو صدر من الآخرين اتجاهك. وكما ترغب أن لا يظلمك أحد، يجب أن تعمل كي لا تظلم أحداً، وكما تستنكر على الظالمين أفعالهم، فارفض ظلمك لنفسك وللآخرين، لأنَّه من سنخية واحدة، وكما تحب أن يفشل الظالمون في إيذائك وإضرارك، عليك

أن تبغض أي خاطرة ظلم تأتيك، وأن تستأنس في انتصارك على هواك، وحرصك أن لا تظلم. فنتيجة الظالمين واحدة: وهي الهلاك والخسران المبين. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[١]. فلا تبهرنَّك قدرة الظالم على السيطرة والطغيان والمكاسب الآنية، فهي مرحلة مؤقتة وزائلة لا محالة، ولها موعد وأَجَل.

الظالم يظلم نفسه قبل أن يظلم الآخرين، لأنه يودي بها إلى الهلاك. فإذا أردنا أن نتجنَّب خطوات الظلم فلننظر إلى أوامر الله ونواهيه، فهي المعيار في التمييز بين الحق والباطل، بين المعروف والمنكر، بين العدل والظلم، من تعدَّاها ولم يلتزم بها فقد ظلم نفسه وسلك طريق الظلم، الذي يتفاوت في درجاته بين شخص وآخر، وبين عمل وآخر، فقد يكون محدوداً أو كبيراً، لكنَّه طريقٌ يسدُّ أبواب الرحمة والخير والفلاح، ويفتح أبواب الشقاء: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[٢]، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣].

انتبه إلى حدود الله في علاقتك مع نفسك بعباداتك، وفي علاقتك مع الآخرين من خلال معاملاتك، ومع الأهل والجيران والمرؤوسين والرعية...بحسب ما تكون سلطتك وتطال قدرتك، فإنَّ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الطلاق، من الآية: ١.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٣.

الظلم لا يتلطَّف عنوانه كبيراً كان أم صغيراً. واعلم أن البداية من قلبك، ومن طريقتك في التفكير ورؤيتك للأمور، فالمسألة مرتبطة بالمنهج الذي تؤمن به والذي يؤثر على مسار حياتك واختياراتك، فإذا ارتكبت ظلماً ما، فإنَّه يُحدث نقطة سوداء في قلبك، فإذا تكرَّر الأمر نفسه أو بأشكال مختلفة تراكمت النقاط إلى أن يصبح الظلم مألوفاً وطبيعياً، عندها يخربُ القلب وتبدأ الظلمات في منعه من الإنصاف والعدل. قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظلم فإنَّه يخرب قلوبكم**»(١).

وما أصعب الوقوف بين يدي الله في حقوق الآخرين، خاصة إذا تعلق الأمر بحقوق المظلومين على الظالمين. قال رسول الله ﷺ: «**بين الجنة والعبد سبع عقاب، أهونها الموت. فسأله أنس بن مالك: يا رسول الله، فما أصعبها؟ أجابه ﷺ: الوقوف بين يدي الله عزَّ وجل إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين**»(٢). وهذا طبيعي، لأنَّ الظلم يخرِّب الحياة البشرية، ويسيء إلى علاقات الناس مع بعضهم البعض، وإلى المجتمعات في إداراتها ونهضتها، وهو على طرف النقيض لما أمر الله به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾(٣).

يتحول الظلم الدنيوي إلى ظلمات في القبر، وظلمات يوم الحساب، ويُحرم فاعله نور الرحمة والفضل والثواب. سأل رجل رسول الله ﷺ عن مسائل تتعلق بالدنيا والآخرة، ومما قاله: «أحبُّ

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٣، ص ٥٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٨٢٤.
(٣) سورة النحل، من الآية: ٩٠.

أن أحشر يوم القيامة في النور. فقال له ﷺ: **لا تظلم أحداً تحشر يوم القيامة في النور**»[١].

هدى الله هو الهدى

«وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي». فأساس الهداية من الله، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[٢]، وقد أرسل الأنبياء والرسل ومعهم الكتب السماوية وبين أيديهم تجارب الأمم السابقة، كل ذلك لتعزيز فرص الهداية عند الإنسان، الذي يملك القابلية لذلك بفطرته. لكنَّه يضل بكفره وصدِّه عن سبيل الله واتخاذ الشياطين أولياء من دون الله، أي باختياره خط الانحراف. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾[٣]، وقال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٤].

يا رب، لا تجعلني ضالاً باختيار خط الانحراف، وقد أمكنتك هدايتي بالترغيب بخط الهداية مع توفير كل مقوماته، فرغِّب إليَّ الإقبال عليك، وساعدني لأسلك سبيلك، وأنا أعلم مسؤوليتي عن ذلك، لكن لعلمك الخفي وقدرتك العظيمة أسرارٌ لم أطلع عليها، فوفقني بهما لأكون ممن شملتهم بالهداية. إنَّ أبواب الهداية مترابطة، يُفتح الواحد منها تلو الآخر، ويسهل كل واحد منها للآخر، وهي

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص١٢٨.
(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٢٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

كالسلسلة التي تتكامل حباتها فتتفاعل مع بعضها البعض، لتصبح الهداية نمطاً وسلوكاً عاماً في الحياة، وكلما سار الإنسان فيها خطوات، إقترب أكثر فأكثر من التقوى التي تحمي من الانحراف، وتساهم بشكل تصاعدي في تراكم مكتسبات طريق الهداية، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[1]. وهل يطمئن المرء إلَّا بهذا الطريق؟.

هذِّب نفسك تهتدي، وجالس العلماء تتعرف على حقائق النور الإلهي، وصاحب أهل التقوى تستفيد منهم، واحرص على عباداتك وأدعيتك وصلتك بالله تعالى ينير دربك طريق الهداية، واعمل الصالحات في كل ما أحاط بك تنعكس عليك خيراً دنيوياً وثواباً أخروياً، وتجنب المعاصي ولو آلمك ذلك وحرمك من اللذة، فستشعر بحلاوة الممانعة والرفض ثباتاً واستقراراً أكثر بكثير مما عليه اللذة الزائلة. حذار من الضلال، بداية ووسطاً ونهاية، قليلهُ وكثيره، استهتاراً منك أو تصميماً عليه، فإنَّه يفتح عليك باب الجحيم، ويجرك إلى طريق اللاعودة، وما مكتسباته إلَّا زينة ولعب ولهو سرعان ما تنتهي مفاعيلها وتبقى آثارها المؤلمة.

الطغيان وسعة الرزق

«وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلاَ أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي».

يدعو الإمام عليه السلام ربَّه بعدم الافتقار وسعة الرزق فأن السعة من عند الله

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٧.

تعالى، وهذا ما لا يملك الإنسان القدرة عليه، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(١)، وإلى جانبه الدعاء بأن لا يطغى بفعل القدرات التي أعطاها الله له. فيا رب في الوقت الذي أدعوك فيه إلى سعة الرزق، أدعوك إلى توفيقي كي لا أطغى، فلا شيء لديَّ أو من عندي، فمن عندك وُجدي أي حظّي وقدرتي، وما قدرته لي من نصيب في هذه الدنيا، وهل يصح أن أفرِّط بما أكرمتني به وأنعمت عليَّ؟

يسبب الغنى والعطاءات الإلهية للإنسان في كثير من الحالات طغياناً وكفراً، لما لهذه القدرات من إغراء في السيطرة وتحصيل المزيد، ولو كان على حساب الآخرين. ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾(٢).

تذكَّر انك أمينٌ ومستخلف على ما وهبك الله إياه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(٣)، فاستخدم علمك بالخير وهداية الناس، وأنفق مالك في إطعام عيالك وسكنك وحاجاتك في الحلال، وجاهد بقدرتك أعداء الله لمواجهة باطلهم واحتلالهم وسيطرتهم، وتنعَّم بجمالك من غير معصية، وخذ حاجاتك مما ييسره الله لك في الدنيا حلالاً طيباً. ولا تتورط بالطغيان بما بين يديك، فهو لا يستمر ولا يستقر، انه للحياة الدنيا فقط، ثم تبقى آثاره المرَّة والعسيرة ليوم القيامة، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٤).

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦ ـ ٧.

(٣) سورة الحديد، من الآية: ٧.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ إلى ٣٩.

وقد وجَّه الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون ليردعه عن طغيانه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[١]، فبطغيانه أساء إلى بني إسرائيل، وحكمهم بالظلم، وقام بالمنكرات، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢]، لكنه انتهى في الدنيا نهاية الشقاء، فغرق في البحر وهو يلاحق موسى عليه السلام وأنصاره، وهو في الآخرة من الخاسرين. ربما ينسى الإنسان نفسه مع توفر بعض القدرة لديه فيتباهى بها، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث جاء فيه: «**ثم إن الإنسان طغى وقال: من أشد مني قوة؟ فخلق الله له الموت فقهره، فذلَّ الإنسان**»[٣].

لاحظ معي هذا التوازن الرائع: ان طلب السعة مترافق مع الإعانة على عدم الطغيان، وإلَّا انقلبت السعة وبالاً على صاحبها وفشلاً في اختبار الدنيا.

أيها العزيز، اطلب من الله أن يغنيك، فإذا أغناك فاحرص على دقة التصرف فيما ابتلاك به، وإن لم يغنك فهو ابتلاؤك بالفقر. ومهما كانت قدرتك وإمكاناتك، فلا تظلم الآخرين بها، ولا تطغى وتتجبر، فإنها قدرة من الله لاختبارك، فانظر كيف تجتاز هذا الامتحان، وإلَّا خسرتَ خسارة لا تعوَّض.

---

(١) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص١٤٩.

١٧

أَللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

طريقة احتساب الحسنات والسيئات

اللهم إلى مغفرتك عن ذنوبي أتيت كي تغفرها لي، فأنا أحملها معي كمعاصٍ لا يُسقط حسابها إلَّا غفرانك. وإلى عفوك عما ترتَّب من حقوق لك عليَّ توجهت، فأنت الذي تعفو وتصفح، وأنا بحاجة إلى هذا العفو. وإلى تجاوزك وعدم توقفك عند أعمالي السيئة مشتاقٌ ومتعطش لرأفتك بي، فقد وقعت الأعمال السيئة منّي، ولم يعد بإمكاني التخلص من تبعاتها، إلَّا بتجاوزك إياها، وأنا ملهوف لذلك، دفعاً لنتائجها وعواقبها عليّ. وقد وضعت ثقتي بفضلك، لتعطيني ما لا

أستحق، وتكافئني بما لم أعمل، وتزيد في حسناتي بما يرجح مقبوليتي في الناجين.

فالطلبات أربعة: المغفرة والعفو والتجاوز والفضل، أمَّا الثلاثة الأولى منها فتستهدف إلغاء مفاعيل وآثار المعاصي والذنوب من سجل الحساب النهائي، كي لا تطغى أعمال العبد السيئة فيخسر في النتيجة، وأمَّا الرابع وهو الفضل فيستهدف الإحسان والزيادة بعد استيفاء الأجر، ومن دون مقابل، بما يؤدي إلى النجاة، التي تنتج عن العطاءات الإلهية الإضافية للمؤمنين، حيث تعسر النجاة من دون فضل الله تعالى.

والتبرير واضح في الدعاء، فليس عندي ما يوجب مغفرتك لي كحقٍ مكتسب، ولا في عملي ما أستحق به عفوك فلا استحقاق للذنب إلَّا العقوبة، فإذا جمعت ذنوبي مع أعمالي الصالحة، لا تنتج رجحان كفة النجاة إلَّا بدعم استثنائي خاص منك يا رب. فقد أصبح واضحاً لدي بأن حكمي على نفسي هو العقوبة والعذاب، ولا إنقاذ لي مما أنا فيه إلَّا فضلك بما فيه من المن والإحسان والعطاء **والزيادة، وأملي بك،** بتذللي ورجائي وحاجتي ودعائي لك، فأنت **القائل:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]، وها أنا أدعوك راجياً متأملاً، مؤمناً بك ومستجيباً لك بكل ما قدرت عليه في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

مواجهة هواي ووساوس الأنس والجن، فخلصني بفضلك، بحق محمد وآل محمد ﷺ، وما لهم من مكانة لديك، فإني موالٍ لهم، فتفضل عليّ يا أرحم الراحمين.

يعيش المؤمن حالة الاستسلام الكامل لله تعالى من خلال هذا الدعاء، ويبني آماله كلها على مستقبل العطاء الإلهي له، فما الرصيد الذي يعتمد عليه في ذلك؟ ولماذا لا يعتمد على أعماله بالدرجة الأولى؟ وهل يمكن أن يكون الفضل والرحمة الإلهية بالعبد المؤمن بلا حدود؟ أسئلة تستدعي منا مواكبة أجوبتها عبر التسلسل التالي:

١ ـ العمل أساس: الدنيا مسرح عملٍ ودار ابتلاء واختبار، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1]، ولا تكون ترجمة الابتلاء باتجاه الفوز أو الخسران إلَّا بالعمل، فهو محور الرصيد الدنيوي والأخروي. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]. ولا يكفي العمل المجرد عن الإيمان، فالعمل الصالح مطلوبٌ متلازماً مع الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[3].

بالإيمان يتحدد الاتجاه والرؤية، ويتضح المنهج الذي سيسلكه الإنسان، ثم يُترجمه في الالتزام بالشريعة المقدسة، فينتج العمل

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة العصر.

الصالح، الذي يشكل رصيداً يكبر أو يصغر بحسب فترة الالتزام التي تفصله عن الموت، ومستوى التزامه ودرجته، فلا يمكن حساب الرصيد بعدد السنوات أو كمية الأعمال، لأنها تتفاوت بين إنسان وآخر. لكن على العموم يُعتبر العمل الصالح أساساً ومعبراً نحو الثواب، فعلى المؤمن أن يبذل أقصى جهده، وأن يعمل الصالحات، ويتجنب المعاصي، ويستغفر الله ويتوب إليه بعدم العودة إلى ما عصى، وذلك في كل مرة يخطئ فيها، من ضمن مسؤوليته في السعي لتغليب الحسنات على السيئات.

٢ ـ التحفيز بطريقة الاحتساب: قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[(١)]. فلو كانت وحدة القياس للعمل واحدة، بحيث تساوي الحسنة عند الفعل السيئة عند الترك، لكانت السيئة بواحدة من الناحية السلبية، والحسنة بعشرة من الناحية الإيجابية، أي تنقص علامة واحدة بسبب السيئة، وتزيد عشر علامات بالحسنة التي تقابلها، ما يعني بأن الرصيد بالمقارنة قد تفوق تسعة أضعاف، وهذا ما يعطي قوة دفع إلى الأمام، بسبب تجاوز الحسنات للسيئات لو كان الأمر مرتبطاً بالطريقة الحسابية البسيطة.

لكننا لا نستطيع حساب كل عمل حسنة أو سيئة بوحدة القياس نفسها، فالذنوب صغائر وكبائر ولكل عقابه ودرجته. النظرة المحرَّمة

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٦٠.

تختلف عن الزنى، وأذية الإنسان تختلف عن الاعتداء بالجرح والكسر، والكلمة البذيئة تختلف عن الغيبة. . .مع أن كل واحد من هذه الأعمال سيئة بذاتها، إلّا أنها بوحدات قياس حسابية مختلفة، فقد تساوي سيئة واحدة ما مجموعه مائة سيئة من ذنب صغير.

وكذلك تختلف الحسنات بدرجاتها، لكل حسنة عشر أمثالها أي بحسبها وبقيمتها، فإزاحة الحجر عن طريق المارة حسنة تختلف عن إنقاذ الغريق، وإصلاح ذات البين بين متخاصمين حسنة تختلف عن الجهاد والذود عن بلاد المسلمين، والصدقة التي تُطعم جائعاً تختلف عن الموعظة التي تهدي إنساناً إلى الإيمان، مع أن كل عمل من هذه الأعمال حسنة، إلّا أن قيمتها متفاوتة، فرب حسنة عادلت مائة حسنة صغيرة من نموذج معين، لكن هي بعشر أضعاف من مثلها وليس من مثل غيرها، حيث قد تكون بألف ضعف أو غير ذلك.

من منّا يستطيع القيام بمثل هذا الإحصاء الدقيق؟ وهل نعرف بدقة قيمة كل حسنة وكل سيئة لنجمع رصيدنا العام من الحسنات والسيئات؟ بل من طلب منّا أن نُشغل أنفسنا بمثل هذا الحساب الشاق والمضني؟! وحتى لو علمنا من خلال الآيات والروايات بعض الفروقات التي تسلط الأضواء على تفاوت الأهمية بين الأعمال، بين الأفضل والأقل فضلاً، بين الواجب والمستحب، وكذلك بين الصغائر والكبائر، وبين الذنب والطغيان. . . فلعلَّ الإجمال في الآية الكريمة يغنينا عن كل هذا: الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها بما علمُه عند الله تعالى.

تعطي القاعدة العامة في الاحتساب «للحسنة بعشر أمثالها وللسيئة بمثلها» حافزاً مهماً ليبقى الأمل بالفوز قائماً مهما كانت السيئات، وإمكانية التكفير عن الذنوب السابقة محتملة مهما تراكمت هذه الذنوب. فبهذا الأمل يندفع الإنسان نحو الصلاح، ويعالج أخطاءه، ويتجنب المعاصي، ويُقبل على العبادة والطاعة، فطريقة الاحتساب هذه طاردة لليأس من المعالجة، ومعطية لفرص إضافية ليعيد الإنسان حساباته باستمرار.

وقد أضاف الله تعالى إليها قاعدة ثانية يستفيد منها من سلك طريق الهدى، وهي قاعدة «الجزاء بأحسن الأعمال. قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. بحيث تُجمع الأعمال الحسنة من كل صنف، ثم يُكافأ المؤمن عليها بأحسنها. فعدد الصلوات التي أديتها تُحتسب بأفضل صلاة فيها، وعدد أيام الصوم تُحتسب بأفضل يوم فيها، ما يراكم كماً كبيراً وعظيماً من الحسنات المضروبة بعشرة أضعاف أمثالها، وهذا حافز إضافي، لتحسين الأداء، والقيام بأفضل مراتب الأعمال، والثقة بالفرصة الكبيرة التي تسنح للثواب العظيم بطريقة الاحتساب هذه.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨.

ويزيدهم من فضله

٣ ـ الإفضال: أما القاعدة الثالثة في الاحتساب فهي «الإفضال» لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، فالفضل من الله إحسان وزيادة من دون أي مقابل أو بدل، وله دائرة واسعة لا حدود لها ولا يعلمها إلّا الله، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الإفضال رحمة من الله بعباده، فهو الذي بدأهم بالإحسان والنعم، وعممَّ ذلك على كل البشر من دون مقابل، وهو الذي أراد أن يختم للصالحين بالفضل والزيادة ليعوِّض نقص الاحتساب العادي لهم، فيضمن لهم الفوز بجنته مهما كان حجم أعمالهم، لأنَّ مسارهم الذي أختاروه ينبئ باستحقاقهم لهذه الرحمة الإلهية، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر الذي رواه أبو حمزة الثمالي(رض): «**يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضل، لسنا نتكل في النجاة من عقابك على أعمالنا، بل بفضلك علينا، لأنك أهل التقوى وأهل المغفرة، تبتدئ بالإحسان نعما، وتعفو عن الذنب كرما**»[1].

الرحمةُ وعد الله للمؤمنين، فقد قرَّرها لهم، وأعلمهم بها في كتابه العزيز: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]. ومتى أعطى الله

(١) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٥، ص ٨٤.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦.

المؤمنين بأسلوب المبادلة؟! لقد أعطاهم دائماً أكثر مما يستحقون بكثير، وأفاض عليهم من كرمه إلى درجة لا يقدرون معها على شكره، فيحمدونه ويشكرونه سائلين المولى أن يكون ذلك بما هو أهله. عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**واعلم أنَّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده. ولم يؤمِّن الخائفين بقدر خوفهم، لكن آمنهم بقدر كرمه وجوده. ولم يُفرج عن المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته. فما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يُؤذى فيه؟! وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضَّاه ويختار عداوة الخلق فيه؟!**»(١).

من حقهم أن يفرحوا بهذا العطاء الإلهي، فهو أفضل من أعمالهم وسعيهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٢).

وهل يمكن أن تكون الأم أرحم بولدها من الله بعباده؟! مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على جماعة من المسلمين بينهم امرأة من السبي فقدت ولدها، فإذا وجدت صبياً من السبي أخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟.**

---

(١) الحرَّاني، تحف العقول، ص٣٩٩.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٥٧ ـ ٥٨.

قالوا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[١].

إنَّ توفر هذه القواعد الثلاث دافع قوي للإيمان، فهي لا تقتصر على إيفاء الأجر، بل يزيدهم الله من فضله، وهي توسعة عظيمة، لا تترك عذراً لمعتذر، مهما كثرت ذنوبه وطال انحرافه، طالما أن طريقة الاحتساب توسع دائرة الفرص وتقرِّب إمكانية الفوز، وعندها من لم يستفد من ذلك فعقابه شديد، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾[٢].

بين العدل والفضل

٤ ـ بين العدل والفضل: مقتضى العدل إعطاء الثواب على العمل الصالح، والعقاب على العمل السيء، فلو عدل الله في حسابه لسقط الكثيرون في امتحان يوم القيامة، لغلبة سيئاتهم على حسناتهم فيما لو تم احتسابها بدقة، بل ربما وُجدت الكثر من السيئات التي لا يحسبها الإنسان أو لا يبالي بأهميتها، وهي تتراكم يومياً لتتحول إلى عبء ثقيل يندر أن ينجو منه أحدٌ من العباد إلَّا من عصمه الله تعالى.

من نِعم الله علينا أن يرحمنا ويتفضل علينا، فلا مصلحة لنا أن

---

(١) صحيح البخاري، ج٧، ص ٧٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٣.

نطالب بعدله بل بفضله ورحمته، فهذا أضمن لنا، وقد وعدنا بذلك. وقد علّمنا أئمتنا عليهم السلام كيف ندعو الله ونناجيه سائلين إياه الفضل والرحمة، ففي الدعاء المأثور عن أمير المؤمنين علي عليه السلام مما واظب عليه في قنوته في أكثر صلواته: «**إلهي، أنت أجود المسؤولين، وأنا أحوج السائلين، يا من لا يُرجى إلَّا فضله، ولا يُخاف إلَّا عدله، عاملني بفضلك، ولا تعاملني بعدلك**»(١). وفي الدعاء عن الإمام الجواد عليه السلام: «**وأنت الكاشف للضر بيدك، فكم من سيئة أخفاها حلمك حتى دَخَلت، وحسنة ضاعفها فضلك حتى عظُمت عليها مجازاتك، جللت أن يُخاف منك إلَّا العدل، وأن يُرجى منك إلَّا الاحسان والفضل، فامنن عليَّ بما أوجبه فضلك، ولا تخذلني بما يحكم به عدلك**»(٢).

ما بال الإنسان تحيط به رحمة الرحمن الرحيم من كل جانب ولا يستفيد منها! فإذا ظن عسر الحساب، فقد توضَّح يسره من خلال الإفضال الذي يتوِّج ما سبقه من احتساب للأعمال، وإذا كان خائفاً من قلة ما عمله من الصالحات، فليشحذ الهمة لمزيد من العمل بدل الحسرة، فالباب مفتوح إلى المغفرة. أيعقل أن يخسر رحمة الله التي وسعت كل شيء؟!.

قيل للإمام زين العابدين عليه السلام: بأن الحسن البصري قال: «ليس

(١) المحقق الداماد، اثنا عشر رسالة، ج٨، ص ٩٥.
(٢) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٥٦.

العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا!». وهو بذلك يقصد صعوبة الحساب وتجاوز الصراط، وقلة المستحقين لثواب الجنة، وأن النجاة في يوم القيامة عسيرة جداً بسبب دقة الحساب. فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا، وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله**»[١]. ذلك أن من المفترض أن يستفيد من هذه الفرصة في طريقة احتساب الأعمال، فمن لم يستفد وخسر رحمة الله فهلك فأمره عجيبٌ حقاً.

أيها العزيز، إنَّ عملك الصالح جسر إلى رحمة الله، التي تسع المغفرة والعفو والتجاوز، لتتوَّج بالفضل لمن يشاء الله بغير حساب، فتعرَّض لنفحات الله تعالى بدعائك وتذللك، عندها لا حاجة لك لأن تحسب ما اجترحته يداك، فإن عيشك في تقربك من الله تعالى، وسعيك لبذل ما استطعت من جهد في الصلاح، يجعلك في طريق الهدى إلى الله، ومن سار إلى الله وصل ونجا.

****

(١) السيد المرتضى، الأمالي، ج١، ص ١١٣.

(١٨)

أَللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ، وَأَلْهِمْنِي ٱلتَّقْوَىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى.

أَللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَىٰ، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيىٰ.

ثلاثي الهدى إلى السعادة الأبدية

الدعاء توجيهات للفكر والسلوك، وإرشاد إلى الاختيارات الأفضل في حياة الإنسان. وهنا يركز على ثلاثة أمور مترابطة ومتكاملة مع بعضها:

الأول: المنهج: اللهم «وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ»، ليكون كلامي وحديثي ونقاشي مع الآخرين مبنياً على الهدى، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[1]، إنَّه دين الله الإسلام، ومعه لا حرجَ ولا ضعفَ بل ثقةٌ

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٢٠.

وقوةٌ، لمتانة البرهان والدليل في شريعة الله، فإذا نطقنا بمضمون الشريعة في أي لقاء أو محفل، فإنَّه نطقٌ بالهدى، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(١). وإذا عجزنا عن إثبات قوتنا بها فلضعف فينا، إذ لو تعرَّفنا على الإسلام جيداً، وتعلمنا عقيدته وأحكامه، واستوعبنا أهدافه، وتربَّينا بتوجيهاته، لأمكننا أن نكون الأقوى، لأن الهدى أقوى من الضلال، والحق أقوى من الباطل. فيا رب أعني لاستوعب طريق الهدى فأنطق بمضمونه، لأواجه التحديات الفكرية، وتشكيك المشككين، وأصحاب الآراء الالتقاطية التي يجمعونها من دون أساس لها أو رابط متين بينها، فالإسلام يُغني عن كل ما عداه لكماله وشموليته.

الثاني: التربية الروحية: «وَأَلْهِمْنِي ٱلتَّقْوَىٰ»، لتكون محيطة بشخصيتي، فتتحول إلى مَلَكة عندي، تطبع كل تصرفاتي، وتمكِّنني من أن أحذر المعصية، وأُقبل على الطاعة بكل شوق ورغبة. فالتقوى تؤثر على النية في أي عمل، وتساعد على النصر في مجاهدة النفس، وهي تتطلب جهداً روحياً من العبادات والأدعية ومراقبة النفس في محضر رقابة الله الدائمة. إنَّها خط القوة للثبات أمام الإغراءات، وسلم الصعود في الفضائل إلى أعلى مراتبها، وكلما كانت درجة التقوى أعلى كلما آتت ثمارها بشكل أفضل، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾(٢).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ١٣.

الثالث: السلوك: «وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى». قال تعالى في حديثه عن النفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[1]، والتزكية تنمية للخير والصلاح، وأنا بحاجة يا رب إلى تزكية أعمالي باتجاه أزكاها وأكثرها خيراً وصلاحاً. لماذا نكتفي غالباً بإنجاز العمل بمستواه الأدنى؟ بإمكاننا أن نعمل للأزكى والأنمى والأفضل، ويجب أن يكون طموحنا في الخير بلا حدود، ودائماً إلى أعلى المراتب.

واجعل يا رب عملي أرضى، بأن لا أكتفي بمجرد الرضا، وإنما بأن أبلغ أعلى مراتب الرضا. وهذا إرشاد إلى السلوك في مستوى مكارم الأخلاق ومعاليها، فالأرضى لله في السلوك هو الأعلى في المرتبة، وبإمكاننا أن نسعى للكمال، بل علينا الحرص للوصول إليه، فلا نكتفي بما هو عادي، لأنَّ ما نؤمن به هو الدين الكامل والتوجيه الأعلى، ولا شيء يمنعنا أن نسعى لنكون بهذا المستوى، ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وبذلك نعمل للأزكى والأرضى.

لاحظ معي أيها العزيز، هذه الأمور الثلاثة المترابطة بشكل متين: المنهج+ التربية الروحية+ السلوك، والتي تشكل دعائم الارتفاع نحو الكمال عندما تنسجم في خط متكامل نحو الله، فيكون الاستيعاب للمنهج هدياً، والتربية الروحية تقوًى، والسلوك في عمل الأزكى والأرضى لله. بإمكانك أن تصل إلى هذا المستوى، فالحسم

(١) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٣٩.

بيدك، وما أعظم النتائج التي تحققها في دنياك وآخرتك إذا توفقت لذلك.

اللهم اسلك بي الطريقة المثلى وهي شريعتك المقدسة، واجعلني على ملتك أموت وأحيا وهي ملة الأنبياء وعلى رأسهم إبراهيم عليه السلام وآخرهم وخاتمهم محمد ﷺ، ذلك كما أردتني أن أكون بتوجيهك لي إليها من خلال قولك يا رب: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1]. هذه مهمة عظيمة، ودور خطير وكبير، لكنَّ النتائج تستحق ذلك، فخير لي أن أكون مع الذين سلكوا درب الإيمان وهم الشهداء على الناس في يوم القيامة على ما أساؤوا وفعلوا وصموا آذانهم عن دعوة الله، من أن أكون في الطرف الآخر الخاسر لدنياه وآخرته.

التفت يا عبد الله إلى عظيم نعمة الله الكبرى بين يديك، فبالإضافة إلى كل النعم التي أنعمها عليك من الحياة والرزق والصحة والقوة والأولاد والنجاح... فقد أتمَّ عليك النعمة بكمال الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[2]، وجعله الدين المقبول الذي يحقق رضاه: ﴿إِنَّ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣.

ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١]، ولا يُقبل معه خيار آخر: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢]، لأنَّه الكمال المنسجم مع فطرة الإنسان، وما عداه زيف ونقص وضعف، فلا تضيع وقتك وجهدك وحياتك، فقد هيأ الله لك ما ينسجم مع فطرتك ويسعدك، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

يا عبد الله، أرشدك الله لما يُصلحك في هذه الحياة وهو العليم الخبير، فسر في خطواتك باتجاه ما أمرك، ولا ترضَ بالأدنى، فستتذوق حلاوة الإيمان قولاً وعملاً في كل لحظة من حياتك، وهنا يتوقف الوصف، لأنَّ الذواقة هم الذين يتمكنون من الوصف، أسأل الله تعالى أن يعينني ويعينك لنكون منهم في طريق السعادة الأبدية التي لا يحدها شيء.

****

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(١٩)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِٱلاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ ٱلسَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَٱرْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ.

أهل الصلاح

الاقتصاد هو التوازن في المصرف على الطعام والشراب واللباس والإنفاق. . .قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[١]. ومما وصف به أمير المؤمنين علي عليه السلام المتقين قوله: «**وملبسهم الاقتصاد**»[٢]. وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام عن أربعة لا تُستجاب لهم دعوة، أحدهم رجلٌ: «**يقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالاقتصاد، ألم آمرك بالإصلاح، ثم قال: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**»[٣].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) نهج البلاغة، خطبة المتقين، ص ٤٦٩.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٥١١.

بالاقتصاد يحقق الإنسان متعته الحقيقية، لاستفادته الكاملة مما رزقه الله إياه، فلا يندم على الإسراف والتبذير، ولا يحرم نفسه وعياله بالبخل والتقتير، وإنما يتوازن فيربح ماله في المحل الصحيح، ويؤدي به وظيفته السليمة.

فيا رب متعني بالاقتصاد لأعيش لذة ما رزقتني إياه في حلالك، واجعلني من أهل السداد والاستقامة، الذين يسيرون على درب الهدى، ولا يحيدون عن سبيلك.

ووفقني أن أكون من الذين يدلّون الآخرين فيهدونهم إلى الرشاد، ويبلّغون دعوتك إلى عبادك، علَّ البعض يهتدي على يدَيَّ فأكون عندك مقبولاً. فمما أخبرنا به أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «**فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس**»[1]. إنها المهمة المقدسة للأنبياء والأئمة لهداية البشرية، ونحن مسؤولون في أن نتابع مهمتهم، وما أروع هذه المهمة التي تجعلك واحداً من حفظة أمانة الأنبياء، ومن حامليها إلى الناس، لتكون شهيداً عليهم يوم القيامة، فتنعم ببركات تبليغ دعوة الله للعباد.

يا رب، إجعل سمتي الصلاح مع من وصفتهم بالصالحين، بحيث يملأ الصلاح عقلي وقلبي وجوارحي وسلوكي وكل حياتي، فلا أنطق إلّا بما يصلح، ولا أعمل إلّا صالحاً.

---

(١) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٤٤٨.

وارزقني يا رب الفوز يوم الحساب، فإني بحاجة إلى عطائك وفضلك، فأنا لا أعتمد على جهدي وعملي، بل على رحمتك الواسعة، فقد رزقتني في الدنيا من عطاياك وفضلك، فارزقني في يوم المعاد جزيل ثوابك في الجنة، وأنت الجواد اللطيف الغفور. ولا تمتحني بالمرصاد، بل ارزقني سلامته. فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**في قول الله عزَّ وجل: إنَّ ربك لبالمرصاد، قال: قنطرة على الصراط لا يجوزها عبدٌ بمظلمة**»[١]. فأعني كي لا أظلم أحداً، ولا أحمل معي إلى يوم الحساب حقاً لأحد، كي أجتاز الصراط برحمتك، فلا طاقة عندي لعذابك مهما كان بسيطاً، وأسألك السلامة في الدين والدنيا والآخرة.

****

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٣٣١.

٢٠

أَللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا، فَإِنَّ نَفْسي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

كيف تخلِّص نفسك؟

للنفس خياران: الصلاح والفساد، وأمرها بيد الإنسان: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، لكنَّه بحاجة إلى عون الله دائماً، ولذا يطلب الإمام في الدعاء من الله المدد والتسديد، فإن كانت النفس بحاجة إلى من يخلصها من الوقوع في الهوى والباطل، فالملجأ هو الله، ليأخذ منها ما يفسدها ويبقي لها ما يعينها على الصلاح، بما تختزنه من بقية تساعدها على ذلك فالنفس هالكة إذا تُركت لهواها، إلَّا أن يعصمها الله من الذنوب بعونه وتسديده فتفوز.

الإنسان بحاجة إلى بقاء خط التواصل مع الله تعالى في كل

---

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

لحظات حياته، ومتى انقطع هذا الخط لفترة من الزمن في اليوم أو الأسبوع أو الحياة، فإنَّ ازدياد الخطر باتجاه الانحراف والهوى يصبح كبيراً جداً. إنها صلة المحتاج بصاحب العطاء، والفقير بالغني، إنها أشبه بصلة الساقية الصغيرة بالنهر الكبير تستمد منه استمرارية الماء والحياة فيها.

يا عبد الله، كن لجوجاً وملحاحاً في الطلب من خالقك أن يمدك بشكل دائم، فإنَّ اتصالك بمصدر كل عطاء يساعدك بأن تحصل على المدد والعون. أنت لا تدري كيف ومتى يأتيك، وبأي مستوى تحصل عليه، لكنَّه عطاءٌ يعينك ويغنيك. أدعُ الله أن يساعدك على تهذيب نفسك، وتخليصها من وسوسات الشيطان، فأنت واقع في هذه الحياة في اختبار عظيم يلازمك في كل حياتك ما دامت نفسك بين جنبيك، أي ما دمت على قيد الحياة.

في مناجاة الشاكين للإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «**إلهي، أشكو إليك نفساً بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسَّها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو**»[1]، ولا خلاص إلَّا بعون الله ورحمته، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]. هذه هي

(١) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص٢٩٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

الخطوة الأولى، أن تعرف ماهية نفسك لتعمل بما يصلحها، وأن تعرف أمراضها ومطالبها لتسلك طريق معالجتها، ولتدرك كيفية تعاطيك معها. إذا عرفت نفسك، فتعال معي لنسلك خطوات الصلاح والإصلاح كما تعلمناها من إسلامنا العظيم، ولنختر أربعة منها:

١ ـ مجاهدة النفس: تعامل مع نفسك بأنها عدو تريد قهره، ولا تركن إليها فتنجرف إلى مطالبها، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من أنفسنا، فقال ﷺ: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**»(١)، ووجهنا أمير المؤمنين علي عليه السلام لمجاهدتها كي نملكها ونتحكم بمسارها فلا نكون أسرى لها، قال عليه السلام: «**إملكوا أنفسكم بدوام جهادها**»(٢)، فإذا امتلكتها وتابعت جهادك لهواك، تراكمت انتصاراتك عليه إلى أن تصلح نفسك فيصبح الصلاح ملكة فيها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**صلاح النفس مخالفة الهوى**»(٣).

جاهد نفسك بعدم الاغترار بما يُعرض عليك، واعلم أنه اختبار لمدى تأثير هواك في حسم خياراتك، فهل تكون منساقاً لهواك أم تكون مطيعاً لله ولو كان الأمر شاقاً عليك؟ ولو كانت مخالفة هواك صعبة في بداية الطريق؟ ثق بأنَّك الأقوى عندما تنتصر في جهادك لنفسك.

٢ ـ العزوف عن الدنيا: اترك دنيا الحرام، أو محرمات الحياة

---

(١) العلاَّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٦٤.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

الدنيا وملذاتها التي تؤدي إلى المعاصي، ففي تركها صلاح نفسك ونجاحها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا**»[١]، وقال عليه السلام: «**في العزوف عن الدنيا درك النجاح**»[٢]، وكل حديث عن العزوف عن الدنيا هو حديث عن الدنيا المذمومة التي تحيطها المنكرات، إذ ليس المقصود أن تتخلى عن كل ما في الدنيا، ففيها العمل والمعاش وإنجاب الأولاد وتربيتهم، وإعمار البلاد، ومسؤوليات كثيرة ملقاة على عاتقك، فهي مسرح العمل الصالح للثواب في الآخرة. إنما المقصود أن تنتبه إلى ما يُسقطك فيها، خاصة عندما تتزين لك الأمور فتجذبك إليها، وتريك إياها على غير حقيقتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٣]، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أفضل الطاعات العزوف عن الملذات**»[٤]. فالعزوف عن الدنيا هو عزوف عن المعاصي، والزينة المضلِّلة، واللذة المحرَّمة، وكل ما يؤدي بالإنسان إلى الفساد والهلاك.

٣ ـ القناعة: إعلم أن قدرتك محدودة بما أودعه الله فيك، وأن قدرك قد قسَّم رزقك وعطاياك في هذه الدنيا، فما فائدة أن تمد

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١١٢.

عينيك إلى رزق غيرك؟ وما ستجني من حسد ما عند الآخرين؟ وما ستضيف إليك إذا سلكت طريق الحرام؟ وهل تستطيع الاستحواذ على كل ما تراه في هذه الدنيا؟! بما أنك مقيد بالقدر والقدرة فعش قانعاً بما قسم الله لك، تصلح نفسك، وتصلح أمورك، وتعش مرتاحاً في انسجامك مع نصيبك المقسوم، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أعون شيء على صلاح النفس القناعة**»[(١)]. فإذا كان المقسوم قليلاً، خفَّ حسابك في يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب**»[(٢)].

٤ ـ ذم النفس: لا تطمئن إلى نفسك وإلى صلاحك، بل ضع نفسك دائماً في دائرة التهمة بأنَّها مقصِّرة، وأنها تملك إمكانية الرقي أكثر. ولا تغتر بمدح الناس لك، بل خفف من المكانة التي وضعوك فيها كي لا تصاب بالغرور والاعتداد. ولا تقيم نفسك بأنك الأفضل وأنك تجاوزت أي احتمال للانحراف، بل اشكر ربك على ما أنت عليه مستعيناً به لتبقى رقيباً عليها لمصلحة استمرار صلاحها. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من ذم نفسه أصلحها، ومن مدح نفسه ذبحها**». لقد سقط إبليس من علياء الطاعة إلى مهاوي المعصية باغتراره بنفسه وبطبيعة خلقه عندما رفض السجود لآدم: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[(٣)]. وقد وجَّهنا الإمام

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١١٢.
(٢) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٨٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

زين العابدين عليه السلام في بداية الدعاء إلى كيفية التعامل مع مدح الناس لأنفسنا بقوله: «ولا ترفعني في الناس درجة إلَّا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلَّا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها».

فيا عبد الله، نفسك أمانة بين يديك، صلاحها بيدك وفسادها بيدك، إذا ملكت زمامها نجوت، وإذا تركت عقالها هويت. فقد دخل شامي على الإمام الرضا عليه السلام، بعد أن ذكر له قول الإمام الصادق عليه السلام: **انه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**، وسأله: فما أمر بين أمرين؟

فقال عليه السلام: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نُهوا عنه.

فقال له: فهل لله عزَّ وجل مشية وإرادة في ذلك؟

فقال عليه السلام: **فأمَّا الطاعات فإرادة الله ومشيته فيها، الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيته في المعاصي، النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها»**[1].

****

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١١٤.

(٢١)

أَللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ.

التعامل مع البلاء

اللهم أنت الذي توفِّر المقومات اللازمة والعدة المناسبة التي تساعدني عند حزني، حال وقوع المكروهات أو الخسائر التي تسبب ذلك. وأنت الذي تيسر لي حاجاتي ومطالبي كلها، يا أملي ومنتجعي وملجئي، فليس لي غيرك إن حُرمت وخسرت وفقدت أي نعمة من النعم. وبك استغيث واستعين، وإليك ألجأ، إن أصابتني الكوارث واشتدت عليَّ المصائب وازداد قلقي بسببها. وعندك البدل لما فاتني فلم أحصل عليه، حيث تخلفني بما هو أفضل لي، ففي دعاء الافتتاح الذي يُتلى في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك: «**فصرت أدعوك آمناً، وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك، فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل**

الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور»[١]. وعندك لما فسد من أعمالي صلاحٌ بتوفيقك لي وإرشادي إليه، وعندك فيما قمتُ به من أعمال منكرة لا تقبل بها، وما شكّل عيوباً وانحرافات بسبب تصرفاتي، تغييرٌ نحو المعروف والطاعة.

الابتلاءات في حياة الإنسان طبيعية ومتنوعة، فهو يحزن بسببها، ويصيبه الحرمان والشدائد، وتفوته أمور، ويجترح المفاسد والمنكرات، كل هذا في دائرة الامتحان والاختبار. وعليه أن يتوقع الألم والأذى والحرمان والمكروه والفساد، ما دام في هذه الحياة الدنيا، كما تتفاوت تلك الابتلاءات شدة أو ضعفاً بين إنسان وآخر، فتكون آلام الأول وأحزانه أشد، بينما تكون مفاسد ومنكرات الثاني أكثر، ويخسر الأول خسائر كبرى، بينما يرتكب الثاني المعاصي أكثر، فالعبرة الأساس هي في كيفية تعامل الإنسان مع هذه الاختبارات مهما كانت وكيفما كانت.

١ ـ الصبرُ أولُ عنوانٍ للنجاة والفوز، ويتعزَّز ويقوى كلما قويت الصلة بالله والاستعانة به، وكلما شعر المرء بحاجته إليه واتكل عليه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٢]. عندها تنفتح كل الطرق على الخير

---

(١) الشيخ الطوسي، الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٣، ص١٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.

والراحة، فالحزن يذهب باللجوء إلى مصدر العطاء، والحرمان يعوضه خالق البشر، والفساد لا يستقر بعون الله ومدده في خط الصلاح والرعاية، فتنقلب الآلام والشرور بشارة للصابرين المتوكلين على الله، بزيادة في الرحمة والهداية.

هذا الصبر محطة الفرز العملي في الدنيا، بين من جاهد نفسه وأعداءه فانتصر في معركة الجهاد، ومن استسلم لهواه فانكسر وانحرف وخسر في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾(١). وبذلك يتميز الخبيث من الطيب، والفاسد من الصالح، والكافر من المؤمن.

٢ ـ لا تتصرف بردة فعل سلبية تجاه البلاء، فهوة حاصل على كل حال، وليس بيدك دفعه ومنعه، فتعامل معه بما يجعلك رابحاً في مواجهته. هل بإمكان الأب أن يسترد ولده الذي مات ليعيده إلى الحياة؟ هل بإمكان التاجر إعادة بنائه الذي دمَّرته الحرب؟ هل بإمكان المرتكب للحرام إعادة الزمن إلى الوراء ليستدرك ما فعله؟ هل بإمكان الأم إلغاء عيوب ولدها التي لازمته في سن الشباب؟

لا يمكن إلغاء ما مرَّ وقد سُجِّل في صحيفة الأعمال، لكن بإمكاننا الاستدراك والمعالجة لمستقبل هذه الصحيفة، وليكن تعاملنا مع الابتلاءات بنتائج صبرنا عليها وتغييرها نحو الطاعة، بل علينا أن نحذر إذا لم نشعر أو لم نعش الابتلاءات في حياتنا. عن رسول

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

الله ﷺ: «**لا تكون مؤمناً حتى تعد البلاء نعمة، والرخاء محنة، لأنَّ بلاء الدنيا نعمة في الآخرة، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة**»[١].

القاعدة أن ينظر الإنسان إلى كل شيء في هذه الدنيا من منظار الخير، بالغاً ما بلغ البلاء، فهو مؤقت وعابر، لكنَّ آثاره باقية وخالدة، وقد يكون البديل عن البلاء شروراً وآلاماً أكبر وأصعب، فليسلِّم المؤمن لما قضاه الله وقدَّره لينال درجة الصديقين عند الله تعالى. فيما أوحى الله عزَّ وجل إلى النبي موسى عليه السلام: «**يا موسى بن عمران: ما خلقتُ خلقاً أحبَّ إليَّ من عبدي المؤمن، فإني إنَّما أبتليه لما هو خيرٌ له، وأعافيه لما هو خيرٌ له، وأزوي عنه ما هو شرٌ له لما هو خيرٌ له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرضَ بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي، وأطاع أمري**»[٢].

٣ ـ أُطلب الدنيا بحسب واقعها وما قدَّر الله لك فيها، فلا تتعب نفسك بالسعي وراء المقدَّر للآخرة، أُطلب في الدنيا رزقك ومعاشك بالحلال ولكن لا تتوقع أن يتوفر لك كل ما ترغب من غير سعي، أُطلب في الدنيا تخفيف البلاء ولكن لا تتوقع أن ينعدم البلاء في حياتك، أُطلب في الدنيا راحة النفس بطاعة الله ولكن لا تتوقع راحة الجسد وراحة البال من الآخرين، فالدنيا دار كدح وعمل

---

(١) العلاَّمة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٤، ص٢٣٧.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٦١.

ومشقة، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[1]. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: **أوحى الله تعالى إلى موسى** عليه السلام: «**وضعت خمسة أشياء في خمسة أشياء، والناس يطلبون في خمسة أخرى، فمتى يجدون؟:**

إني وضعت عزَّ عبادتي في طاعتي، فهم يطلبون من باب السلطان، فمتى يجدون؟

وإني وضعت العلم والحكمة في الجوع، وهم يطلبون في الشبع، فمتى يجدون؟

وإني وضعت الغنى في القناعة، وهم يطلبون في المال، فمتى يجدون؟

وإني وضعت الراحة في الآخرة، وهم يطلبون في الدنيا، فمتى يجدون؟

وإني وضعت رضاي في مخالفة هواهم، وهم يطلبون في موافقة هواهم، فمتى يجدون[2]؟».

عندما يعاكس الإنسان ما هو مقدرٌ للدنيا، يعيش صراعاً في داخله ومع الآخرين من دون فائدة، ويتحمل مرارةَ مناقضةِ مسار الحياة، ويبتلى بالسير على غير هدى. أمَّا إذا نظر إلى الدنيا بما هي مؤقتة وفانية، وتعامل معها بحسب حقيقتها وواقعها، وأقر بعجزه

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٢) الشيخ علي الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص٥٦٥.

ولجأ إلى ربه لإعانته في قضاياه ومسائله، فسيكون مرتاحاً في الدنيا لمواكبته إياها بحسبها، ومثاباً في الآخرة لحسن اختياره للمنهج وأدائه الدنيوي.

انتبه أيها العزيز لطبيعة اهتمامك في هذه الدنيا ونظرتك إلى الآخرة، دقِّق في قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تُحرمونه، ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوهكم، وقلة صبركم عمَّا زوي منها عنكم، كأنَّها دار مقامكم، وكأنَّ متاعها باقٍ عليكم**»[1].

٤ ـ تعامل مع الابتلاءات بأنَّها خيرات لمصلحتك، وهذه هي النظرة الأرقى من كل ما سبق. فبما أنك تعيش القناعة بأن كل شيء بيد الله ومن عند الله فتوكل عليه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، وأن سد العجز والنقص عندك بالعودة إلى الله، وأن المصائب والشرور ابتلاءات واختبارات دنيوية لا عون لك عليها إلَّا بالله، ففي الدعاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا عدتي في كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا وليي عند نقمتي، إلهي وإله آبائي، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً**»[3]، إذاً كل شيء

---

(١) نهج البلاغة، من الخطبة ١١٣، ص٢٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٧، ص ٢.

بعلم وتقدير من الله تعالى، وهو لم يخلقك للآلام والمصائب، فأنت خليفته على الأرض، يختبرك فيها لجنة الخلد والمقام الأبدي، ويحب لك السعادة الخالدة، شرط استحقاقك لذلك. بل ييسر لك الابتلاء تلو الآخر ليخلصك من أدران الآثام الدنيوية، فتنتقل خالصاً نقياً من الشوائب إلى الآخرة بنجاح.

اسمع قول رسول الله ﷺ وعش آفاق هداه الرحبة: «**إنَّ المؤمن إذا قارف الذنوب ابتُلي بها بالفقر، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلَّا ابتُلي بالمرض، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلَّا ابتُلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلَّا ضُيِّق عليه عند خروج نفسه، حتى يلقى الله حين يلقاه، وما له من ذنب يدَّعيه عليه، فيأمر به إلى الجنة. وإنَّ الكافر والمنافق ليهوِّن عليهما خروج أنفسهما، حتى يلقيا الله حين يلقيانه، وما لهما عنده من حسنة يدَّعيانها عليه، فيأمر بهما إلى النار**»[١].

أيها العزيز. إذا كان لكل شيء تعويض وبدل فلمَ الحزن؟ وإذا كان الله عوناً لك فلم الوحشة والضياع والقلق؟ وإذا كانت التوبة مقبولة فلم الاستسلام للفساد؟ وإذا كان التغيير ممكناً فلم الاستهتار بارتكاب المنكرات؟ وإذا كانت الدنيا للفناء فلم التعب سعياً للبقاء فيها؟ وإذا كانت الآخرة للخلود فلم لا تشحذ همتك باللجوء إلى الله للتخلص من كل ما يعيق نجاتك؟!

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٤، ص ٢٣٧.

(٢٢)

فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلآءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدةِ، وَقَبْلَ ٱلضَّلاَلِ بِٱلرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ.

طلب العطايا قبل البلاء

ليس مطلوباً من الإنسان أن يحرص على حصول البلاء له، فإن حصل تعاطى معه بايجابية كما ذكرنا، وبإمكانه أن يتمنى تفادي البلاء، وأن يطلب من الله ويتمنى عليه أن يصيبه بالخيرات والعافية والغنى والرشاد وأمن يوم القيامة. والفرق كبير بين الطلب والاستجابة، بل لا يعني الطلب بأن يتشاءم الإنسان عند عدم الاستجابة. اطلب من ربك ما تشاء من النعم، ثم اقبل ما يأتيك منها، واصبر على ما لا يأتيك.

فيا رب، أمنن عليَّ بمنك وإحسانك وابتداء عطاياك بالعافية والصحة بدل البلاء قبل أن يصيبني، وأنعم عليَّ بالغنى (الجدة) قبل أن أطلب منك ذلك، وأرشدني إلى طريق الهدى قبل أن أُبتلى

بالضلال، واكفني من العباد مؤونة المعرَّة(العيوب) التي يلصقونها بي أو المكروهات التي يسببونها لي فتؤلمني وتزعجني وذلك بدفعك إياها قبل أن تؤذيني، وهب لي الأمن في يوم القيامة بجنتك دون نارك، وامنحني عطيتك بحسن الهداية إلى الطريق الأقوم إلى سبيلك ورضاك.

يا عبد الله، أُطلب العطايا من رب النعم وصاحبها، فبعض النعم مفتاحها السؤال والطلب، ولا تكن زاهداً بالسؤال فتخسر، ولا تكن مكتفياً بما أعطاك الله لعلمك بمعرفته بحالك وتقديره لمصلحتك، فالطلب مشروع لك، بل باب خير لا يفتحه إلَّا رجاؤك واستغاثتك بالله تعالى. وقد حثنا الإسلام على الطلب، فهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو ربَّه ليرزقه ذرية طيبة صالحة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾(١)، ونبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو ربَّه لإقامة حكم الله على يديه على طريق الصالحين: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢)، ومن دعاء المتقين ما فيه طلبٌ للقيادة والزوج والذرية الصالحة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٣).

وهذا ما يؤكد بأن سعي الإنسان للحصول على النعم مستحب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

ومؤكد ولا ذمَّ فيه أو نهي عنه، شرط المحافظة على ضوابط الهداية والطاعة. فطلب الذرية الصالحة مشروع بل طبيعي، وإنما يتم اعمار الكون بالتزاوج والتوالد، مع أن الله حذَّر من فتنة الولد، كما أنَّ طلب الرزق الحلال مشروع، وبه ينفق المرء على عياله ويلبي حاجاته في الدنيا، لكنَّ الله حذَّر من فتنة المال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، ولا تناقض بين الطلب والفتنة، فالطلب للولد الصالح والرزق الحلال، والفتنة إشارة إلى أن الولد اختبار والمال اختبار، فليعمل من رزقه الله المال أو الولد أو كليهما أن لا ينجرف في المعصية بسببهما، وأن يحافظ على الطاعة معهما، لأنَّ كل عطاء إلهي يحمل في طياته إمكانية الخير والشر، وهو بلاء واختبار أيضاً، فعلى الإنسان أن يُحسن الأداء بما يؤدي إلى تحصيل الخير واسثماره في الدنيا والآخرة.



(١) سورة التغابن، الآية: ١٥.

(٢٣)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمُورُ لأَهْداهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا.

أحطني يا رب بنعمك

إلهي، أحطني بنعمتك وهداك ورضاك دائماً وفي كل أحوالي، بحيث تكون عطاءاتك مظلّلة لحياتي، فأحيا برعايتك دائماً، وأنعم بحفظك وحمايتك في كل ما يحيط بي.

إدرأ عني، أي ادفع عني بلطفك، حيث لطفُك رفقٌ وعطاء وعون، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[١]، وغذني بنعمتك التي لا نعمة غيرها وهي من فيض عطائك على عبادك،

(١) سورة الشورى، الآية: ١٩.

وأصلحني ليكون الصلاح سمة في كل أعمالي بكرمك وإحسانك الذي يظللني، وداوني من أمراض النفس والسلوك بما تمنعه عني بحسن صنيعك في رعايتي، وأظلني في ذراك أي بسترك حيث لا ظل إلَّا ظلك ولا ستر إلَّا سترك، وجللني، أي ألبسني وغطِّني برضاك عني فيما أقوم به وذلك بتوفيقي لأعمل صالحاً ترضاه.

أيها العزيز، بإمكانك أن تحيا بهذه الرعاية الإلهية إذا استحضرت رقابة الله لك دائماً، وإذا انتبهتَ لأي فعل من أفعالك، وكنتَ حريصاً على صلتك بالله لأخذ المدد منه، فإنَّ هذه الصلة تنبهك للأخطار، وتذكرك بالطاعات، وتربطك بالاستقامة، وتظللك بالتسديد الإلهي. لكن إذا نسيت ربَّك في زحمة حياتك، وقطعت صلتك به على المستوى العملي، وتصرفت من دون رعاية لأوامره ونواهيه، فإنك تكون حاجباً لعون الله لك. كيف تطلب من ربك وتسد طرق الإجابة؟ وكيف تتأمل فضله وأنت مُعرضٌ عنه؟ وكيف تتوقع مدده وأنت غافلٌ عن رحمته ونعمه؟ بادر دائماً ليكون قلبك حاضراً مع الله، يتذكره، ويذكره، ويحبه، ويتذلل إليه، ويعبده.. .وعندها تحيطك رعايته الرحمانية والرحيمية.

إختيار الأهدى والأزكى والأرضى

أيها العزيز، إسع دائماً للأفضل، للأهدى والأزكى والأرضى لله تعالى، تعش مطمئناً لصلاحك. فإذا واجهت أموراً عدة أشكلت عليك واختلطت بين الحق والباطل، فاختر أهداها المنسجم مع طريق الهدى، وإذا تشابهت الأعمال في ظواهرها لكنَّها اختلفت في

حقائقها، فادع الله ليعينك على اختيار الأزكى والأطيب، وإذا اختلفت الفرق والمذاهب والملل وتناقضت فيما بينها، فليكن اهتمامك بالأرضى لله تعالى وفق الموازين الشرعية، واطلب العون منه جلَّ وعلا.

ليس مقبولاً أن نسرع إلى العمل من دون تدقيق، ولا أن نقوم به مع وجود الشبهات، ولا أن ننجزه من دون رعاية الضوابط الشرعية، لأن التزامنا بأوامر الله ونواهيه، ورغبتنا بالوصول إلى الأهدى والأزكى والأرضى يتطلب منا الانتباه إلى الشبهات والمتشابهات.

فلو أردنا الالتزام بموقف أو عمل ليكون موافقاً للشريعة الإسلامية، وهذا هو الأهدى، فلنتجه إلى الآيات المحكمات الثابتة، ولا نتبع ما تشابه والتبس علينا، ولنعتمد حسم المسألة على الراسخين في العلم ليبيِّنوا ما التبس علينا أمره، فيكشفوا لنا الهدى من الضلال، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

وإذا أردنا تفسير آية من كتاب الله تعالى، فلا يصح تطبيقها كيفما كان، فلكل آية ظروفها ومعناها وتطبيقاتها الصحيحة والخاطئة. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ٱلْعَلِيمُ﴾[١]، فلقد حاول البعض تطبيقها على الصراع مع الصهاينة المحتلين لفلسطين، بدعوتهم لقبول السلم المزعوم، متمسكين بالعنوان وهو السلم، غير ملتفتين أو قاصدين إخفاء الحقيقة في أن السلم المقصود في الآية الكريمة هو المرتبط بإعادة الحقوق كاملة إلى أصحابها. فإذا كانت الحرب قائمة، وقَبِلَ الأعداء العودة عن غيِّهم والتوقف عن عدوانهم وإعادة الأمور إلى نصابها، وأرادوا السلم الحقيقي والفعلي، فاستجب لهم بالموافقة عليه، لأن الأصل هو السلام بين الناس والأمم وليس العدوان أو الحرب. لكن في حالة إسرائيل، فهي تريد تشريع احتلالها والاحتفاظ بأرض الفلسطينيين، وأن يقبل الآخرون بالتنازل لها عن كل ما تريد مقابل أن تتوقف الحرب! فماذا بقي لأصحاب الحق؟ وماذا أُعيد لهم ليقبلوا بهذا السلام المزيَّف؟! هذا إشكال والتباس في التفسير، نعود فيه إلى الفقهاء العدول، وندعو الله أن يخلِّصنا من الوقوع في إشكال الفهم والتفسير، وأن يوفقنا للأهدى.

وإذا واجهتنا فتنة لا نميز فيها بين الخير والشر، دعونا الله أن يعيننا للأهدى والأزكى والأكثر خيراً، فإنَّ الصعوبة في الفتن لا يُستهان بها. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ الفتن إذا أقبلت شبَّهت، وإذا أدبرت نبَّهت، يُنكَرن مقبلات، ويُعرفن مدبرات**»[٢]، فالفتن إذا أقبلت يشتبه فيها الحق بالباطل إلى درجة يصعب التمييز بينهما على عامة الناس، وإذا أدبرت وانتهت انكشفت حقيقتها وتوضَّحت

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩٣، ص ٢١١.

صورتها، فمع إقبالها تكون غامضة مجهولة لا يتضح موضوعها، ومع إدبارها وانتهائها تصبح واضحة بكل معالمها، فالعبرة أن ينتبه الإنسان من أول الطريق ليتجنبها، كي لا يتحول بعدها إلى عبرة لغيره بعد أن يكون قد تحمل ثمناً باهظاً بسببها. فحاجتنا أثناء الفتنة أن تكون الصورة واضحة لاختيار الحق والأصلح.

نحن مسؤولون عن مراعاة المقدمات الضرورية للوصول إلى الأهدى والأزكى والأرضى، فلو جاءنا خبر من مخبر تحرَّينا عنه لنعرف موثوقيته أولاً، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]، وعلينا التمييز بين المشاهدة والسماع، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أما أنه ليس بين الحق والباطل إلّا أربعة أصابع.** فسُئل عليه السلام عن معنى قوله هذا؟ فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: **الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت**»[2].

انتبه إلى أبواب ومداخل تضييع الحقائق، فاسأل لتتضح لك الصورة، واعتمد على الفقيه العادل ليرشدك إلى معنى الآية والرواية، وخذ حكمك الشرعي ممن هو جدير بذلك، ولا تنجر إلى عواطفك وهواك في اختياراتك، ولا تتعلق بظواهر الأمور أو تفسيرها السطحي، ولا تسرع في الالتحاق بملة أو جماعة قبل أن تتبيَّن رضوان الله في السير معها.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٤١، ص ٣٠٦.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الشبهة على أربع شعب: إعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأول العوج، ولبس الحق بالباطل، وذلك بأن الزينة تصدف عن البينة، وأن تسويل النفس تقحم على الشهوة، وأن العوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً، وأن اللبس ظلمات بعضها فوق بعض**»[١]. فحذار من هذه الأبواب الأربعة، أما الزينة فتعطي صورة خلاف حقيقتها وجوهرها فتبعد عن البينة والدليل والحقيقة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٢]. وأمَّا تسويل النفس فنوع من الإغراء لمواكبة الهوى الذي يوصل إلى الشهوات والمحرمات، ففي الحديث عن قتل قابيل ابن آدم لأخيه هابيل إرضاءً لرغبته في الاستئثار بالتكريم من دون بذل، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]. وأمَّا تأول العوج فهو تغييره بوجه يخفي عوجه وعيوبه وتبرز استقامته خلافاً لواقعه، وهذا ما يميل به عن الاستقامة. وأمَّا لبس الحق بالباطل فتضييع التمييز بينهما، ما يؤدي إلى الضياع والضلال والسير على غير هدًى، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٩٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

(٢٤)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلاَيَةِ، وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدايَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِٱلسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

الطمأنينة والراحة الدنيوية

ثلاثة أمور تساعد الإنسان على الاستقرار والطمأنينة والراحة الدنيوية:

١ ـ الكفاية: بأن تكون حاجات الإنسان متوفرة، وهي لا تكون كذلك إلّا بتقدير من الله تعالى، لذا دعاه الإمام عليه السلام بقوله: وتوِّجني بالكفاية أي ظللني واشملني بالاكتفاء عن كل مخلوق، وفائدة هذا الطلب أن يكون مصحوباً بالاستغناء عن المخلوقين ما يعزِّز الارتباط بالله تعالى، والرضى والقناعة بالرزق والنعم

المقسومة. وإلّا فمع الجشع والطمع فلا حدَّ لمطالب الإنسان، ولا موانع من ارتكابه المحرمات لإرضاء هواه.

٢ ـ حسن الولاية: أي النصرة لله بأحسنها والولاية له، وذلك بأن يكون الإنسان موسوماً بها، فتشكل علامة بارزة في شخصه، فهو وليٌ لله والله وليه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

من كان الله ولياً له، استمد القوة والعزيمة منه، وخطا باتجاه امتلاك صفاته الكمالية، واطمأن إلى لجوئه إلى ركن متين، فلا شيء يخيفه، ولا شيء يقلقه، فهو نصير القادر الجبار الرزاق الناصر والمعين، فما يتوفر بالتفاعل مع النصرة لله لا يمكن توفره بأي طريق آخر، عندها تتحقق الثقة بمدد الله وعونه وتسديده بشكل دائم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[4]، ولا مجال للمقارنة بين آثار نصرة الله ونصر الظالمين بعضهم لبعض، فالتفوق دائماً لخط الإيمان، ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٤) سورة الأنفال، من الآية: ١٧.
(٥) سورة الجاثية، الآية: ١٩.

٣ ـ صدق الهداية: لا يكفي أن يهتدي الإنسان في مرحلة من مراحل حياته، إنما المهم أن تستمر الهداية معه في كل مراحلها، وأن تكون نوراً يستضيء به بشكل دائم، بأن لا يقع في حبائل الشيطان أو تزول بتأثير الملذات والشهوات. ففي توجيه الله للنبي ﷺ وصحبه قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١)، وهذا ما يحتاج إلى مراقبة متواصلة للنفس والسلوك، وإلى عبادة دائمة تُقرِّب من الله تعالى، وتطهِّر القلب، وتفتح الطريق إلى عالم الملكوت، وإلى الدعاء المصاحب لجهاد النفس: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٢). قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ستصيبكم شبهة، فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدًى، ولا ينجو منها إلَّا من دعا بدعاء الغريق.** فسُئل: كيف دعاء الغريق؟ قال عليه السلام: **يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(٣).

من أسباب القلق

في مقابل الأمور الثلاثة السابقة ثلاثة أمور تقلق الإنسان وتسلبه الراحة والطمأنينة وتضيِّع جهده وفرصته:

١ ـ الفتنة بالسعة: السعة في الرزق قد تدفع الإنسان إلى

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٣) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٥٢.

الانحراف، عندما يُفتتن بالمال فلا يراعي صرفه في أبوابه الشرعية. وأبواب الانحراف كثيرة منها: الإسراف، عدم إخراج الحقوق الشرعية من الخمس والزكاة، شراء المحرَّمات، بذل المال في المنكرات، صرفه على سهرات اللهو والغناء، استخدامه في الرشوة والغش والاحتكار... ولا يعتبر الغنى مشكلة بذاته، بل نعمة إلهية، لكنَّه اختبار للإنسان في كيفية التصرف به، حيث تتحدد مسؤوليته على أساسها، وغالباً ما يسقط الأغنياء في امتحان المال، ولا ينجو إلَّا القليل ممن آمن بالله وراعى أوامره ونواهيه فيما استخلفهم الله فيه وائتمنهم عليه على هذه الأرض.

٢ ـ الجهد الضائع: يرغب الإنسان بالراحة الدنيوية بحسبها، وأن يعيش الدعة من البحبوحة والسعة في الرزق، تصاحبهما راحة جسدية ونفسية بحسب ما في الدنيا من راحة، لكنَّ الكارثة الكبرى عندما تكون حركته دائمة ومستمرة من دون فائدة أو كسب، أي أن يكون كدُّه وتعبه متواصلاً، بحيث يعيش في حياته هذا التعب، ومع هذا يضيع جهده بسبب اختياره المنهجي الخاطئ وسلوكه الطريق الضالة، «ولا تجعل عيشي كدا كدا»، فيا للمأساة من تعب دنيوي يخسر المرء حياته فيها، وحساب أخروي على ما ضيَّع من شبابه وعمره بلا ثمر. بعض الناس لا يضيِّعون دقيقة واحدة من حياتهم، لكنها في البناء الخطأ الباطل والضال، فهم يعمرون دنياهم بالآثام ويرهقون أنفسهم لأجلها، ظانين أنهم بذلك يحسنون وينتفعون ويرتاحون ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾[١].

٣ ـ الدعاء المردود: يفتح الدعاء أجواء الأنس وأبواب الرحمة والعطاء من الله تعالى، ويزيد في الأعمار والأرزاق، فهو صلة خاصة بين العبد وربه، يجلب العبد لنفسه من خلالها بعضاً من نفحات الله وحصته المقسومة في هذه الدنيا. وعندما لا يُستجاب الدعاء، فلا يعتبر ردُّه أساسياً أمام وجود الغضب الإلهي على ما فرَّط وضيَّع كي لا يستجاب له. ومن أسباب رد الدعاء عدم استجابة الداعي لأوامر الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[٢]. وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في تفسيره لقوله تعالى: ادعوني أستجب لكم، وسبب عدم الاستجابة على الرغم من دعوة الله للناس أن يدعوه، قوله: **بأن قلوبكم خانت بثمان خصال،** إلى قوله: «**فأي دعاء يستجاب لكم مع هذا؟ وقد سددتم أبوابه وطرقه؟ فاتقوا الله وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا سرائركم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فيستجيب الله لكم دعاءكم**»[٣]. وفي الدعاء المروي عن كميل بن زياد(رض) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء**»[٤] في إشارة إلى سوء

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٣) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٧٧.
(٤) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال، ج٣، ص٣٣٢.

النية والنفاق مع الإخوان وخبث السريرة وغيرها من الذنوب المانعة لاستجابة الدعاء.

إذا أردت أيها العزيز أن تسلك سبيل الطمأنينة وتبتعد عن القلق، وأن تضمن مراكمة أعمالك الصالحة لنجاح دنياك وآخرتك، فابدأ من النقطة المركزية وهي مرتبطة بالإيمان، فإمَّا أن تؤمن بالله وإمَّا أن تؤمن بالطاغوت، ولكل منهما خطواته ودلائله ونتائجه. فالإيمان بالله يتطلب منك توحيده والإخلاص له، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1]، فلا تجعل له ضداً ومنافساً وكفواً، ولا تدعو معه أحداً مساوياً له، فهو واحد أحد لا شريك له. فمع الالتزام بالتوحيد تبدأ سيرة الصلاح وخطوات طريق الهدى.

****

(١) سورة التوحيد.

(٢٥)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ ٱلتَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

شروط تحصيل البركة

اللهم امنعني من السرف الذي يؤدي إلى صرف الأموال ببذخ بطريقة تفوق الحاجة بكثير، وتسبب إتلافه في غير محله، قال تعالى في وصف المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[١]، وحصِّن رزقي من التلف بحيث يكون رزقي محمياً ومحفوظاً من السرقة والحروب والخسران والفقدان، ووفِّر ملكتي بالبركة فيه بحيث أشعر بالزيادة والبحبوحة في كل ما أملك ما يلبي جميع حاجاتي، ،وأصِب بي أي أهدني إلى سبيل وطريق الاهتداء للبر والاحسان في كل ما أنفق، ليكون نمطي عطاءً من غير مقابل، وذلك بأن أبادر إلى البذل والمعروف والإحسان قربة إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

في هذه الفقرة عنوانان مهمان يتطلبان توضيحاً وتفصيلاً: البركة والبر.

أولاً: البركة: نعيش في حياتنا اليومية معنى البركة من خلال ما نشعر به في بعض البيوت وعند بعض الأفراد، فإذا وضع أحدهم الطعام المحدود لعدد كبير كفاهم، وإذا كانت إمكاناته قليلة تصرف بأكثر مما يُتوقع عادة، وإذا حصل على رزق كان محفوظاً ومحمياً واستفاد منه بكامله على أفضل وجه، وإذا كان بين يديه أرض أو تجارة أو معاش ظهرت آثارها وخيراتها بكثرة ووفرة. فالبركة نعمة تحيط بما يملكه الإنسان وتنعكس خيرات وفوائد تتجاوز المألوف منها.

تتوفر البركة عند تحقيق شروطها، فهي لا توجد ولا يشعر بها إلَّا من أحاطت رزقه بعض العوامل، فلا يعتبر مجرد الرزق بركة، إذ قد يتحقق الرزق من دون بركة فيه، وقد تصاحب البركة الرزق.

من عوامل وشروط البركة:

١ ـ الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1]، فخيرات السماء والأرض بركات، وهي الرزق المصحوب بالبركة، التي تعم المجتمع بأسره فيشعر بها الجميع، كنتيجة للإيمان والتقوى.

٢ ـ الطاعة لله: عن الإمام الرضا عليه السلام: «**أوحى الله عزَّ وجل إلى نبي من الأنبياء: إذا أُطعتُ رضيت، وإذا رضيتُ باركت، وليس**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

لبركتي نهاية»[١]. فالطاعة بتنفيذ تعاليم الإسلام تؤدي إلى رضوان الله تعالى عن عبده، فيكافئه في الدنيا بالبركة فيما يحصل عليه من رزق، من دون أن يكون لهذه البركة أي حدود، أي أنَّها تشمل كل شيء وكل الحياة، إنَّها بركة في المال والولد والعلم والثمر والعمل...

٣ ـ العدل: العدل أساس الملك واستمراره، وبه تعمر الحياة البشرية، وهو فعلٌ أَمَرَ به الخالق عباده، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[٢]، وله آثار عظيمة على الإنسان، وهو سبب مهم من أسباب مضاعفة البركات الإلهية، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**بالعدل تتضاعف البركات**»[٣].

٤ ـ العبادة: سبب من أسباب البركة، فقد افتتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبته في استقبال شهر رمضان المبارك شهر العبادة والصوم لله تعالى، بقوله: «**أيها الناس، إنَّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة**»[٤].

إنَّ المتابعة للأمثلة التي سقناها عن مسبِّبات البركة: الإيمان والتقوى والطاعة لله والعدل والعبادة، تُبرز خطاً واحداً مترابطاً يتمحور حول الإيمان بالله وانعكاسه على الالتزام بالدين وتطبيق تعاليمه. فإذا كانت الاستقامة بحد ذاتها تستثمر كل الخيرات الإلهية في محلها المناسب، من دون إسراف أو تقتير وعلى الجادّة

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٧٥.
(٢) سورة النحل، من الآية: ٩٠.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١٨٨.
(٤) السيد إبن طاوس، إقبال الأعمال، ج١، ص٢٦.

الوسطى، فكيف إذا صاحبها الرضا والتوفيق الإلهيين اللذين لا حدَّ لهما، عندها تتجاوز البركة المألوف، فتُجلِّل كل رزق وكل تصرف، بما يُظهر آثار خيرات الله واضحة وفعَّالة في حياة الإنسان.

في المقابل ترتفع البركة عمن سلك طريق الضلال والحرام وخالف منهج الإيمان بالله تعالى، فعدا عن سلبيات منهج الكفر بحد ذاته من ظلم وطغيان وإساءة وفساد وما لها من آثار سلبية كثيرة، فإن البركة تُنزع أيضاً عن الرزق والمال والولد والعلم وكل عطية بيد الإنسان، بحيث يشعر صاحب المال الوفير بقلته، وضعف فعالية ما بيده، وفقدان الإمكانات التي يحصل عليها بأسرع مما يتوقع، وعدم استئناسه وراحته لعدم تلبية حاجاته ورغباته بما بيده، وكأنَّ ما يملكه قليل مع أنَّه كثير، وهو ما نسميه انعدام البركة.

من عوامل وأسباب انعدام البركة:

١ ـ الحرام: عن داوود الصرمي قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «**يا داوود، إنَّ الحرام لا ينمى، وإن نمى لا يُبارك له فيه، وما أنفقه لم يؤجر عليه، وما خَلَّفَه كان زاده إلى النار**»[(١)]. فالخسائر تحيط بالحرام من كل جانب، ويزيد عليها نزع البركة التي تقلل الاستفادة الدنيوية من الرزق والعطاءات الإلهية.

٢ ـ الإسراف: عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إنَّ مع الإسراف قلة البركة**»[(٢)].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص١٢٥.

(٢) المصدرنفسه، ج٤، ص٥٥.

٣ ـ الخيانة: عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات**»[١]. وهذا يشمل كل أنواع الخيانات: بين الزوج وزوجه، خيانة الفرد لجماعته بالتعامل مع الأعداء، خيانة الأمانة وعدم الاعتراف بها أو عدم ردِّها إلى أصحابها، خيانة العهد والميثاق في الاتفاقات المعقودة، خيانة الأخوَّة بكشف الأسرار والخصوصيات..

البر الاعتقادي والبر العملي

ثانياً: البر: البر في اللغة هو التوسع في فعل الخير من دون مقابل، بأن تبادر فتعطي وتحسن وتبذل مبتغياً الأجر عند الله تعالى، غير منتظر للبدل أو المكافأة من الناس، ومن تطبيقاتها بر الوالدين، والتصدق على الفقراء والتضحية في سبيل الله... وهذا هو البر العملي. وهناك بر آخر على مستوى الاعتقاد والإيمان، فيقال بأن العبد برَّ ربَّه أي توسَّع في طاعته، فارتقى وسما حباً لله. فالبر برَّان: برٌ اعتقادي وبرٌ عملي، يتكاملان مع بعضهما البعض، وكلاهما يعبِّر عن التوسع في العطاء ارتباطاً بالله تعالى وابتغاء مرضاته. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢]، ففي الآية

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

ربطٌ للبرّين في سياق واحد لمن يتصفون بالتقوى في الإيمان والعمل.

ففي الاعتقاد: ليس البر بالتوجه إلى القبلة في الشكل الظاهري للتوجه، ولا بإقامة الصلاة بصورتها المعهودة، ولا بالاهتمام بظواهر أوامر الله تعالى فقط، ولكن البر برسوخ الإيمان بالله في النفس، بالخالق الأوحد لكل شيء، الذي له الطاعة والتسليم، وله الأمر والنهي، ومن عنده التشريع والتوجيه والإرشاد، والإيمان باليوم الآخر كيوم تجمع فيه الأعمال، ما ينعكس على كل السلوك الدنيوي ابتغاء تجميع الأعمال الصالحة للنجاة في يوم الحساب. والإيمان بالملائكة مع أننا لا نراهم، كتصديق بالغيب الذي أخبرنا عنه الأنبياء، من دون حاجة لأن ترى العين كي تصدِّق. والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسول الله ﷺ وما فيه من أخبار وحقائق وتشريعات لا يدخلها الباطل ولا تحتمل التكذيب أو التشكيك، وفيه ذكر للنبيين والمرسلين الذي لم نرهم ولم نخبُر آثارهم بدقة، لكننا آمنا بهم لإخبار الله تعالى عبر كتابه ونبيه، كلُّ هذا يدخل في البر الاعتقادي، لأنَّه يستند إلى الإيمان العقلي والنقلي، أي إلى الإيمان بعالم الشهادة وعالم الغيب بتسليم كامل يتسع لآفاق العقل والقلب في المحسوس وغير المحسوس، ومهما بلغ مدى الإخبار، فالتصديق هو الأساس وهذا هو البر.

وفي العمل: يشمل البر كل أنشطة الإنسان التي تنطلق من روحية البذل والعطاء والإحسان ابتغاء الأجر، ومنها بذل المال على حبه والرغبة به، للأقرباء واليتامى والمساكين والذين انقطعت بهم السبل في دار الغربة، والسائلين المحتاجين الذين اضطرتهم الحاجة

إلى السؤال، والعبيد. ومنها العبادات بروحية التقرب من الله تعالى وتنفيذ أوامره كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ومنها المعاملات بما أمر الله من قواعد وضوابط كالوفاء بالعهد والصبر على الابتلاءات والحرب ضد الأعداء. . . كل هذا تعبير عن الصدق العملي مع الله، وهو من البر العملي الذي يؤدي إلى التقوى.

سنورد بعض الآيات والروايات التي تتحدث عن البرِّ، وترسم معالمه العملية في جوانب عدة من حياة الإنسان:

١ ـ علامة البار: عن رسول الله ﷺ: «**وأمَّا علامة البار فعشرة: يحب في الله، ويبغض في الله، ويصاحب في الله، ويفارق في الله، ويغضب في الله، ويرضى في الله، ويعمل لله، ويطلب إليه، ويخشع لله خائفاً مخوفاً طاهراً مخلصاً مستحيياً مراقباً، ويحسن في الله**»[(١)]. وكما تلاحظ فإن البارَّ من بنى مساره على حب الله وطاعته في كل شيء، فلا عمل له إلَّا بملاحظة ما يرضي الله عنه ولا يغضبُه.

٢ ـ بر الوالدين: بالإحسان اليهما والقول الكريم لهما، بصرف النظر عن تصرفهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[(٢)]، ومصاحبتهما بالمعروف على الرغم من الاختلاف العقائدي معهما: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ

(١) الحرَّاني، تحف العقول، ص٢١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١].

٣ ـ الجهاد في سبيل الله: وهو أعلى أنواع البر، لأنَّه بذلٌ للدم والحياة في سبيل ما أمر الله به، قال رسول الله ﷺ: «**فوق كل ذي بر بر، حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر**»[٢].

٤ ـ من أبواب البر: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ثلاث من أبواب البر: سخاء النفس، وطيب الكلام، والصبر على الأذى**»[٣]، فلا يقتصر البر على المبادلة المادية، وإنما يشمل روحية التعامل في سخاء النفس والصبر على الأذى، وأخلاقية التعامل في طيب الكلام.

٥ ـ أسرع الثواب: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أسرع الخير ثواباً البر، وإن أسرع الشر عقاباً البغي**»[٤].

٦ ـ من آثار البر: عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**البر وصدقة السر ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان سبعين ميتة سوء**»[٥].

عن ابي عبد الله عليه السلام: «**بروا آباءكم يبركم أبناؤكم**»[٦].

وعنه أيضاً: «**من حسن بره بأهل بيته زيد في عمره**»[٧].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٣٤٨.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٢٥.
(٤) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ١١٠.
(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٩، ص٣٩٨.
(٦) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٥٥.
(٧) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٢٤٥.

(٢٦)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ ٱلاكْتِسَابِ وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ، فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِٱلطَّلَبِ، وَلاَ أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ. أَللَّهُمَّ فَٱطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

ضوابط الرزق الأربعة

حيَّر الرزق البشر على امتداد تاريخهم على هذه الأرض، فهم يقضون حياتهم بأسرها سعياً وراءه، فيصيبون ويخطئون، تارة يحصلون عليه بالحلال والعمل الصالح والكد والسعي، وأخرى يحصلون عليه بالحرام والعدوان والتسلط والطغيان. ما هو السبيل للرزق الحلال المضمون؟ وهل الاقتصار على أوامر الله ونواهيه يوصل للإنسان رزقه؟ وهل يعطي الحرام أكثر من الحلال في كل الحالات أو بعضها، أو لا يغير شيئاً من الرزق المقسوم؟

يجيب الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عن هذه الأسئلة وغيرها، بذكر ضوابط الرزق الأربعة، التي لا مفرَّ منها، والتي تؤكد

النصيب المقسوم، بتقدير الله لذلك، لكل واحد من مخلوقاته.

١ ـ الرزق من الله: « وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ ٱلاكْتِسَابِ»، فاجعلني يا رب مكتفياً وقانعاً وراضياً بما رزقتني إياه، بعد أن بذلتُ جهدي في الطريق الصحيح، ولا تجعلني أتحمل العناء والتعب فيما لا رزق لي فيه، فمعرفتي برزقي المقسوم يجعلني أسلِّم لك بعدم جدوى بعض المساعي والآمال، فاكفني منها يا مقدِّر الأرزاق، فبيدك البسط والتقدير، والكثرة والقلة، والإعطاء والحرمان. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]. ومع أني مسؤول عن السعي كسبيل من أبواب الرزق، لكنَّ الإعطاء والإمساك بيدك يا رب، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا يملك إمساك الأرزاق وإدرارها إلَّا الرزَّاق**»[٢].

ومن الدلالة على الرزق المقسوم الذي يختلف بين الناس مع تشابه سعيهم، ما نراه في حياتنا اليومية، من دون تبرير له إلَّا تقدير الله لذلك. شابان يتشابهان في العمر وظروف الحياة العامة، فهما من أبوين متوسطي الحال، ودرسا في مدرسة واحدة طوال طفولتهما وشبابهما، وتخرَّجا من جامعة واحدة وفي اختصاص واحد، ويتساوى مستواهما التعليمي والعملي، تسنح للأول فرصة غير متوقعة للعمل في شركة أو المشاركة في تجارة أو السفر خارج

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٥٤٢.

البلاد، فينفتح أمامه باب الرزق على مصراعيه فيغنى، وتتحسَّن أوضاعه المادية بشكل ملفت، ولا تسنح للثاني إلَّا فرصة وظيفة عادية رغم كل مساعيه، فيعيش بمدخول بسيط بالكاد يكفيه في حياته. ما الذي ميَّز الأول عن الثاني؟ كلاهما تعلم وكلاهما سعى، لكنَّ فرصة الأول التي لم يكن له فيها دخل، قد أوصلته إلى الغنى، ولم تسنح للثاني على الرغم من سعيه ورغبته. هذا رزق مقسوم من الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١]. فيا رب، لا تجعلني أبذل جهداً من دون نفع، وفي الدعاء: «**ولا تُعنِّني بطلب ما لم تقدِّر لي فيه رزقاً، فإنَّك غني عن عذابي، وأنا فقيرٌ إلى رحمتك**»[٢].

٢ ـ طلب زيادة الرزق: «وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ»، اعطني يا رب رزقاً واسعاً حلالاً طيباً وفيراً لا حدود له. وقد ركَّزت الأدعية على طلب السعة في الرزق من غير احتساب، كحق طبيعي ومشروع في اللجوء إلى الله تعالى كمصدر للرزق. فإذا توفر المال للإنسان المؤمن تمكَّن من صرفه في طاعة الله بسعة، وفي أعمال الخير والدعوة إلى الله، وقام بالتزامات كثيرة لا يقوى عليها من دونه.

فإذا كان السعي باباً من أبواب الرزق وله حدود، فقد فتح الله لنا أبواباً أخرى لزيادته، كنتيجة ملازمة للقيام بمجموعة من الأعمال التي يُعطي الله عليها الأجر والأجرة، في الثواب وزيادة الرزق،

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٢) العلَّامة المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٩٢، ص٣٠٠.

فلنواكب دعاءنا بسلوك أبواب الرزق الأخرى، لا من أجل الرزق فيها، بل من أجل طاعة الله، وهو الكريم المفضل على عباده، فيكون الربح ربحان، ربح الطاعة وربح الرزق والأجر.

قال تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلُّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرُّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى. قال**ﷺ: **تدعون ربكم بالليل والنهار، فإنَّ سلاح المؤمن الدعاء**»[2].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**استنزلوا الرزق بالصدقة**»[3].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسئ في الأجل**»[4].

٣ ـ «فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِٱلطَّلَبِ»، بأن لا يشغلني طلب الرزق عن عبادتك يا رب، لأنَّ الرزق مقسوم، ولن تُنقص العبادة منه شيئاً. مسكين ذاك الذي يسوِّف في صلاته، أو يؤجّل عبادته، أو تفوته بسبب اهتمامه بمعاشه، أو لا يؤديها بالأصل خشية أن تستهلك من

---

(١) سورة الطلاق، من الآية: ٢ والآية: ٣.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٦٨.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٧، ص ٧٦٨.

(٤) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص١٥١.

وقت معاشه! لو سمع قول رسول الله ﷺ لرجلٍ يوصيه، وقد رواه عنه أبو ذر(رض): «**واقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب، ولا تتشاغل عما فُرض عليك بما قد ضُمن لك، فإنَّه ليس بفائتك ما قد قُسم لك، ولست بلاحقٍ ما قد زُوي عنك**»(١). وقول الإمام العسكري عليه السلام: «**لا يشغلك رزقٌ مضمون عن عمل مفروض**»(٢)، لما فرَّط أو قصَّر في عبادته. فالعبادة مسؤولية، يجب عليه أداؤها، فالمحاسبة عليها، أمَّا الرزق فقسمةُ رب العباد وليس من مسؤوليته إلَّا السعي، الذي لا يستوعب الوقت بأكلمه.

٤ ـ مسؤولية المكسب: «وَلاَ أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ»، فللمكسب تبعات وآثار في تحصيله وصرفه، فلا تحمِّلني يا رب وزر كسبه عن طريق الحرام، ولا وزر صرفه بما نهيتني عنه. فطريق الحرام لا يزيد رزقاً مقسوماً. عن أبي حمزة الثمالي(رض)، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، ومما قاله: «**ألا وإنَّ الروح الأمين نفث في روعي، أنَّه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق، أن يطلبه بغير حلِّه، فإنَّه لا يدرك ما عند الله إلَّا بطاعته**»(٣). ولا ينفع النظر بعين الحسد إلى ما أنعم الله به على الآخرين سوى الإثم والعقوبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ

---

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٨٧.
(٢) تحف العقول، ص ٤٨٩.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٧٤.

ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[١] فالسؤال يكون لله الرزَّاق، ويكون السعي لتحصيله في إطار طاعته، وأن لا يصبح أكبر همٍ لنا في الحياة، وأن نصرفه كما أمر الله ونهى، وهذا ما ينجي يوم الحساب.

ما مرَّ من الضوابط الأربعة للرزق، يتطلب عوناً من الله للمساعدة عليها، فيا رب إجعل طلبي بقدرتك، فلا أخطو خطوة إلَّا بتوفيقك وبما يحقق طاعتك، واحمني بعزتك مما أخاف منه، من عوائد الأيام وغلبة وسوسات الشيطان عليَّ.

****

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢٧)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَاسْتَعْطِي شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطَآءِ وَالْمَنْعِ.

لا تذل نفسك للمخلوقين

محور هذه الفقرة من الدعاء: عدم الاضطرار للجوء إلى المخلوقين، لما له من تبعاتٍ وأضرار على النفس والسلوك. فيا رب اجعل عندي يُسراً وبحبوحة في المال تصون وجهي أمام الناس، ولا تقتِّر عليَّ عيشي، ولا تقلِّل يا ربِّ رزقي، كي لا أشعر بتدني مقامي وموقعي وجاهي في المجتمع، ما يضطرني إلى أن أطلب العون والمساعدة من بعض خلقك، فإذا كان المال مع شرار خلقك، فالاستعطاء والطلب منهم مذلَّة وفتنة، لأنهم إذا أعطوني فأنا مضطر لشكرهم وحمدهم وكأنهم أولياء نعمتي، ومصدر المال والرزق، وهذا ما يخدش إيماني ونظرتي إلى الأمور، فقد يتوجه نظري إلى

المخلوقين وخدمتهم والتعلق بهم واعتبارهم مصدر الخيرات، بينما أنت الرزاق الحقيقي. وإذا لم يعطوني، فقد يصاحب منعهم، ذمُّهم لي وإهانتهم إياي، ورفضهم طلبي، وكيل المواعظ والتوجيهات لي، وهذا بلاءٌ وأذية، علماً بأنك يا رب وليُّ المخلوقين وهؤلاء جزء منهم، فأنت المعطي لهم ولغيرهم، وأنت المانع عمن تريد ذلك، فأعني كي لا ألجأ إلى أحد غيرك. هذا توجيه واضح كي لا يتعلق القلب بغير الله تعالى، وأن لا يجرنا السعي لنُذل أنفسنا أمام شرار خلق الله تعالى، مهما كانت مكانتهم، ومهما كانت قدراتهم، فلنستحضر عزَّة المؤمن في هذه الحياة، وليكن طلبنا مصحوباً بارتباطنا بمصدر الرزق الحقيقي.

****

٢٨

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفَراغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَالٍ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ.

أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.

العبادة الصحيحة

أربعة أمور تساعدك على الاستقامة:

١ ـ صحة العبادة: وجَّهنا المولى جلَّ وعلا إلى عبادات محددة كالصلاة والصوم والحج وغيرها، وبيَّن لنا كيفية أدائها الصحيح، لتؤدي هدفها في تهذيب النفس وتقويم السلوك، فإذا لم نلتزم بها وبشروطها، ابتُلينا بفساد عباداتنا وعدم قبولها، وخسرنا أهدافها وآثارها في النفس والمجتمع.

نية التقرب من الله تعالى أصلٌ في العبادة، ولا عبادة من دون

نية، فلو صلّى المرء إرضاءً لوالده، أو صام انسجاماً مع ما درج عليه المجتمع، أو حجَّ وجاهة بين الناس، أو أدّى أي عبادة من العبادات رياء وسمعة كي يراه الآخرون فتتحسن صورته عندهم ونظرتهم إليه... فهذا كله بعيدٌ كل البعد عن العبادة التي أمر الله بها، ولا صحة لها. فعين أمير المؤمنين عليه السلام: «**العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلَّا ربَّه، ولا يخاف إلَّا ذنبه**»(١).

تعلمُ أحكام العبادات الواجبة ضروري لحسن تأديتها، والتفقه في الدين يساعد على العبادة الصحيحة، لكن أن يقلِّد والده أو أصحابه بمتابعتهم مع جهلهم بأحكام الدين، أو أن يمضي عمراً يصلي ويصوم من دون سؤال عن شروط صحة العبادة ثم يكتشف أخطاء فادحة فيها تسبِّب بطلانها، أو أن يكون محُرجاً من التعلُّم في المسجد أو الحسينية أو عند أحد العلماء بسبب سنِّه، أو أن يكون مستهتراً لا يراعي حدود الواجب والصحة والفساد وضوابطهما، فهذا كله من المهلكات، لأنه يكون قد أمضى وقتاً وبذل جهداً في أداء عبادة باطلة، بسبب جهله وعدم سعيه لتعلم أدائها بشكل صحيح. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها**»(٢).

إنَّ أداء الفرائض بشكل صحيح، يرفع عنَّا التكليف، ويُكسِبُنا نتائجها في حياتنا، ويسلك بنا درب التقوى، ويقوِّم أداءنا في طاعة

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٦٥.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص ٣٦.

الله، وفيها خيرات الدنيا والآخرة. قال رسول الله ﷺ: «**إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس**»[١]. أنظر أيها العزيز إلى المراتب التي سترقاها بعبادتك الصحيحة، فهي تحتاج منك إلى التصميم الأكيد والقليل من الجهد في التعلم ثم إقامتها كما أمر الله، فستجد أن الطريق ميسَّرة، وأنك قطفت ثمار العبادة والقرب من الله تعالى، يقيناً يطمئن قلبك ويريحك في الدنيا، وثواباً في الآخرة.

الاستفادة من الفراغ

٢ ـ الفراغ سبب من أسباب الانحراف، إذا لم يكن مملوءاً بشغل أو اهتمام يستوعبه، أو لم تكن الأنشطة فيه محلَّلة. وغالباً ما يملأ الشباب فراغهم بتمضية الأوقات في أماكن اللهو ومسلسلات التلفزيون وصحبة العاطلين عن العمل، ما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والتأثير على صفحة النفس وبناء الشخصية. عندما نتحدث عن الاستفادة من وقت الفراغ فهذا لا يعني أن يكون جدِّياً بكامله أو منتجاً بكامله، فترويح النفس ساعة بعد ساعة يساعد على استعادة النشاط، وبعض التسلية والنزهات يريح الأعصاب ويجدد الفعالية، شرط أن تكون هذه الأمور في دائرة الحلال. فالإمام زين العابدين عليه السلام يربيا على دعوة الله تعالى ليعيننا على أن نزهد بالحرام في فراغنا، فلا يكون الفراغ سبباً لارتكابه أو الانجذاب إليه.

قال رسول الله ﷺ: «**خَلَّتان كثير من الناس فيهما مفتون:**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٨٢.

الصحة والفراغ»[١]، والفتنة تحمل احتمال النجاة أو الفشل، فالأمر يعود لما يتصرف به الإنسان في وقت فراغه. ولتكن القاعدة الأساسية طاعة الله تعالى فيما أمر وأن لا يقتصر الأمر على الفرائض فقط، وإنما يشمل كل عمل أو نشاط أو سلوك، حتى ولو كان مباحاً في إطار الراحة واللذة المحللة والترويح عن النفس. والأفضل أن يستفيد الإنسان من فراغه لتعزيز الطاعة، وانتهاز الفرصة للقرب من الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[٢].

لا تترك فراغك يوقعك في الحيرة عما تفعله فيه، ضع برنامجاً يأخذ بعين الاعتبار بعض الأنشطة السهلة بأعبائها وأدائها لتقوم بها، فقد ينفعك صحبة الأُخوة، أو صلاة المسجد جماعة، أو حضور درس عام، أو زيارة تأمل في الطبيعة، فليكن حرصك على تجنب الحرام وعندها لا مشكلة في تفاصيل ما تملأ به هذا الفراغ، سواء قلَّت الفائدة أو كثُرت فالنتيجة مرتبطة ببرنامجك، لكن الاحتياط من المعاصي عنوانٌ مناسب في أوقات الفراغ. ففي الدعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وأذقني طعم الفراغ لما تحب، بسعة من سعتك**»[٣].

من علم عمل

٣ ـ العمل بالعلم: ما فائدة أن يتعلم الإنسان مكارم الأخلاق ثم لا يعمل ليصل إليها؟ لماذا يتعلم أحكام الشريعة الإسلامية في

---

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٧ ـ ٨.

(٣) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال، ج٢، ص١٠٠.

التجارة وتربية الأولاد وغيرها ولا يطبقها في حياته؟ أليست مسؤولية كبرى أن يعلم الحق ولا يعمل به، وأن يعرف الباطل ولا ينتهي عنه؟ وهل العلم إلَّا للعمل؟

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**خذوا من العلم ما بدا لكم، وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع: لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، أو تراؤوا به في المجالس، أو تصرفوا وجوه الناس إليكم للترؤس**»(١). ليس العلم لهذه الخصال، إنما هو للاستعمال، واستعماله يكون بالعمل، لذا قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وعلماً في استعمال».

وفي توجيه آخر لأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلَّا ارتحل عنه**»(٢). فلا فائدة لعلم من دون عمل، بل هو وبالٌ على صاحبه، حيث يكون حسابه عسيراً بسبب علمه وعدم أداء مستلزماته من العمل. والعمل هو الذي يُسأل عنه الإنسان في يوم القيامة، وهو الذي يؤشر للمنهج السليم وآثاره في حياة الأمة. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣)، وهو الذي يترجم الإيمان الحقيقي في الدنيا، فلا قيمة لإيمان من دون عمل، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج١، ص٢٣٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٦، ص ٨٢٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[١].

وعندما يركز الله تعالى على مكانة العلماء العظيمة، ويبيِّن خشيتهم بما وصلوا إليه من مقام، يصفهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[٢]، فهم يتميزون بخشيتهم لله، وهذا أثر عملي عظيم لعلمهم النوراني، فرقي عملهم انعكس مزيداً من الخشوع، لأن علمهم فتح لهم آفاق الذوبان في طاعة الله ما أثَّر على سلوكهم، وما جعلهم في هذه المرتبة الرفيعة.

الورع

٤ ـ إجمال الورع، إحاطته بيسر ورفق لسلوك الإنسان. والورع: تجنب الآثام والشهوات والحرام، بحيث يتحول إلى مَلَكَة تساعد على رفض المنكرات بشكل عادي وطبيعي. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أصل الورع تجنب الآثام والتنزه عن الحرام**»[٣]، بل التوقف عند الشبهة والاحتياط منها، من الورع، فعن الأمير عليه السلام: «**الورع الوقوف عند الشبهة**».

هناك مراتب في الورع، فلا يتشابه الناس في الحذر من الوقوع في الشبهات والمحرمات، ولا يتشابهون في سرعة الرفض والمواجهة لها، وقد يحيط الورع عند البعض جزءاً كبيراً من أعمالهم

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة فاطر، من الآية: ٢٨.

(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١٢١.

لكنَّه لا يحجزهم عن القليل، وهذه ثغرة في ورعهم. فالإجمال في الورع الذي يشمل حياة الإنسان هو الذي يحميه من مزالق الحرام، فإذا وصل إلى هذا المستوى بلغ مبلغاً عظيماً، فعن أبي جعفر عليه السلام: «**إنَّ أشدَّ العبادة الورع**»(١).

لا ينفع العمل من دون ورع يحجب عن الحرام، ولا تنفع العبادة من دون ورع يحميها من الرياء والسمعة وإقامتها لغير الله، ولا إمكانية لاستقامة حقيقية من دون رعاية ضوابط الحلال والحرام التي يحيطها الورع للمحافظة عليها، ولا يعطي النشاط والفعالية أثراً طيباً وإيجابياً ما لم يكن مصحوباً بالورع. فالورع خط الحماية الحقيقي والمؤثر في العبادة والعمل. أوصى أبو عبد الله عليه السلام أحدهم فقال: «**أوصيك بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، واعلم أنَّه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه**»(٢). وقال أمير المؤنين عليه السلام: «**ألا لا خير في نسك لا ورع فيه**»(٣).

إنَّ«**ثمرة الورع صلاح النفس والدين**»(٤)، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام. فالحماية من الآثام تهذب النفس وتمنع الهوى من التأثير، ما يؤدي إلى الاستقامة في العمل والالتزام بأوامر الله ونواهيه، وهذا هو صلاح الدين في حياة الإنسان، وهو الهدف الرئيس من بعثة الأنبياء إلى البشرية.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص ٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.
(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٠٧.

العفو والرضى

«أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي»، فالموت نهاية العمل في الدنيا، ومعه تصبح نتيجة الإنسان واضحة، فإذا ختم الله الأجَل بالعفو، فهذا يعني إقفال ملف الدنيا بالنجاة، التي لا يمكن ضمانها من دون عفو الله تعالى. فاعمل الصالحات أيها العزيز، ولا تنشغل بإحصاء الأعمال الصالحة والفاسدة، واتَّجه إلى العفو فهذا أضمن وأسلم. وبما أن الله قد أخبرنا عن عفوه، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، فإن الطلب منه يختصر الطريق، طالما أن التوبة حقيقية، وأنَّ قدرة الإنسان على استدراك أو تعويض ما فات من أعمال عسيرٌ بالإجمال، فليكن التعلُّق بعفو الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[2].

انظر معي إلى فطرية الأعرابي في التعامل مع العفو الإلهي، قال: «يا رسول الله، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟

قالﷺ: الله عز وجل.

قال: نجونا ورب الكعبة.

قالﷺ: وكيف يكون ذلك يا أعرابي؟

قال: لأن الكريم إذا قدَّر عفا»[3].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٤٣.

(٣) محمدي الريشهري، ميزان الحكمة، ج٦، ص ٣٧٦.

لكن لا تتكّل على عفو الله فتهمل طاعته ومراقبة أعمالك، فعملك الصالح جسر العبور إليه، وإلّا فالإساءة والانحراف واستمرار القيام بالرذائل والحرام يحرمك من عفوه. وقد أرشد أمير المؤمنين علي عليه السلام مالك الأشتر عندما ولّاه على مصر إلى سلسلة توجيهات فيها صلاحه وصلاح حكمه، وإلّا خسر رحمة الله وعفوه، منها قوله: «**فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنَّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك، وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنَّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته**»[١].

«وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي»، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجرة**»[٢]، فالأمل برجاء الرحمة الإلهية يدفع الإنسان للتغيير من الانحراف إلى الطاعة، مهما طال زمان الانحراف، ومهما كانت الآثام كثيرة وكبيرة، أمّا مع اليأس، فالأبواب موصدة باتجاه الصلاح، حيث يفقد معناه والدافع إليه.

وقد أمرنا الله بعدم اليأس: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]، واعتبر رجاء الرحمة الإلهية صفة من صفات المتقين

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ص ٦٧٣.
(٢) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٧٣.
(٣) سورة يوسف، من الآية: ٨٧.

الذين يعلمون حقائق الأمور، وهم لا يستوون مع الجهلة الذين يخسرونها بسبب جهلهم. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

لكن يجب أن يكون الأمل بالله وحده لا بغيره، فالله مصدر كل شيء، وهو الأمل الحقيقي، أما غيره فعاجز ومحتاج، ولا يمكن أن يكون ملجأً أو حلاً، ومن يلجأ لغير الله فسيصاب بالاحباط، وسيكتشف خطأ اختياره، ولن يحقق مراده وآماله. عن النبي ﷺ: «**أوصى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه إليه: وعزَّتي وجلالي، لأقطعنَّ أمل كل مؤمل غيري بالأياس، ولأكسونَّه ثوب المذلَّة في الناس، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني**»(٢).

وأن يكون الأمل بالآخرة لا بالدنيا، فأمل الدنيا حقيرٌ وقصير وفانٍ، ومن تعلق بها انحرف مساره، فالدنيا تدعو إلى الملذات وإلى سراب زائل، بينما تدفع الآخرة إلى مراكمة الأعمال الصالحة لمصلحة الخلود والاستقرار الأبدي. انتبه أيها العزيز، من خطر التعلق بالدنيا، فمما ناجى الله عزَّ وجل موسى عليه السلام: «**يا موسى، لا تطوِّل في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد**»(٣). وليكن أملك برجاء رحمة الله لتجتاز إلى نعيم الآخرة.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٥٨٤.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٢٩.

«وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي»، إنَّ عماد السبل التي يرضى الله عنها هو الإسلام، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[2]، وكل أداءٍ في طاعة الله يحقق رضاه. فيا رب سهل طرق الخير أمامي، واجعلني استأنس بها وأعيش الألفة معها، وأعنِّي كي أصبر فلا أعصيك، وأن أصاحب المؤمنين الذين يذكروني بطاعتك ويعينوني عليها، وأزل الحجب من طريقي، ووفقني ليكون وصولي إلى مرضاتك سهلاً ميسَّراً.

«وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي»، بأن يكون عنوانه الصلاح بالدرجة الأولى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3]، وأن يكون متقناً، ومراعياً لكل الضوابط الشرعية، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[4]، وأن يكون الأحسن في مرتبته، فلا أكتفي بمجرد العمل وإنما بكل مستلزماته على أكمل وجه.

****

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٤) سورة النمل، من الآية: ١٩.

(٢٩)

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

الذكر والغفلة

ذِكْرُ الله في كل حالات الإنسان يساعد على الطاعة، فإذا غفل عن ذكر الله، حلَّ مكانه أمر آخر وهو الهوى، إذ لا فراغ في قلب الإنسان، فإمَّا أن يملأه بذكر الله، وإمَّا أن تحل الغفلة في غيابه. لذا تكون الحاجة الملحة إلى ذكر الله في أوقات الغفلة لترتفع وتسقط مفاعيلها، والاستعانة دائماً بالله في التنبيه والإرشاد والتسديد.

كيف تذكر ربك دائماً؟ يحصل ذلك إذا عشت حضوره مراقباً لك في كل أعمالك، وأثناء صلاتك، وفي حال تأملك لخلق الله تعالى وعظمته، وعند مراعاتك للواجبات وامتناعك عن المحرمات، ومع قراءة القرآن الكريم والدعاء، وبصحبة إخوة الإيمان ومن تذكرك صحبته بالله تعال، وإذا تعلمت وحرصت على تنظيم مستقبلك

للاكتفاء والخدمة العامة، وبمشاركتك في اللقاءات المسجدية والأنشطة العامة التي تخدم مسيرة العدالة، وأثناء مواجهة الظلم والانحراف، والجهاد في سبيل الله. فالذكر في كل عمل تعيش فيه حضور القلب مع الله تعالى ليسددك في أدائك السليم، فتصبح مطمئناً لدنياك وآخرتك: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١].

أما الغفلة فهي حالة معاكسة للذكر، وتكون دائمة أو مؤقتة بحسب استفحالها ومدى انحراف الإنسان. انتبه أيها العزيز من أسباب الغفلة وهي عديدة، منها:

ـ الغفلة عن الآخرة، بعدم الاهتمام بالاستعداد ليوم الحساب، وهذا جهل قاتل، يرتبط صاحبه بمظاهر الدنيا الفانية ويرضى بها، ولا يراعي مسؤوليته التي سيحاسب عليها في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[٣].

ـ قال لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه: «**يا بني لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها... وللغافل ثلاث علامات: السهو واللهو والنسيان**»[٤]، أمّا السهو فنتيجة عدم الالتفات، بسبب الانشغالات

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الروم، الآية: ٧.
(٣) سورة يونس، الآية: ٧.
(٤) الشيخ الصدوق، الخصال، ص١٢٢.

الكثيرة التي لا تعطي حيِّزاً مناسباً للطاعة والخير في حياة الإنسان. وأمَّا اللهو فبإضاعة الوقت بأمور محرَّمة وارتياد مجالس الباطل والغناء والمنكرات. وأمَّا النسيان فنتيجة عدم الاهتمام، وقد أثبتت الدراسات العلمية بأن ذاكرة المرء تكون ضعيفة فيما يقل اهتمامه فيه. فالغافل منشغل بدنياه، ومنجرف مع هواه، ولا يهتم بآخرته.

- التسويف والمماطلة، بتأجيل الدائم وتمنية النفس بوجود الوقت الكافي للتوبة، وطول مرحلة الشباب التي يمكن استثمار بعضها لاحقاً، ففي كل مرة يعد نفسه بالغد وبعده، وبالسنة القادمة وبعدها، فيؤجل البدء بالصلاة، وأداء الحج الواجب إلى حين الكبر، ودفع الخمس الشرعي الواجب إلى حين يكبر الأولاد ويزوجهم وينتهي من توسيع تجارته!...ثم يمتد التسويف إلى اللافعل ويصل إلى الغفلة.«**إياك والتسويف فإنَّه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب**»[١].

انتبه، فالمدة محدودة في هذه الحياة، لا تتجاوز عشرات السنين، وهي لا تساوي شيئاً أمام الخلود في النار: «**الا مستيقظ من غفلته قبل نفاد مدته**»[٢] كما قال الأمير عليه السلام. هذه الغفلة أشبه بالنوم فاستيقظ لاستثمار وقتك: «**الا متنبه من رقدته قبل حين منيته**»[٣].

---

(١) العلَّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٦٤.
(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٧، ص ٢٦٠.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، قول للأمير عليه السلام، ص ١٠٧.

فإذا خسرت الوقت وجاءت ساعة الموت، عندها لا ينفع وعدٌ بالتوبة، ولا مناجاةٌ بطلب المغفرة، ولا طلبُ تأجيل الموت، ولا كل ما تملك من مال وإمكانات، ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[١].

لا تنسَ مواجهة الغفلة المؤقتة، ولا تقع فريسة بعض الأخطاء والانحرافات التي قد تحصل مع المؤمن إذ يمكنه تجاوزها والتوبة عنها، فلو استسلم لخطئه يائساً من قبول توبته خسر الفرصة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، فإنَّه إذا فعل ذلك خلعَ عنه الإيمان كخلع القميص**»[٢]. إنَّ علينا محاولة عدم الوقوع في الغفلة المؤقتة لأنها لحظة شيطانية قد تستمر وتترسخ، وهي إخراجٌ عن الطريق المستقيم قد تؤدي إلى الانحراف الدائم عنه، وفي حال التورط فإنَّ التوبة ثم ذكر الله الدائم بالقول والعمل يعيدنا إلى الصراط المستقيم.

«وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ»، هي المهلة المعطاة للإنسان ليحياها في هذه الدنيا، وهي أيام قليلة، تُكتب فيها الأعمال، فإذا كانت مستعملة في طاعة الله حصل الفوز، وإذا كانت مستعملة في معصية الله وقعت الخسارة الأبدية. يا رب، اجعلني

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٢.

مستفيداً من مهلة الأيام القليلة في دنياي لطاعتك، فإنَّها الفرصة الوحيدة المتاحة أمامي لأنجو، وبك العون للنجاة.

الحب المتبادل

« وَانْهَجْ لِي إلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً»، فاجعلني يا رب أحبك بأسهل السبل واتعلق بك بأسهل السبل فلا أقوم بما يبعدني عنك، فأُبتلى بالجفاء، وأخسر بذلك لا محالة، وأفقد ثمرات القرب منك، فأنا بحاجة إلى محبتك لي، فهي بلسم روحي وعون جوارحي ونور حياتي ورضوان آخرتي.

انظر إلى رأفة رب العالمين، الذي يتودد لعباده ويتقرب منهم وهو غني عنهم، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[1]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2]، ويحبهم ليعطيهم من آثار محبته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4]. فما بالك تعقِّد أمورك وحياتك، وتتثاقل إلى الأرض وهمومها، ولا تلتفت إلى فتح أبواب العشق لله تعالى، والترقي في درجات الحب لتربح حبَّه.

أن يحبك الله فهذه مكرمة ورحمة، وهو يُقبل عليك بأسرع مما

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٦.
(٢) سورة ق، من الآية: ١٦.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.
(٤) سورة التوبة، من الآية: ٤.

تُقبل عليه، فاسع لملء مملكة قلبك بحب الله، ولا تستصعب الأمور، فهي خطوات تتخذها لتجد نفسك في طريق الحب له، فتكسب حبَّه لك:

أحسن إلى الناس يحبك الله: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

أحكم بالعدل يحبك الله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

توكل على الله يحبك الله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣).

إصبر في سبيل الله يحبك الله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤).

تذلَّل للمؤمنين وكن عزيزاً على الكافرين وجاهد في سبيل الله ولا تخف لومة لائم، تتبادل الحب مع الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٩٥.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٤٢.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

إعمل بقاعدة الحب لله والبغض لله، تسلك سبيل الأصفياء، وتصل إلى محبة الله، قال رسول اللهﷺ: «**ألا ومن أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله**»[١].

إنَّ محبتك يا رب، تحيطني في الدنيا بطاعتك وهدايتك، وفي الآخرة بثوابك وعطاءاتك، وأنا بحاجة إليها، فأدعوك أن تمنحني إياها، «أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيرَ ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، يا أرحم الراحمين.

****

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص١٢٥.

(٣٠)

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ ٱلنَّارِ.

الختم بالصلاة على محمد وآله

كما كان افتتاح الدعاء بالصلاة على محمد وآله، كذلك اختتامه بالصلاة على محمد وآله، فالنبي وآله سبب الهداية للأمة ولكل البشرية، وقدوة الإنسانية إلى خلاصها، وحبل الله المتين الذي يلازم القرآن الكريم، فهو الصامت وهم الناطقون عملاً به، ففي الحديث الشريف: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[١].

لهم الفضل، وبهم الرحمة، وهم النموذج الأفضل والأكمل، فرسولنا الأكرم سيد البشرية جمعاء من الأولين

(١) الحر العاملي، الشيخ الكليني، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٣٤.

والآخرين، وأئمتنا الأطهار أنوار الهداية المنبعثة من أول الخلق إلى نهاية العالم، وهم يمثلون نموذج الكمال الإنساني، وتجربة السعادة البشرية على الأرض بتعاليم الإسلام. إنهم الأفضل من كل من سبقهم ولا أحد بعدهم، فمنهم خاتم الأنبياء وخاتم الأوصياء والأئمة المعصومون وصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالصلاة عليهم من الله هي الأفضل لأنَّهم كذلك، ودعاؤنا لله أن تكون الأفضل لإيماننا بذلك، وهم يستحقونها بجدارة كاملة، فلا صلاة من الله على أحد من العباد، أفضل من الصلاة عليهم، لا قبلهم ولا بعدهم.

ببركة هذه الصلاة على محمد وآل محمد، اختم لي يا رب بثلاث نتائج: آتني في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقني عذاب النار.

ما أروع هذه الخاتمة لخط السير التكاملي مع مكارم الأخلاق، فلكل خطوة منها درجةٌ لارتقاء سلم التقوى، ولكل درجة أثر في القلب وأثر في الحساب، وبما أن الإنسان يُبنى تدريجياً، فمع التوفيق المتراكم من كل مكرمة، يصل إلى العلياء، عندها تغمره السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية.

حسنة الدنيا وحسنة الآخرة

وهل حسنة الدنيا إلَّا الخير بكل معانيه؟ وهل حسنة الآخرة إلَّا الراضون بأكمل صوره؟ هذه هي نتيجة العمل الصالح المرتبط بالإيمان الصادق. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[١].

وعن رسول الله ﷺ: «**إذا أردت أن اجمع للمسلم خير الدنيا والآخرة، جعلت له قلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وجسداً على البلاء صابراً، وزوجة مؤمنة تسره إذا نظر إليها، وتحفظه إذا غاب عنها، في نفسها وماله**»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: **في قوله عزَّ وجل**: «﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾، **رضوان الله والجنة في الآخرة، والمعاش وحسن الخلق في الدنيا**»[٣].

وقني يا رب عذاب النار برحمتك، فبدونها لا خلاص من النار، ولا طاقة لي على تحملها، وأنا أدعوك لتخلصني منها: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٤]. فأنا لا أتحمل حريق الجلد وتبديله مصاحباً للألم الدائم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥]، فلا تحتسبني يا رب على هؤلاء، ولا

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص ٣٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص ٧١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
(٥) سورة النساء، الآية: ٥٦.

قدرة لي على ماء المهل يشوي الوجوه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(١)، فلا تصنفني يا رب مع الظالمين.

أناجيك يا رب: «وأنت تعلم ضعفي عن قليلٍ من بلاء الدنيا وعقوباتها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أنَّ ذلك بلاء ومكروه، قليلٌ مكثه، يسيرٌ بقاءه، قصيرٌ مدته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة، وجليل وقوع المكاره فيها، وهو بلاء تطول مدَّته، ويدوم مُقامه، ولا يُخفَّف عن أهله، لأنَّه لا يكون إلَّا عن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما لا تقوم له السموات والأرض»(٢).

وقد أعلنت يا رب ولائي لنبيك وأئمتك، وعاهدت نفسي على السير في خط الإسلام، فأرجوك إعانتي على عثراتي، وهل يمكن أن يصيب غضبك عبدَك المؤمن؟ «يا مولاي، فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمك ورأفتك؟! أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك؟ أم كيف يحرقه لهيبها وأنت تسمع صوته وترى مكانه؟ أم كيف يشتمل عليه زفيرها وأنت تعلم ضعفه؟ أم كيف يتقلقل بين أطباقها وأنت تعلم صدقه؟ أم كيف تزجره زبانيتها وهو يناديك يا ربَّاه؟ أم كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتتركه فيها؟!»(٣).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد، ص ١٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

وصلتَ إلى نهاية الدعاء، وطلبتَ من الله ما رغبت وأردت، واسترشدت بمعالي الأخلاق في سلوكك الموصل إلى رضوان الله، فهل يتحول دعاؤك إلى لباس تقواك؟ راقب نفسك دائماً، وسر خطوة بعد أخرى، فبعون الله تحقق مكارم الأخلاق، وعندها تكون مقتدياً حقاً بصاحب الخلق العظيم الذي قال عنه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

****

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

المصادر

*** القرآن الكريم.**

*** ابن أبي طالب،الإمام علي عليه السلام.**

ـ شرح السيد عباس علي الموسوي، دار الهادي،ط١،٢٠٠٢.

ـ نهج البلاغة، من المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

*** زين العابدين، الإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام**

ـ الصحيفة السجادية الكاملة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

*** ابن شهرآشوب، ت ٥٨٨هـ**

ـ مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١٩٥٦.

*** ابن طاوس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، ت ٦٦٤هـ**

- اللهوف في قتلى الطفوف، نشر أنوار الهدى، ط١، ١٤١٧هـ.
- إقبال الأعمال، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

*** أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي،ت ١٥٧هـ.**

- مقتل الحسين عليه السلام،تحقيق الحاج ميرزا الغفاري، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨هـ.

*** الإربلي، المحقق ابو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، ت٦٩٣هـ.**

- كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

*** الأحسائي، ابن أبي جمهور.**

- عوالي اللآلي، تحقيق السيد المرعشي والشيخ العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط١، ١٩٨٣.

*** البحراني، المحدث الشيخ يوسف، ت١١٨٦هـ.**

- الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

*** الحرّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

*** الحلي، العلاَّمة الحسن بن يوسف، ت٧٢٦هـ.**

ـ تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

*** الخميني، الإمام روح الله، ت ١٩٨٩م.**

ـ الأربعون حديثاً، تعريب محمد الغروي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٩٩٢.

*** الداماد، المحقق، ت ١٠٤١هـ.**

ـ اثنا عشر رسالة، مكتبة السيد الدماد.

*** الريشهري، محمدي.**

ـ ميزان الحكمة، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٨٥.

*** الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ.**

ـ كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.

ـ علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦.

ـ من لا يحضره الفقيه، جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

ـ الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

ـ التوحيد، جماعة المدرسين، قم، ١٣٨٧هـ.

ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

*** الطباطبائي، العلامة محمد حسين.**

ـ الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١.

*** الطبرسي، رضي الدين أبي الحسن بن الفضل، ت٥٤٨هـ.**

ـ مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢.

*** الطبرسي، الشيخ أمين السلام ابو علي الفضل بن الحسن، ت٥٦٠هـ.**

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

*** الطبرسي، ابو الفضل علي، من أعلام القرن السابع الهجري.**

ـ مشكاة الأنوار، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٩٦٥.

*** الطوسي، شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠هـ.**

ـ الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

ـ تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.

*** العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحر.**

ـ وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

*** القمي، عباس.**

ـ مفاتيح الجنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

*** الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**

- الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨).

*** الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**

- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

*** المجلسي، العلَّامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

*** المرتضى، الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر، ت ٤٣٦هـ.**

- الأمالي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، من المعجم الفقهيCD، الإصدار الثالث، ١٤٢١هـ.

*** المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، ت ٤١٣هـ.**

- الإرشاد، دار المفيد، ١٤١٣هـ.

*** النوري، الحاج ميرزا حسين.**

- مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨.

*** النيسابوري، العلامة محمد بن الفتال، ت ٥٠٨هـ.**

- روضة الواعظين، منشورات الرضي، قم.

*** الهندي، علاء الدين علي المتقي، ت٩٧٥هـ.**

- كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

صدر للمؤلف

* **معالم للحياة من نهج الأمير** عليه السلام.
* **عاشوراء مددٌ وحياة** (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):

* ١ ـ **حقوق الجوارح** (طبعة سابعة)
* ٢ ـ **حقوق الوالدين والولد** (طبعة ثامنة).
* ٣ ـ **حقوق الأفعال** (طبعة سادسة).
* ٤ ـ **حقوق الزوج والزوجة** (طبعة سابعة).
* ٥ ـ **حقوق المعلم والمتعلم** (طبعة سادسة).
* ٦ ـ **الحقوق الثلاثة** (طبعة سادسة).
* ٧ ـ **حقوق الناس** (طبعة خامسة).
* صدر كتاب **«في رحاب رسالة الحقوق» مجلداً يضم السلسلة بأجزائها السبعة.**
* **حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل** (طبعة سابعة).
* **سبيلك إلى مكارم الأخلاق** (طبعة خامسة).
* **قصتي مع الحجاب** (طبعة سابعة).
* **الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء** (طبعة خامسة).
* **المهدي المخلص** (طبعة رابعة).
* **مجتمع المقاومة** (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* **سبيل الله تعالى** (طبعة ثالثة).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٠١/٥٤٥٨٠٠ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net